

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تألِيفُ

الإمام : ابن تيمية  
ابي العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم  
الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تقديم الدكتور

محمد حسن (المفتي حفظة)  
جبريز

صححه وراجعه الشيخ  
طه يوسف شاهين  
من علماء الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدیر

حياة الإمام ابن تيمية ومذهبه

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

عاش الإمام ابن تيمية تقى الدين أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَضْرِ بْنِ الْخَضْرِ بْنِ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَانِي فِي فَتْرَةٍ مِنْ أَشَدِ فَتَرَاتِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ حِرْجًا، وَأَكْثَرُهَا خَطْرًا، وَأَعْظَمُهَا إِثْرَةً.

فَقَبْلِ مِيلَادِهِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ سَقَطَتْ بَغْدَادُ فِي أَيْدِي التَّتَارِ وَصَارَ الشَّرْقُ الْعَرَبِ كَلَهُ مَعْرَضًا لِغَزْوَتِهِمْ وَتَدْمِيرِهِمْ ، وَكَانَتْ مَصْرُ وَالشَّامُ آنَذَاكَ قَدْ اتَّهَى حُكْمُ الْأَيُوبِيِّينَ مِنْهُمَا ، وَتَسَلَّمَتْ أُمُورُهُمَا وَالْحُكْمُ فِيهَا دُولَةً جَدِيدَةً هِيَ دُولَةُ الْمَالِكِيْكَ الَّتِي وَضَعَ الْقَدْرَ بَيْنَ يَدِيهَا مَصِيرُ الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ يُوْمَنْدَهُ.

وَتَقدَّمَ هُوَ لَا كُوْنَتْ لِلْتَّرَى مِنْ بَغْدَادَ - بَعْدَ أَنْ سَقَطَتْ بَيْنَ يَدِيهِ - إِلَى الشَّامِ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَوَاصَّلَ سَيِّرَهُ إِلَى مَصْرُ ، وَفِي أَرْضِ فَلَسْطِينِ ، وَفِي مَعرَكَةِ عَيْنِ جَالُوتَ قَاتَلَ قَاطِرَ مَلِكِ الْمَالِكِيْكَ وَسُلْطَانِهِمْ نَتَالَ الْأَبْطَالِ ، وَفِي يَوْمِ الْجَمعَةِ الْخَامِسِ وَالْعَشِرِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ٦٥٨ - ١٢٩٠ مَكَانُ النَّصْرِ حَلِيفُ سُلْطَانِ الْمَالِكِيْكَ ، وَسُحْقَ الغَزَاةِ الْمَدْمُورُونَ ، وَعَادَ قَاطِرُ مَلِكِ الْمَالِكِيْكَ وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ كُلَّهُ پَهْضَفَ بِاَسْمِهِ وَأَكَالِيلِ الْمَجْدِ وَالْحَمْدِ تَطْوِقُ عَنْهُهُ ، إِلَّا إِنْ يَهْرُسْ قَانِدَهُ

اغتاله في الطريق وتولى عرش مصر بعده عام ٦٥٨ هـ حتى عام ٦٧٦  
وقد أحيى الخلافة العباسية من جديد وجعل مقرها في ديار مصر .

وفي أوائل حكم بيبرس ولد الإمام ابن تيمية عام ٦٦١ هـ ، وعاش في  
ظلال دولة المماليك البحرينية التي انتد سلطانها فشمل الشام واليمن والجaz  
وأطراف العراق ، وعاصر ابن تيمية السلطان الأشرف خليل الذي قضى  
على إمارات الصليبيين في الشام عام ٦٩١ هـ ومن خلفه من السلاطين .

وكاد مولد الإمام ابن تيمية في حران ثم انتقل به ويأخوه والده إلى  
دمشق ، حيث أقام ، وبها نشأ وعاش وامتدت به الحياة سبعاً وستين سنة .  
حافلة بالأحداث والمحن والخطوب .

وابن تيمية من أسرة علية جليلة ، وكان أبوه وجده من علماء الإسلام  
المعدزين ، وكانا مثلين سائرين في الزهد والورع ، وكانا يقونان بالخطابة  
والوعظ وخدمة القرآن والقيام على السنة مع الزهد والمعفة والدين .

وقد قال الذهبي في والده : كان إماماً محققاً كثير الفنون ، وإنما اختفى من  
ضوء الشمس - يريد والده - ونور القمر - يريد أبنته .

وكانت دمشق في هذا المهد تضج بمجالس العلم وحلقات العلماء ، وكان  
للحناشة فيها شأن أي شأن ، ومن أجل علمائهم آذاك موفق الدين بن قادة ،  
الذى يقول فيه تلبيذه ابن تيمية : لم تر الشام بعد الأوزاعي مثل موفق الدين .

وقد تولى منصب قاضى القضاة في دمشق مدة طولية ٦٤٦ - ٦٧٦ .

ودرس ابن تيمية في المدرسة السكرية بدمشق وتخرج منها ، كما تخرج  
فيها والده من قبل .

وحفظ ابن تيمية القرآن وأشتغل بالحديث ، ونبغ في التفسير ، وقرأ

كتب الطبقات وتفوق في العربية ، وقرأ كتاب سيبويه ، ومكان نادرة زمانه  
حفظاً ورواية وذكاء وفقها في علوم الدين .

وحفظ ابن تيمية العلوم واستوعب السنن والآثار ، وصار إن تكلم  
في التفسير فهو حامل رايته وإن أقنى في الفقه فهو مدرك غايته ، وإن ذاكراً  
في الحديث فهو صاحب عليه وذو روايته ، وإن حاضر بالملل والنحل لم تر  
أوسع من علمه ولا يرفع من رايته ، برب ف كل فن وكل علم ، لم ترعى مثله ،  
آية في نقد الرجال ، وعمة في الجرح والتتعديل ، وعالم بالتفريغ والتأصيل  
ولإمام في القراءات ، وفقيه بمختلف المذاهب والأراء والنظريات ، قائم بين  
الخلق بنشر السنة ومذهب السلف ؛ شجاعته وإقدامه وجهاده أمر يتجاوز  
الوصف ، وفاق النعم .. واشتراك في حرب التتار ، وجاهد في الله  
بلسانه وسناته .

وشهد له علماء عصره بالتبير حتى قال فيه معاصره الشيخ إبراهيم الرقى  
الشيخ تقى الدين يؤخذ عنه ، ويقلد في العلوم ، فإن طال عمره ملأ الأرض  
عليها ، وهو على الحق ولا بد من أن يعاديه الناس ، لأنه وارث علم النبوة .

وقال فيه العمرى : هو نادرة المصر ، وهو البحر من أى التواحي أتيته ،  
وهو البدر - من أى الضواحى رأيته ، قطع الليل والنهار دابين ، واتخذ  
العلم والعمل صاحبين إلى أن أسر السلف بهداه ، وفأى الخلف عن بلوغ  
مداده ، جاء في عصر مأهول بالعلماء مشحون بنجوم السماء ، إلا أن شمسه  
طمحست تلك النجوم وبحره غرق تلك العلوم ترد إليه الفتوى فلا يردها ،  
وتغدو عليه من كل وجه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعداً لها يعدها .  
تقدماً رائكاً منها إماماً ولو لاه ماركبوا ورائهم ، ووصفه الذهبي بالعلم الغزير  
في الحديث وعلومه والتفسير ودقائقه ، ويقول : ولفترط إمامته في التفسير  
وعظمة اهلاعه بين خطأ كثير من أقوال المفسرين وينصر قولها واحداً  
بواقف مادر عليه القرآن والحديث .

وقال فيه الحافظ الرملکاف : لقد أعطى اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقييم والتبيين ، وقد ألان الله له العلوم ، كأن لأن لداود الحدب .

- ٣ -

كان الإمام ابن تيمية يترسم خطأ الإمام أحمد بن حنبل ، ويجله من كل جوانبه وبخاصة في الفقه والعقائد ، ويقول عنه : صار أحمد مثلا سائرا يضرب في الحسنة والصبر على الحق ، ولم يكن يأخذه في الله نومة لأنم حتى صارت الإمامة مقرونه باسمه في لسان كل أحد .

ونزل ابن تيمية مصر يستنهض الممالئ لحرب المغول ، فأقام عند شرف الدين العمري ، ولقيه أبو حيyan النحو ، فأعجب به أبو حيyan وقال في ابن تيمية : مارأت عيناً مثله .

وفي عظمة الإمام ابن تيمية في التفسير ، وسعة اطلاعه فيه يقول : ربما طالعت على الآية الواحدة مائة تفسير ثم أسأل الله الفهم ، وأقول يا معلم آدم ولبراهيم علمني ، وكنت أذهب إلى المساجد المجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول : يا معلم لبراهيم علمني .

ولقد بلغ الإمام ابن تيمية رتبة الاجتياز واجتمعت فيه شروط المجتهدين .

ومع أنه كان حنانيا فقد كان له اجتياز في مذهب أحد وينكر التمسك به ولغيره ، ويقول من تعصب لواحد من الأئمة بعينه فقد أشبه أهل الأمواه سواء تعصب لماك أو لابي حنيفة أو لأحد أو غيرهم وذكر أن هذا التعصب كان من أسباب تفرق المسلمين وتسلط الله التizar على بلادهم .

ويعتمد مذهب أحد على خمسة أصول : النص وفتوى الصحابة والتجزير من أقوال الصحابة - عند اختلافهم - ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة .

والأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه  
ويرجحه على القياس : وأخيراً القياس حيث يستعمله للضرورة .. وهذا  
ما كان عليه رأى ابن تيمية .

وقد اعتبر ابن تيمية الإجماع حجة ، والقياس الصحيح حجة ، والمصالح  
المرشدة حجة إذا استندت إلى شاهد من كتاب أو سنة . ويقول بوجوب  
أن تكون الأمور كلها مردودة إلى كتاب الله وسنة رسوله .

وكان يختار من الآراء الفقهية والأصولية ما يراه متفقاً مع ماصح عنده  
من فهم لكتاب أو للسنة وربما مال في بعض المسائل عن مذهبه إلى مذهب  
أبي حنيفة أو مالك .

وقد حصل الفلسفة وكتب فلاسفة الإسلام ونقدتها ، وعاب المنطق لأن  
بعضه حق ، وبعضه باطل .

وألف ابن تيمية في كل علم ، وجال في كل فن ، حتى بلغت مؤلفاته نحو  
الثلاثمائة ، مع ما ابتدى به من الحسن ، والحسين الطويل في قلعة دمشق وفي  
سيجون القاهرة والإسكندرية ، سجن في القاهرة في البرج ، ثم في الجب هو  
وأخوه زين الدين وشرف الدين ولم يزده السجن إلا صراراً على عقيدته  
وظل كذلك حتى أخرجه حسام الدين مهنا بن عيسى شيخ عربان الشام من  
جب بقي فيه ثمانية عشر شهراً ، وصبر ابن تيمية على أذى الأمراء ، وأذى  
العامة ، وعلى محنة الحبس ، وعلى مكانة علماء عصره ، وزار في مصر سجين  
القصناة بحارة الدليم قريباً من الأزهر ، وعاش في الإسكندرية في برج مطبيق  
له شباً كان أحد هم إلى جهة البحر ، وعلمه قلعة قايتباي ، وكان يتنقل بين سجين  
إلى سجين ، تنقل النجم من برج إلى برج حتى أسلم الروح إلى بارته عام ٧٢٨هـ  
بعد كفاح طويل ، وحياة حافلة بالأحداث والخطوب .

ومن أجل كتبه فتاواه الشهيرة ذات الأثر الضخم في حياة المسلمين في

ل شهره وبعد عشره حتى اليوم ، ومن كتبه : منهاج السنة ، والجواب الصحيح  
لمن بدل دين المسيح والفرقان . ورسائله : الحموية والتدميرية ، والوسطية  
والبغدادية والعلبكيّة والأزهرية .

ومن المسائل التي أودى الإمام ابن تيمية بسيها والتي أنارها نضاله مع  
الروافض .. مسألة زيارة القبور ، فقال في كتابه - منهاج السنة - إن منهم  
من يحمل الحج إلىها أعظم من الحج إلى الكعبة وهو يرى أن هذه المغالاة  
في تعظيم القبور والمشاهد وشد الرحال إليها لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عمل  
من صحابة أو تابعين .

ويقول في فتواه المشهورة في شد الرحال إلى زيارة القبور : أول من  
وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من  
الروافض الذين يعطّلون المساجد ويعظّمون المشاهد مع أنه لا يمنع الزيارة  
الخالية عن شد الرحال بل ينذر إليها ، وكتبه ومناسكه شاهدة بذلك .  
وكانت هذه الفتوى سبباً في حبسه في قلعة دمشق وقد أنكر ابن تيمية التوسل  
والوسيلة ، ويرى أن الوسيلة هي العمل الصالح يقدمه صاحبه بين يديه  
أمام الله عز وجل .

ويتّسم ابن تيمية إلى مذهب أهل الحديث والسنّة ويقول بمذهب الجامحة  
كأحمد بن حنبل ، وبخاصم المعتزلة والأشاعرة وينقد الأشعري والباطلاني  
ولإمام الحرمين والغزالى ، وكان ينكر على الغزالى تحكيمه للفلسفة وقولهين  
المنطق في أحكام الشريعة وأصولها وبين أنه إنما عول على ابن سينا وجماعته  
إخوان الصفا وأخذ عنهم من الفلسفة ، كما أخذ من مذاهب التصوف عن  
آبي حيان التوحيدى واستمد من قوت القلوب لأبي طالب المكي ومن كتب  
الحارث الحاسبي ومن رسائل القشيرى وقد خلط التصوف بالكلام والأصول

بالفلسفة . وتأثر ابن تيمية بأسلوب الغزالي في المناقشة والجدل ، واستعمل في ذلك أساليب الفلسفة وأصطلاحات المذاهب في شتى رسائله وكتبه ، وله كتاب الرد على النطق ، وكتاب الرد على الفلاسفة .

وقد حاج الصوفية وكان يرى الصوفية المتأخرة مبتدةعة لا يعرفها الإسلام أما النصوف الأول الذي ارتكبوا السلف فهو جزء من السنة والأثر ، ومن أمثلته ما في كتاب الزهد والورع لأحمد ، وكتب الحلال ، وآراء الجنيد ، وما عدا هذا فهو عنده بدعة ويمثل هذا النوع في نظره الحجاج وابن عربي وابن سبعين وأضرابهم وناقشه الشيخ ابن تيمية الحوارج والشيعة والروافض وكتاباته ومنهاج السنة النبوية ، الذي كان نسيج وحده - يمثله لنا عالما من الطراز الأول .. ويناقش فيه رأى الشيعة والباطنية والفرامطة ويقول إن السواحل الشامية إنما استولت عليها النصارى من جهتهم وقد كفر الروافض ونقد المنحرفين .

وفي كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » يجاج الصوفية ويقول : إنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أن لا أولياء الله طريقا إلى الله غير طريقة الأنبياء .. ويرى أن آراء ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض هي فلسفة يونانية خالصة وابن تيمية لا يجوز للقادر على الاستدلال أن يقلد إلا عند الحاجة فقد فتح باب الاجتهاد لكل قادر ، ومن كتابه « السياسية الشرعية » يرسم القواعد لإصلاح حال الراعي والرعية . ومذهب ابن حنبل يتمسك بنصوص الكتاب والسنة كالاستواء والتزول والوجه وغير ذلك من أحاديث الصفات ويقول ابن تيمية في عقيدته الحموية عن أحد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والسنة وذلك من غير تحرير ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ويرى مارأه أحمد في القرآن الكريم من أنه كلام الله وهو غير مخلوق فنه بدأ وإليه يعود كما ذكر في - المقيدة الواسطية .

هذه الآراء الدينية الخطيرة هي التي ألبت عليه الحكم والعامّة وعلماء عصره وقادته إلى الحزن والخطوب وإلى السجن مرات ومرات وعاش موليا وجهه إلى السماء ، وكان في للغاية التي انتهى إليها من الورع ، حتى استأثرت به رحمة الله .

وكان من أهل تلاميذه ابن القيم<sup>(١)</sup> رحمه الله (٦٩١ - ٧٥١ هـ ١٢٩٢ م - ١٣٥٠ م) وترك الإمام ابن تيمية ذكرًا خالدًا وعلما نادرا وكتبا سازة ودعوات إصلاحية تقوم على مذهبه ، تأخذ منه وترجع إليه وتعتبره عمدتها في الأصول والفروع ، ومنها الدعوة الإصلاحية الكبرى دعوة الإمام المصلح المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيرها من الدعوات السلفية .

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

(١) ابن القيم الجوزي شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر الدمشقي لازم الإمام ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في جميع العلوم الإسلامية وأوذى مرات وسبعين مع شيخه ابن تيمية في قلعة دمشق ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشیخ وله التكثير من المؤلفات مثل .. زاد المعاد ، ومدارج السالكين ، وحدائق الأرواح .

مصادر هذا البحث :

- مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي .
- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لبهجة البيطار .
- طبقات الحنابلة لأبي يعلى .
- أحمد بن حنبل للشيخ محمد أبو زهرة .
- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب .
- ابن تيمية بطل الإصلاح الدینی لمحود مهدي استنبولی .
- ابن تيمية لحمد يوسف موسى .
- ابن تيمية لعبد العزیز المراغی سلسلة أعلام الإسلام .
- ورائع قادة الفكر الإسلامي للشيخ عبد الله بن سعد الرويشد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم المؤلف للكتاب

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعز بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات  
أعمالنا من يهدى الله فلا مضلال له ومن يضللا فلا هادي له . ونشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله تعالى  
عليه وسلم تسلیما .

### (فصل)

في فقير (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليس كذلك بل كلها صواب . والمشهور منها قولان :

أحدهما : أن الصمد هو الذي لا جوف له . والثاني : أنه السيد الذي يصمد إليه في المواجه والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة . والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور الغوريين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدها في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك ، وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئاً كثيراً ياسنده فيها تقدم وتفسير الصمد بأنه الذي لا جوف له معروف عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً وعن ابن عباس والحسن البصري ، وبمأهود ، وسعيد بن جبیر ، وعكرمة والضحاك والندي وفتادة ، وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب قال هو الذي لا حشو له ، وكذلك قال ابن مسعود : هو الذي ليست له أحشاء وكذلك نال الشعبي : هو الذي لا يأكل ولا يشرب ، وعن محمد بن كعب القرظي وعكرمة هو الذي لا يخرج منه شيء وعن ميسرة قال هو المصمت قال ابن قتيبة كان الدال في هذا التفسير مبدلته من تاء المصمت من هذا . قلت لا يبدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتراق الأكبر وسبعين لأن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتراق والله .

والحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الإمام أحمد في المسند وغيره من حديث أبي سعد تصفانى حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم إنسب لنا ربكم فأنزل الله (قل هو الله أحد الله الصمد) إلى آخر السورة ، قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لا له ليس شيء يولد لا سيّمات ولليس شيء يموت إلا سبورث وإن الله لا يموت ولا يورث .

وأما تفسيره بأنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج فهذا أيضاً مروي عن ابن عباس موقعاً ومرفوعاً فهو من تفسير الراوى عن ابن عباس قال: الصمد السيد الذي كل في سودده وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: هو السيد الذي انتهى سودده، وعن أبي إسحاق السكري عن عبكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد.

ويرى هذا عن علي وعن كعب الأبخار الذي لا يكفيه من خاتمه أحد وعن النبي أيضاً هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه هو المستغنى عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد، وعن سعيد بن جبير الكامل في جميع صفاتاته وأفعاله وعن الريبع الذي لا تغتريه الآيات وعن مقابل بن حيان الذي لا يعيب فيه وعن ابن كبسان هو الذي لا يوصف بصفته أحد قال أبو بكر الأنصاري: لاختلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم؛ وقال الزجاج هو الذي ينتهي إليه الشودد فقد صمد له كل شيء أى قصد قصده وتأويل صمود كل شيء له أن في كل شيء أثر صنعته. فلما وقد أنشدوا في هذا يبيّن مشهورين أحدهما:

ألا يبكر الناعي بخيرى بني أسد  
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد  
وقال الآخر:

علوه بحسامى ثم قلت له  
خذها حذيف فأنت السيد الصمد

قال بعض أهل اللغة الصمد هو السيد المقصود في الحوائج يقول العرب  
صمدت فلاناً أصمه - بكسر الميم - وأصمه - بضم الميم - صمداً -  
بـسكون الميم - إذا قصده ، والمصود صد كالقبض بمعنى المفهوض والنفيض  
يعنى المفهوض ويقال بيت مصود ومصمد إذا قصده الناس في حوائجهم  
قال طرفة :

## وإن يلتقي المحب الجميع تلاقي إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

وقال الجوهرى : صمده يصمد حمدأ إذا قصده والصمد بالتحرىك السيد لأنه يصمد إليه في الحوانج ويقال بيت مصمد بالتشديد أى مقصود ، وقال الخطابي أصح الوجوه أنه السيد الذى يصمد إليه في الحوانج لأن الاشتغال يشهد له فإن أصل الصمد القصد يقال أحمد صمد فلان أى أقصده قصده فالصمد السيد الذى يصمد إليه في الأمور ويقصد في الحوانج ، وقال قنادة : الصمد الباقي بعد خلقه ، وقال مجاهد ، وعمر : هو الدائم وقد جعل الخطابي وأبو الفرج ابن الجوزى الأقوال فيه أربعة هذين والذين تقدما وسبعين إن شاه الله لآن بقائه ودوامه من تمام الصمدية ، وعن مرة الهمدان هو الذى لا يليل ولا يفني عنه أيضاً قال هو الذى يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه .

وقال ابن عطاء : هو المتعال عن السكون والفساد ، وعنده أيضاً قال : الصمد الذى لم يتبين عليه أثر فيها أظهر يريد قوله : ( وما مسنا من لغوب ) وقال الحسين بن الفضل : هو الأزل بلا ابتداء ونال محمد بن علي الحكم الترمذى : هو الأول بلا عدد والباقي بلا أمد والقائم بلا عمد ، وقال أيضاً الصمد الذى لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار وكل شيء عنده بمقدار وقيل هو الذى جل عن شبه المصورين وقيل هو بمعنى نفي النجزى والتأليف عن ذاته وهذا قول كثير من أهل الكلام وقيل هو الذى أبىت العقول من الاطلاع على كيفية وكذاك قيل هو الذى لا تدرك حقيقة نعمته وصفاته فلا يتسع له اللسان ولا يشير إليه البستان ، وقيل الذى لم يعط خلقه من معرفته إلا الاسم والصفة ، وعن الجنيد قال الذى لم يجعل لأعدائه سيدلا إلى معرفته ونحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدها فروى ابن أبي حاتم في تفسيره قال : حدثنا أبى حدثنا محمد بن موسى بن تقىي الجرجشى حدثنا عبد الله بن عيسى يعني أبا خلف الخزاز حدثنا داود بن أبى هند عن

عَكْرَمَةُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ الصَّمْدُ قَالَ الصَّمْدُ الَّذِي يَصْمِدُ إِلَيْهِ النَّاسُ  
الْأَشْيَايَ إِذَا نَزَلُ بِهِمْ كَرْبَلَةً أَوْ بَلَادَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو زَرْعَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَمَلَةَ بْنُ سَوَاءَ الصَّدُوْمِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ  
سَوَاءَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرْوَةَ عَنْ أَبِي مُعْشَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ الصَّمْدُ  
الَّذِي يَصْمِدُ الْعِبَادَ إِلَيْهِ فِي حَوَالَيْهِمْ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنُ الصَّحَافَكَ  
حَدَّثَنَا شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ بْنُ حَسِينَ عَنْ الْحَسِينِ قَالَ الصَّمْدُ  
الْحَقِّ الْقِيُومُ الَّذِي لَا زُوْالَ لَهُ . حَدَّثَنَا أَبُو حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ  
نَرِيعَ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ الْحَسِينِ قَالَ الصَّمْدُ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ وَهُوَ قَوْلُ  
قَاتَادَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْأَشْجَحُ حَدَّثَنَا أَبْنُ نَعْمَرَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ فِي  
قَوْلِهِ الصَّمْدُ قَالَ السَّيْدُ الَّذِي قَدْ اتَّهَى سُؤْدَدَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحَ حَدَّثَنَا مَأْوِيَهُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ  
عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ الصَّمْدُ قَالَ : السَّيْدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُؤْدَدَهُ وَالشَّرِيفُ  
الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي شَرْفَهُ وَالْمَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عَظَمَتِهِ وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ  
فِي حَلْمِهِ وَالْعَلِيمُ الَّذِي تَكَمَّلَ فِي عَلْيَهِ وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حُكْمَتِهِ وَهُوَ  
الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرْفِ وَالسُّؤْدَدِ هُوَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ هَذِهِ صَفَتُهُ لَا تَنْبَغِي  
لَا حَدَّ إِلَّا لَهُ لَيْسَ لَهُ كَفُّ وَلَيْسَ كَثُلَهُ شَيْءٌ سَبَّحَانَ اللَّهَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ شَهَابَ لِلْمَذْحِجِيِّ الْقَزِيبِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سَابِقٍ  
حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرَ الْأَزَرِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ فِي قَوْلِهِ الصَّمْدُ قَالَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ  
وَلَمْ يُولَدْ . حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْأَشْجَحُ حَدَّثَنَا أَبْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي رَجَاءِ عَنْ عَكْرَمَةَ  
فِي قَوْلِهِ الصَّمْدُ قَالَ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدُ الْأَشْجَحُ حَدَّثَنَا  
أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا مَنْدُلُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي رَوْقَةِ عَطِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
السَّلْسِلَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ الصَّمْدُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَحْشَاءً وَرُوْيَ عَنْ  
سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ مَثَلُهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَ بْنِ هَدَالَةَ الرَّوْيِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ

قائد الأعمش عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم  
إلا قد رفعه قال : الصمد الذي لا جوف له ، وروى عن عبد الله بن عباس  
وعبد الله ابن مسعود في إحدى الروايات والحسن وعكرمة وعطاء وسعيد  
ابن جبير ومجاهد في إحدى الروايات والضحاك مثل ذلك حدثنا أبي  
حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الصمد المحمى الذي  
لا جوف له .

حدثنا أبو عبد الله الطبراني حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكيم  
ابن أبيان عن عكرمة في قوله الصمد قال الصمد الذي لا يطعم . حدثنا أبي  
حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن  
الشعبي أنه قال الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب الشراب . حدثنا أبي وأبو زرعة  
قالا حدثنا أحمد بن منيع حدثنا محمد ابن ميسير – يعني أبي سعد الصغافى –  
حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب  
في قوله الصمد قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يلد إلا يموت  
وليس شيء يموت إلا يورث وإن الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا  
أحد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شيء .

حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمود بن خداش حدثنا أبو سعد الصغافى  
حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب  
أن المشركين قالوا إنسب لنا ربكم فأنزل الله هذه السورة .

حدثنا أبو زرعة حدثنا العباسى بن الوليد حدثنا يزيد بن ذريع عن سعيد  
عن قتادة ولم يكن له كفوا أحد قال إن الله لا يكافئه من خلقه أحد .

حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عبد الله الجرجشى حدثنا أبو خلف  
عبد الله بن عيسى حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال  
( ٢ — تفسير سورة الإخلاص )

لأن اليهود جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الأشرف وحيي  
ابن أخطب وجدى بن أخطب فقالوا : يا محمد صفات لربك الذي بعثك  
فأنزل الله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد) فيخرج ابنه الولد (ولم يولد)  
فيخرج منه شيء ، وقال ابن جرير الطبرى في تفسيره : حدثنا أبو أحمد بن  
منيع المروزى ، ومحمود بن خداش الطالقانى فذكر مثل إسناد ابن أبي حاتم  
عن أبي بن كعب سؤال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم [إنساب لنا ربك  
فأنزل الله (قل هو الله أحد) .

حدثنا ابن حميد حدثنا بحبي بن واضح حدثنا الحسين عن زيد عن عكرمة  
أن المشركين قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن صفة ربك  
ما هو ومن أي شيء هو ؟ فأنزل الله هذه السورة ورواه أيضاً عن أبي العالية  
وعن جابر بن عبد الله حدثنا شريح حدثنا إسماعيل بن ماجاه عن الشعبي عن  
جابر فذكره قال وفيه من سؤال اليهود .

حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثنا ابن إسحق عن محمد بن سعيد قال أتى  
رهط من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق  
فمن خلقه ؟ فغضض النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتفق لونه ثم ساورهم غضباً  
لربه فإمه جبريل فسكنه وقال اخفض علىك جناحك يا محمد وجاهه من الله  
جواب ماسأله عنه قال يقول الله (قل هو الله أحد) إلى آخرها فلما تلماه  
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له صفات لربك كيف خلقه كيف عصنه  
كيف سعاده وكيف ذراعه فغضض النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه  
الأول وساورهم فأتاهم جبريل فقال له مثل مقالته الأولى وأتاهم بجواب ماسأله  
فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) .

وروى الحكم بن معبد في كتاب الرد على الجهمية قال حدثنا عبد الله بن  
محمد بن المنعان حدثنا سلمة بن شبيب حدثني يحيى بن عبد الله حدثني ضرار

عن أبان عن أنس قال أنت يهود خير إلى النبي صل الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وأدم من حما مسنون ولا بليس من طب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك قال فلم يجههم النبي صل الله عليه وسلم فأنا جبريل فقال يا محمد : ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) ليس له عرق شعب إليها الصمد - ليس بأجوف لا يأكل لا يشرب ليس شيء يعتدل مكانه يمسك السموات والأرض أن عزولا الحديث ، وقال ابن جرير حدثنا عبد الرحمن بن الأسود حدثنا محمد بن ربيعة عن سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس قال الصمد الذي ليس بأجوف .

حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذي لا جوف له ، حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن منصور سواه .

حدثنا الحارث حدثنا الحسن حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا الريبع بن مسلمة عن الحسن قال الصمد الذي لا جوف له وهذا الإسناد عن إبراهيم بن ميسرة قال أرسلني مجاهد إلى سعيد بن جبير أأسأله عن الصمد فقال الذي لا جوف له . حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال الصمد الذي لا يطعم الطعام ورواه يعقوب عن هشيم عن إسماعيل عنه قال لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب .

حدثنا بشار ، وزيد بن أخزم قالا حدثنا ابن داود عن المستقيم بن عبد الملك عن سعيد بن المسيب قال الصمد الذي لا حشر له . حدثنا الحسين حدثنا أبو معاذ حدثنا عبد قال سمعت الضحاك يقول الصمد الذي لا جوف

له ، وروى عن ابن بريدة فيه حديثاً مرفوعاً لكنه ضعيف قال وقال آخرون هو الذي لا يخرج منه شيء . حدثنا يعقوب بن أبي علية عن أبي رجاء سمعت عكرمة قال في قوله الصمد لم يخرج منه شيء لم يلد ولم يولد . حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي زجاجة محمد بن يوسف عن عكرمة قال الصمد الذي لا يخرج منه شيء .

وقال آخرون لم يلد ولم يذكر حديث أبي بن كعب الذي رواه ابن أبي حاتم والذي فيه أنه سبحانه لا يموت ولا يورث قال وقال آخرون هو السيد الذي أتاه في سؤدده ، وقال وحدثنا أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال الصمد هو السيد الذي أتاه في سؤدده ، حدثنا أبو كريب وابن بشار ، وابن عبد الأعلى قالوا حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل قال الصمد السيد الذي أتاه في سؤدده .

حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل مثله حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الصمد قال السيد الذي كمل في سؤدده وذكر مثل الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم كما تقدم (قلت) الاشتقاء يشهد للقولين جيما قول من قال أن الصمد الذي لا جوف له وقول من قال أنه السيد وهو على الأول أدل فإن الأول أصل للثاني ولفظ الصمد يقال على ما لا جوف له في اللغة ، قال يحيى بن أبي كثير الملاوي صد والأدميون جوف ، وفي حديث آدم أن إبليس قال عنه أنه أجوف ليس بصمد .

وقال الجوهرى : المصمد لغة في المصمت وهو الذي لا جوف له . قال والصاد عفاص القارورة . وقال : الصمد المكان المرتفع الغليظ قال أبو النجم :

يُفادي الصمد كظاهر الأجيال

وأصل هذه المادة الجم والقوه ومنه يقال يقصد المال أى يجمعه :

وكذلك السيد أصله سيد اجتمعت ياه وواو وسبقت إحداها بالسكون  
فقلبت الواو ياه وأدغمت كا قيل ميت وأصله ميوت والمادة في السواد والسواد  
تدل على الجم واللون الأسود هو الجامع للبصر وقد قال تعالى : ( وسيدا  
و جصورا ) قال أكثر السلف سيدا حليما وكذلك يروى عن الحسن ، و سعيد  
ابن جبير ، و عكرمة ، و عطاء ، و أبي الشعثاء بن أنس ، و مقاتل ، وقال  
أبو روي عن الصحاح أنه الحسن الخلق .

وروى سالم عن سعيد بن جبير أنه التقى ولا يسود الرجل الناس حتى  
يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتًا ، وقال عبد الله بن عمر ما رأيت بعد  
رسول الله عليه عليه وسلم أسود من معاوية فقيل له ولا أبو بكر ولا عمر  
قال كان أبو بكر و عمر خيرا منه وما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أسود من معاوية ، قال أحد بن حنبل : يعني به الحلم أو قال الكرم  
ولهذا قيل :

إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة فبالحلم سد لا بالتسريع والشتم

ولهذا فسر طائفة من السلف السيد بأنه سيد قومه في الدين وقال ابن  
زيد هو الشريف وقال الزجاج الذي يفوق قومه في الخير ، وقال ابن الأنباري  
السيد هذا الرئيس والإمام في الخير ، وعن ابن عباس ومجاهد هو الكريم  
على ربه وعن سعيد بن المسيب هو الفقيه العالم وقد تقدم أنهم يقولون  
لعفاص القارورة صناد قال الجوهري العفاص جلد يلبسه رأس القارورة  
وأما الذي يدخل في فيه فهو الصدام وقد عفت القارورة شدت عليها  
العفاص ( قلت ) وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في  
اللقطة ثم اعرف عفاصها ووكاها ، والمراد بالعفاص ما يكون فيه الدرهم  
كالغرفة التي تربط فيها الدرهم والوكان مثل الخيط الذي يربط به وهذا من

جلس عفاص الفارورة ولفظ العفص والسد والصد والجمع والسؤدد معانيها متشابهة فيها الجمع القوة ويقال طعام عفص وفيه عفوصة أي تقبض ومنه العفص الذي يتخذ منه الحبر.

وقد قال الجوهري : هو مولد ليس من كلام أهل البدية وهذا لا يضر لأنّه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم لكن التسمية به جارية على أصول لغة العرب وكذلك تسميتهم لما يدخل في فمها صمام فإن هذه المادة فيها معنى الجمع والسد . قال الجوهري صمام الفارورة سدادها والحجر الأصم الصلب المصمت والرجل الأصم هو الذي لا يسمع لانسداد سمعه والرجل الصماء الشجاع والصماء الذي من الحياة وصمة الشيء خالصه حيث لم يدخل إليه ما يفوقه ويضعفه يقال صمم الحر وصمم البرد وفلان من صمم قومه ، والصمم الصارم القاطع الذي لا ينفعه شيء وصمم في السير وغيره أي مضى ورجل صمم أي غليظ ومنه في الاشتراق الأكبر الصوم فإن الصوم هو الإمساك .

قال أبو عبيدة : كل عسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم لأن الإمساك فيه اجتماع والصوم لا يدخل جوفه شيء ، ويقال صام الفرس إذا قام في غير اختلف ، قال النافعه :

خبل صيام وخبل غير صائم

تحت العجاج وأخرى تعلك اللجا

وكذلك السد والسداد والسؤدد والسوداد ، وكذلك لفظ الصمد فيه الجمع والجمع فيه القوة فإن الشيء كلما اجتمع بعضه إلى بعض ولم يكن فيه خلل كان أقوى مما إذا كان فيه خلو . ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع صمد لقوته وتماسكه واجتماع أجزائه والرجل الصمد هو السيد المضمد أي المقصود يقال قصده وقصدت له وقصدت إليه وكذلك هو مضمود

ومقصود له وإليه والناس إنما يقصدون في حوانبهم من يفون بها وإنما يقوم بها من يكون في نفسه مجتمعاً قوياً ثابتاً وهو السيد الكريم بخلاف من يكون هلوساً جزوعاً يتفرق ويعلق ويترقب من كثرة حوانبهم ونقولها فإن هذا ليس بسيد صمد يقصدون إليه في حوانبهم فهم إنما سموا السيد من الناس صمداً لما فيه من المعنى الذي لأجله يقصد الناس في حوانبهم فليس معنى السيد في لغتهم معنى إصناف فقط كلفظ القرب والبعد بل هو معنى قائم بالسيد لأجله يقصد الناس، والسيد من السؤدد والسوداد وهذا من جنس السداد في الاشتراق الأكبر فإن العرب تتعاقب بين حرف العلة والحرف المضاعف كما يقولون تقضي البازى وتقضى والساد هو الذي يسد غيره فلا يتحقق فيه خلوا ومنه سداد القارورة وسداد التغر بالكسر فيما وهو ما يسد ذلك ومنه السداد بالفتح وهو الصواب ومنه القول السيد قال الله تعالى : ( انقوا الله وقولوا قولنا سيدنا ) قالوا قصداً حقاً ، وعن ابن عباس صواباً وعن قتادة ومقاتل عدلاً وعن السدى مستقراً وكل هذه الأقوال صحيح فإن القول السيد هو المطابق الموافق فإن كان خبراً كان صدقاً مطابقاً لمخبره لا يزيد ولا ينقص وإن كان أمراً كان أمراً بالعدل الذي لا يزيد ولا ينقص وهذا يفسرون السداد بالقصد والقصد بالعدل .

قال الجوهري : التسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد في القول والعمل ورجل مسد إذا كان يعمل بالسداد والقصد والمسد المقوم وسد درمحه وأمر سديد وأسد أى قاصد وقد استند الشيء استقام قال الشاعر :

أعلىه الرماية كل يوم فلما استند ساعده رمانى

وقال الأصمى اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء وتعبرهم عن السداد بالقصد بذلك على أن لفظ القصد فيه معنى الجم والقوة والقصد العدل كما أنه السداد والصواب وهو المطابق الموافق الذي لا يزيد ولا ينقص وهذا

هو الجامع المطابق ، ومنه قوله تعالى ( وعلی الله فضل السبيل ) أى السبيل .  
القصد وهو العدل أى لیه تنتهي السبيل العادلة كما قال تعالى : ( إن  
عليها للهدى ) أى الهدى إلينا هذا أصح الأقوال في الآيتين وكذلك قوله  
تعالى : ( قال هذا صراط على مستقيم ) .

ومنه في الاستدلال الأوسط الصدق فإن حروف القصد فيه  
الصدق في الحديث لما يقتضيه خبره كما قيل في السديد والصدق بالفتح الصلب  
من الرماح ويقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل ولا عوج  
والصادق واحد الصناديق فإنه يجمع ما يوضع فيه وعما ينبغي أن يعرف  
في باب الاستدلال أنه إذا قيل هذا مشتق من هذا له معنيان أحدهما أن بين  
القولين تناسياً في اللفظ والمعنى سواء كان أهل اللغة تكلموا بهدا بعد هذا  
أو بهذهدا بعد هذا وعلى هذا فكل من القولين مشتق من الآخر فإن المقصود  
أنه مناسب له لفظاً ومعنى كا يقال هذا الماء من هذا الماء وهذا الكلام من  
هذا الكلام وعلى هذا فإذا قيل أن الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق  
من الفعل كان كلا القولين صحيحاً وهذا هو الاستدلال الذي يقوم عليه دليل  
النصريف .

وأما المعنى الثاني في الاستدلال فهو أن يكون أحدهما أصلاً للآخر  
فهذا إذاً يعني به أن أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يتم على هذا دليل في  
الأكثر من الموارد وإن عندها متقدم على الآخر في العقل  
لكون هذا مفرداً وهذا مركباً فالفعل مشتق من المصدر والاستدلال  
الأصغر اتفاق القولين في الحروف وترتيبها والأوسط اتفاقهما  
في الحروف لافي الترتيب والأكبر اتفاقهما في أعيان بعض الحروف  
وفي الجنس في الباقى كاتفاقهما في كونهما من حروف الحلق إذا  
قيل حزر وعزز واذر فإن الجميع فيه معنى القوة والشدة قد اشتراك  
الراء والزاي والخاء في أن ثلاثة حروف حلقة وعلى هذا فإذا قيل الصمد

يُمْعَنِي المصمت وأنه مشتق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح فإن الدال أخت الناء  
في أن الصمت السكوت وهو إمساك وإطباقي للغم عن الكلام .

قال أبو عبيدة : المصمت الذي لا جوف له وقد أصمه أنا وباب مصمت  
قد أبهم إغلاقه والمصمت من الخيل البهم أى لون كان لا يخالط لونه لون  
آخر ، ومنه قول ابن عباس لمن احرم من الحريز المصمت فالمصدر والمصمت  
متقمان في الاشتقاء الأكبر وليس الدال منقلبة عن الناء بل الدال أقوى  
والمصمد أكمل في معناه من المصمت وكلما قوى الحرف كان معناه أقوى فإن  
لغة العرب في غاية الإحكام والتناسب ولهذا كان المصمت إمساك عن الكلام  
مع إمساكه والإنسان أجوف يخرج الكلام من فيه لكنه قد يصمت  
بخلاف الصمد فإنه إنما استعمل فيها لاتفرق فيه كالصمد والسيد والصمد من  
الأرض وصياد الفارورة .

ونحو ذلك فليس في هذه الألفاظ المتناسبة أكمل من ألفاظ الصمد  
فإن فيه الصاد والميم والدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لها منزية على  
ما يناسبها من الحروف والمعنى المدلول عليها بمثل هذه الحروف أكمل .

وما يناسب هذه المعاني معنى الصبر فإن الصبر فيه جمع وإمساك وهذا قيل :  
الصبر حبس النفس عن الجزع يقال صبر وصبرته أنا و منه قوله تعالى ( وأصبر  
نفسك ) وكذلك معنى السيد الصمد خلاف معنى الجزع المنوع ومنه  
الصبرة من الطعام فإنها مجتمعة مكونة والصباره الحجارة وصبر الشيء علظه  
و ضده الجزع وفيه معنى التقطع والتفرق يقال جزع له جزعه من المال أى  
قطع له قطعة والجزوعة القطعة من العنم واجتزعت من الشجر عوداً أى  
اقتضعته واكتسرت وجزعت الوادي إذا قطعته عرضاً والجزع منعطف  
الوادي ومنه الجزع وهو الحرج الباهي الذي فيه بياض وسوداد وكذلك  
جزع البصر تجذب بما إذا أرطب نصفه نثراه وهو خلاف قوله مصمت للون  
الواحد لما في ذلك من الاجتماع وفي هذا من التفرق . وقد قال تعالى ( إن

الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا.

قال الجوهرى : الهمع أخشن المزع و قال غيره هو في اللغة أشد الحرص وأسوأ المزع ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم شر ما في المرء شح حالع وجبن خالع . ونافقة هلواع إذا كانت سرعة السير خفيفة وذنب هلمع بلع والهلمع من الحرص والبلع من الابتلاع ولهذا كان كلام الصالف في تفسيره يتضمن هذه المعانى فروى عن ابن عباس قال هو الذي إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ، وروى عنه أنه قال هو الحريص على مالا يحل له وعن سعيد بن جبير شيخا وعن عكرمة ضجورا وعن جعفر حريضا وعن الحسن والضحاك بخيلا وعن مجاهد شرها وعن الضحاك أيضا الهلوع الذى لا يشبع وعن مقاتل ضيق القلب وعن عطاء عجولا ، وهذه المعانى كلها تناهى ثبات والقوه والاجتماع والإمساك والصبر ، وقد قال تعالى ( لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ) وهذا وإن كان قد قيل إن المراد به أنها تندفع فيموتون فإنه كما قيل فى مثل ذلك قد تندفع قلبه وقد تفرق قلبي وقد تشتد قلبي وقد تقسم قلبي ، ومنه يقال للخوف قد فرق قلبه ويقال يازاء ذلك هو نابت القلب مجتمع القلب بجزوع القلب .

### (فصل)

قال الله تعالى ( قل هو الله أحد الله الصمد ) فأدخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحدا في الإناث مفردا غير مضارب بخلاف النفي وما في معناه كالشرط والاستفهام فإنه يقال هل عندك أحد وما جاءنى أحد إلا أكرمهه وإنما استعمل في العدد المتعلق يقال أحد اثنان ويقال إحدى عشرة وفي أول الأيام يقال يوم الأحد فإن فيه على أصح القولين ابتدأ الله خلق السموات والأرض وما ينتمي إلى دل عليه القرآن والأحاديث الصحيحة فإن القرآن أخبر في غير موضع أنه خلق

السموات والأرض وما ينتمي إلى سنته أيام ، وقد ثبت في الحديث الصحيح  
المتفق على صحته أن آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم الجمعة وإذا كان آخر  
الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها سته .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله خلق التربة يوم السبت فهو حديث  
معلول قدح فيه أنها الحديث كالبخاري وغيره قال البخاري : الصحيح أنه  
موقوف على كعب وقد ذكر تعليمه البيهقي أيضاً وينمو أنه غلط ليس عارواه  
أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما أنكر المذاق على مسلم  
لإخراجه إيماء كما أنكروا عليه إخراج أشياء يسيرة وقد بسط هذا في  
موقع آخر وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في قوله ( خلق الأرض  
في يومين ) .

قال ابن عباس : خلق الأرض في يوم الأحد والإثنين وبه قال عبد الله  
ابن سلام والضحاك ومجاهد وابن جريج والسدى والأكثرون وقال مقاتل  
في يوم الثلاثاء والأربعاء قال وقد أخرج مسلم الحديث أبي هريرة خلق  
التربة يوم السبت قال وهذا الحديث مختلف لما تقدم وهو أصح فصح هذا  
لظنه صحة الحديث إذ رواه مسلم ولكن هذا له ظافر روى مسلم أحاديث  
قد عرف أنها غلط مثل قول أبي سفيان لما أسلم أريد أن أزوجك أم حبيبة  
ولا خلاف بين الناس أنه تزوجها قبل إسلام أبي سفيان ولكن هذا  
قليل جداً .

ومثل ما روى في بعض طرق الحديث صلاة السكوف أنه صلاتها بثلاث  
ركوعات وأربع وصواب أنه لم يصلها إلا مرة واحدة برکوعين ولهذا لم  
يخرج البخاري إلا هذا وكذلك الشافعى . وأحمد بن حنبل في إحدى  
الرواياتين عنه وغيرهما والبخاري سلم من مثل هذا فإنه إذا وقع في بعض

الروايات غلط ذكر الروايات المحفوظة التي تبين غلط الغالط فإنه كان أعرف بالحديث وعلمه وأفقه في معانيه من مسلم ونحوه.

وذكر ابن الجوزي في مواضع آخر أن هذا قول ابن إسحق وقال ابن الأنباري وهذا إجماع أهل العلم وذكر قوله ثالثاً في ابتداء الخلق أنه يوم الإثنين وقال قال ابن إسحق وهذا تناقض وذكر أن هذا قول أهل الإنجيل والابتداء يوم الأحد قول أهل التوراة وهذا النقل غلط على أهل الإنجيل كما غلط من جعل الأول إجماع أهل العلم من المسلمين ، وكأن هؤلاء ظنوا أن كل أمم تجعل أجتماعها في اليوم السابع من الأيام السبعة التي خلق الله فيها العالم وهذا غلط فإن المسلمين إنما أجتمعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم وهو يوم الجمعة كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، والمقصود هنا أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الأعياد إلا الله وحده وإنما يستعمل في غير الله في النفي قال أهل اللغة يقول لا أحد في الدار ولا تقل فيها أحد وهذه لم يجيء في القرآن إلا في غير الموجب كقوله تعالى (فما منكم من أحد عنده حاجزين ) وكقوله (لسنت كأحد من النساء) وقوله (ولأن أحد من المشركين استجارك فأجره) وفي الإضافة كقوله (فأبتعوا أحدكم وجعلنا لأنحدهما جنتين) .

وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما نقدم فلم يقل الله صمد بل قال الله الصمد فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون مساواه فإنه المستوجب لغايته على الكمال والمخلوق وأن كان صدماً من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية منافية عنه فإنه يقبل التفرق والتجزئة وهو أيضاً يحتاج إلى غيره فإن كل ماسوى الله تحتاج إليه من كل وجه فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك بل حقيقة الصمدية وبكلها له

وحدة واجهة لازمة لا يمكن عدم صحته بوجه من الوجوه كما لا يمكن ثباته  
أحديته بوجه من الوجوه فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من  
الوجوه كما قال في آخر السورة ولم يكن له كفوا أحد استعملها هنا في النفي  
أى ليس شيء من الأشياء كفوا الله في شيء من الأشياء لأنه أحد .

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا فقال السيد الله ودل قوله  
الأحد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فإن الصمد هو  
الذى لا جوف له ولا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل ولا يشرب سبحانه  
وتعالى كما قال (أفغير الله أتخذ ولها فاطر السموات والأرض وهو يطعم  
ولا يطعم) وفي قرامة الأعشش وغيره ولا يطعم بالفتح وقال تعالى (وما خلقت  
الجنة والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمنون أن  
الله هو الرزق) .

ومن مخلوقاته الملائكة ومصد لا يأكلون ولا يشربون فالخالق لهم  
جل جلاله أحق بكل غنى وكامل جعله لبعض مخلوقاته فلهذا فسر بعض  
السلف الصمد بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد المصمد الذي لا جوف  
له فلا يخرج منه عين من الأعيان فلا يلد ولذلك قال من قال من العالف هو  
الذى لا يخرج منه شيء ليس مرادهم أنه لا يتكلم وإن كان يقال في الكلام  
أنه خرج منه كما قال في الحديث ما تقرب العباد إلى الله بشيء أفضل  
ما خرج منه ، يعني القرآن .

وقال أبو بكر الصديق لما سمع قرآن مسيلةه إن هذا لم يخرج من إلّي  
نفروج الكلام من التكلم هو يعني أنه يتكلم به فيسمع منه ويبلغ إلى غيره  
ليس بمخلوق في غيره كما يقول الجهمية ليس يعني أن شيئاً من الأشياء القائمة  
به يفارقه وينتقل عنه إلى غيره فإن هذا ينبع في صفات المخلوقين أن تفارق  
الصفة حملها وتنتقل إلى غير حملها فكيف بصفات الخالق جل جلاله ، وقد  
قال تعالى في كلام المخلوقين (كم كانت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

(الاكذب) وتلك الكلمة هي قافية بالمشكلم وسمعت منه ليس خروجا من فيه أن ما قام بذاته من الكلام فارق ذاته وانتقل إلى غيره فخروج كل شيء بحسبه ومن شأنه العلم والكلام فإذا استفید عن العالم والمتكلم أن لا ينفع من محله ولهذا شبه بالنور الذي يقتبس منه كل أحد للضوء وهو ياق على حاله لم ينفع فقول من قال من السلف الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء كلام صحيح يعني أنه لا يفارقه شيء منه.

ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد وذلك أن الولادة والمتولد وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يمكن إلا من أصلين وما كان من المتولد عينا قافية بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به فالاول نقاء بقوله أحد فإن الاحد هو الذي لا كفو له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة والتولد إنما يكون بين شيئين قال تعالى (أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) فنفي سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملازم وبأنه خالق كل شيء وكل ماسواه خالق له ليس فيه شيء مولود له.

والثاني تقاه بكونه سبحانه الصمد وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين كتوالد الحيوان من أبيه وأمه بما في الذى ينفصل من أبيه وأمه فهذا التولد يفتقر إلى أصل آخر إلى أن يخرج منها شيء وكل ذلك يمتنع في حق الله تعالى فإنه أحد فليس له كفو يكون صاحبة ونظيرها وهو صمد لا يخرج منه شيء فشكل واحد من كونه أحد ومن كونه صمدًا يمنع أن يكون والدًا وأن ديمنعني يكون مولودا بطريق الأولى والأخرى .

وكان التولد من الحيوان لا يمكن إلا من أصلين سواء كان الأصلان من جنس الولد وهو الحيوان المتولد أو من غير جنسه وهو المتولد فكذلك في غير الحيوان كالنبات المتولدة من الرزقين سواء كانا خشبيتين أو كانوا حجرا

وَحْدِيداً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَلَمْ يَرِيْتَ قَدْحَا) وَقَالَ تَعَالَى (أَفَرَأَيْتَ)  
النَّارَ الَّتِي تُورَّنُ أَلْتَمَ أَشَائِمَ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمَشْؤُونُ نَحْنُ جَعَلْنَا مَا نَذَكَرَةَ  
وَمَتَاعًا لِلْمَقْوِينَ) وَقَالَ تَعَالَى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْبِي  
الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قَلْ يَحْبِبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَى مَرَةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي  
جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَتَمْ مِنْهُ تَوَقُّدُونَ).

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ : هَمَا شَجَرَتَانِ يَقَالُ لِإِحْدَاهُمَا الْمَرَخُ وَالْأُخْرَى  
الْعَفَارُ فَنِ أَرَادَ مِنْهُمَا النَّارَ قَطْعُهُ مِنْهُمَا غَصَنَيْنِ مِثْلِ السَّوَاكِينَ وَمِنْهُمَا خَضْرَا  
وَأَنْ يَقْطَرَ مِنْهُمَا الْمَاءُ فَيُسْعَقُ الْمَرَخُ وَهُوَ ذَكْرُ عَلَى الْعَفَارِ وَهُوَ أَنْتَ فَتَخْرُجُ  
مِنْهُمَا النَّارُ يَأْذِنُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقُولُ الْعَرَبُ فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمْجَدَ الْمَرَخُ  
وَالْعَفَارُ . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ إِلَّا الْعَذَابُ فَإِذَا أَتَمْ مِنْهُ تَوَقُّدُونَ  
فَذَلِكَ زَنَادِمُهُ .

وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْلُّغَةِ الْجَوْهِرِيُّ وَغَيْرُهُ : الْزَّنْدُ الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ النَّارُ وَهُوَ أَعْلَى  
وَالْزَّنْدَةُ السَّفْلِيُّ فِيهَا ثَقْبٌ وَهِيَ الْأَنْتَيْ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَيلَ زَنْدَانٌ ، وَقَالَ أَهْلُ  
الْحِبْرَةِ بِهَا أَنْهُمْ يَسْتَحْقُونَ الثَّقْبَ الَّذِي فِي الْأَنْتَيْ بِالْأَعْلَى كَمَا يَفْعَلُ ذَكْرُ الْحَيْوَانِ  
فِي أَنْتَاهِ فَبِذَلِكَ السَّحْقُ وَالْحَلْكُ يَخْرُجُ مِنْهُمَا أَجْزَاءُ نَاعِمَةٍ تَنْقَدِحُ مِنْهَا النَّارُ  
فَتَسْتَوْلِدُ النَّارُ مِنْ مَادَةِ الذَّكْرِ وَالْأَنْتَيْ كَمَا يَتَوَلَّدُ الْوَلَدُ مِنْ مَادَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ  
وَسُقْعَ الْأَنْتَيْ بِالْذَّكْرِ وَقَدْحَهَا بِهِ يَقْضِي حَرَاءَةَ كُلِّ مِنْهُمَا وَيَتَحَلَّلُ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا  
مَادَةَ تَنْقَدِحُ مِنْهَا النَّارُ كَمَا أَنْ إِلَيْلَاجَ ذَكْرُ الْحَيْوَانِ فِي أَنْتَاهِ يَقْدَحُ وَحْكُ فَرْجَهَا  
بِفَرْجِهِ فَتَقُوَى حَرَاءَةَ كُلِّ مِنْهُمَا وَيَتَحَلَّلُ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا مَادَةَ تَمْتَزَجُ بِالْأُخْرَى  
وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ ، وَيَقَالُ عَلْقَتُ النَّارُ فِي الْمَحْلِ الَّذِي يَقْدَحُ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ  
كَالْحَرَمُ لِلْوَلَدِ وَهُوَ الْحِرَاقُ وَالصَّوْفَانُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا يَكُونُ أَسْرَعُ قَبُولاً لِلنَّارِ  
مِنْ غَيْرِهِ كَمَا عَلْقَتِ الْمَرْأَةُ مِنِ الرَّجُلِ وَقَدْ لَا تَعْلَقُ النَّارُ كَمَا قَدْ لَا تَعْلَقُ الْمَرْأَةُ  
وَقَدْ لَا تَنْقَدِحُ نَارُ كَمَا لَا يَنْزَلُ مِنِّي وَالنَّارُ لَيْسَ مِنْ جَنْسِ الزَّنَادِينِ بِلْ تَوَلَّدُ  
النَّارُ مِنْهُمَا كَمَا تَوَلَّدُ حَيْوانُ مِنِ الْمَاءِ وَالْطَّيْنِ فَإِنَّ الْحَيْوَانَ نُوعَانَ مُتَوَّلِّ الدِّرَكِ الْإِنْسَانِ

وَبِهِمَةُ الْأَنْعَامِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَخْلُقُ مِنْ أَبْوَينِ وَمَتْوَلِدَ كَالَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنَ الْفَاكِهَةِ  
وَالْخَلُ وَكَالْقَمْلِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ مِنْ وَسْخِ جَلْدِ الْإِنْسَانِ وَكَالْفَارِ وَالْبَرَاغِيْثِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مَا يَخْلُقُ مِنَ الْمَاءِ وَالْتَّرَابِ .

وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيمَا يَخْلُقُ اللَّهُ مِنَ الْحَيْوَانِ وَالْبَنَاتِ وَالْمَعْدَنِ وَالْمَطَرِ  
وَالنَّارِ الَّتِي تُورِي بِالْزَّيَادِ وَغَيْرُ ذَلِكَ هُلْ تَحْدُثُ أَعْيَانَ هَذِهِ الْأَجْسَامِ فَتَقْلِبُ  
هَذَا الْجَنْسَ إِلَى جَنْسٍ آخَرَ كَمَا يَقْلِبُ الْمَنِيْعَةَ ثُمَّ هَذِهِ أَعْرَاضُهُ أَوْ لَا تَحْدُثُ إِلَّا أَعْرَاضُ  
وَأَمَا الْأَعْيَانُ الَّتِي هِيَ الْجَوَاهِرُ فَهِيَ بِاقِيَّةٌ بِغَيْرِ صَفَاتِهَا بِمَا يَحْدُنُهُ فِيهَا مِنَ الْأَكْوَانِ  
الْأَرْبَعَةِ الْاجْتِمَاعِ وَالْافْتَرَاقِ وَالْحَرْكَةِ وَالسَّكُونِ عَلَى قَوْلِينَ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ  
الْأَجْسَامَ مَرْكَبَةٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرِدَةِ الَّتِي لَا تَنْقِبُ التَّجْزِيَّةَ كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ  
أَهْلِ الْكَلَامِ وَأَمَّا مِنْ جَوَاهِرِ لَأَنْهَايَا هَذَا كَمَا يَحْسُكُ عَنِ النَّظَامِ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ  
الْأَجْسَامَ مَرْكَبَةٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحْدُثُ شَيْئًا قَاتِمًا بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا  
يَحْدُثُ الْأَعْرَاضَ الَّتِي هِيَ الْاجْتِمَاعُ وَالْافْتَرَاقُ وَالْحَرْكَةُ وَالسَّكُونُ وَغَيْرُ  
ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ .

ثُمَّ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْجَوَاهِرَ مُحَدَّثَةَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَحْدَثَهَا ابْتِدَاءً ثُمَّ جَيَعَ  
مَا يَحْدُنُهُ إِنَّمَا هُوَ أَحْدَاثُ أَعْرَاضٍ فِيمَا لَا يَحْدُثُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَوَاهِرٌ وَهَذَا  
قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَنَحْوُهُمْ ، وَمِنْ أَكْبَرِ هُؤُلَاءِ مَنْ يَظْنُ  
أَنَّ هَذَا دِينُ الْمُسْلِمِينَ وَيَذَكُرُ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلٌ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ  
مِنْ سُلْفِ الْأَمَةِ وَلَا جَهْمُورِ الْأَمَةِ بِلْ جَهْمُورِ الْأَمَةِ حَتَّى مِنْ طَوَافِنَ أَهْلِ  
الْكَلَامِ يَنْكِرُونَ الْجَوَاهِرَ الْفَرِدَ وَتَرْكِبُ الْأَجْسَامَ مِنَ الْجَوَاهِرِ ، وَابْنُ كَلَابٍ  
أَمَامُ أَتَابِعِهِ هُوَ بْنُ يَنْكِرِ الْجَوَاهِرِ الْفَرِدِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرُ بْنُ فُورَكَ فِي مَصْنَفِهِ الَّذِي صَنَفَهُ فِي مَقَالَاتِ ابْنِ  
كَلَابٍ وَمَا يَبْيَنُهُ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّ مِنَ الْخَلَافِ وَهَكُذا نَفِي الْجَوَاهِرُ الْفَرِدُ قَوْلُ  
الْهَشَامِيَّةِ وَالضَّرَارِيَّةِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْكَرَامِيَّةِ وَالنَّجَارِيَّةِ أَيْضًا ، وَهُؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ

هأن الأجهـام مركبة من الجوـاهـر الفـردة المشـهـور عـنـهم بـأنـ الجوـاهـر مـتـهـلـلةـةـ بلـ ويـقـولـونـ أوـ أـكـثـرـمـ أنـ الأـجـهـامـ مـنـهـاـلـةـ لـأـنـمـاـ مـرـكـبـةـ منـ الجوـاهـرـ المـتـهـلـلـةـ وإنـاـ اـخـتـالـفـ باـخـتـالـفـ الـأـعـراـضـ وـتـلـكـ صـفـاتـ عـارـضـةـ لهاـ لـيـسـ لـازـمـةـ فـلـاـ تـنـفـيـ الـقـائـلـ فـإـنـ حـدـ المـثـلـينـ أـنـ يـجـوزـ عـلـىـ أحـدـهـماـ ماـ يـجـوزـ عـلـىـ الـآـخـرـ وـيـحـبـ لـهـ مـاـ يـحـبـ لـهـ وـيـمـتـنـعـ عـلـيـهـ مـاـ يـمـتـنـعـ عـلـيـهـ وـكـذـلـكـ الـأـجـهـامـ الـمـؤـلـفـةـ منـ الجوـاهـرـ .

وـهـذـاـ إـذـاـ أـنـبـتوـاـ حـكـاـ لـجـسمـ قـالـواـ هـذـاـ ثـابـتـ بـجـمـيعـ الـأـجـهـامـ بـنـاءـ عـلـىـ الـقـائـلـ وـأـكـثـرـ الـعـقـلـاءـ يـنـكـرـونـ هـذـاـ وـحـذـاقـهـمـ قـدـ أـبـطـلـواـ الـحجـجـ الـتـيـ اـحـتـجـواـ بـهـاـ عـلـىـ الـمـتـهـلـلـةـ كـاـذـكـرـ ذـلـكـ الرـازـىـ وـالـأـمـدـىـ وـغـيـرـهـماـ وـقـدـ بـسـطـ الـكـلـامـ عـلـىـ هـذـاـ فـيـ مـوـاضـعـ وـالـأـشـعـرـىـ فـيـ كـتـابـ الـإـبـانـةـ جـعـلـ الـقـوـلـ بـمـتـهـلـلـ الـأـجـهـامـ مـنـ أـقـوـالـ الـمـعـتـزـلـةـ الـتـيـ أـنـسـكـرـهـاـ وـهـؤـلـاءـ يـقـولـونـ أـنـ الـرـبـ يـخـصـ أـحـدـ الـجـسـمـينـ الـمـتـهـلـلـينـ بـأـعـراـضـ دـرـونـ الـآـخـرـ بـمـجـرـدـ الـمـشـيـةـ عـلـىـ أـصـلـ الـجـمـيـةـ أـوـ لـمـعـنـىـ آـخـرـ مـاـ يـقـولـهـ الـقـدـرـيـةـ وـيـقـولـونـ يـمـتـنـعـ انـقـلـابـ الـأـجـهـامـ فـلـاـ يـنـقـلـبـ الـجـسـمـ عـرـضاـ وـلـاـ جـذـساـ مـنـ الـأـعـراـضـ إـلـىـ جـنـسـ آـخـرـ فـلـوـ قـالـواـ هـذـاـ مـنـ الـأـجـهـامـ مـخـلـوـفةـ وـأـنـ الـخـلـوقـ يـنـقـلـبـ مـنـ جـنـسـ آـخـرـ لـزـمـ انـقـلـابـ الـأـجـهـامـ فـهـؤـلـاءـ يـقـولـونـ أـنـ التـوـلـدـ الـحـاـصـلـ فـيـ الـرـحـمـ وـالـثـئـرـ الـحـاـصـلـ فـيـ الشـجـرـ وـالـنـارـ الـحـاـصـلـةـ فـيـ الزـنـادـ هـىـ جـوـاهـرـ كـانـتـ فـيـ الـمـادـةـ الـتـيـ خـلـقـهـاـ وـهـىـ بـعـيـنـهـاـ باـقـيـةـ لـكـنـ غـيـرـتـ صـفـتهاـ بـالـاجـتـمـاعـ وـالـافـتـاقـ وـالـحـرـكـةـ وـالـسـكـونـ .

وـهـذـاـ مـاـ ذـكـرـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الرـازـىـ أـدـلـةـ إـثـابـ الصـانـعـ ذـكـرـ أـرـبـعـةـ طـرـقـ إـمـكـانـ الـذـوـاتـ وـحـدـوـثـهاـ وـإـمـكـانـ الـصـفـاتـ وـحـدـوـثـهاـ وـالـطـرـقـ الـثـلـاثـةـ الـأـوـلـ ضـعـيـفـةـ بـلـ بـاطـلـةـ فـإـنـ الـذـوـاتـ الـتـيـ اـدـعـواـ حـدـوـثـهـاـ أـوـ إـمـكـانـهـاـ وـإـمـكـانـ صـفـاتـهـاـ ذـكـرـوـهـاـ بـالـفـاظـ بـحـمـلـةـ لـاـيـقـمـيـزـ فـيـهـاـ الـخـالـقـ عـنـ الـخـلـوقـ وـلـمـ يـقـيمـوـاـ عـلـىـ مـاـ دـادـعـهـ دـلـيلـاـ صـحـيـحاـ ،ـ وـأـمـاـ طـرـيقـ الـرـابـعـ وـهـوـ الـحـدـوـثـ لـمـ يـعـلـمـ حـدـوـثـهـ فـهـوـ طـرـيقـ صـحـيـحـ وـهـوـ طـرـيقـ الـقـرـآنـ لـكـنـ قـصـرـوـاـ فـيـهـ غـايـةـ التـقـصـيرـ فـإـنـهـمـ عـلـىـ أـصـلـهـمـ لـمـ (ـ٣ـ - تـقـسـيـمـ سـوـرـةـ الـإـلـحـامـ)

يشهدوا حدوث شيء من النوات بل حدوث الصفات وطريقة القرآن تبين أن كل ماسوى الله مخلوق وأنه آية له .

وقد بسط الكلام على ما في القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل إليها هؤلاء المتكلمة والمنفليفة وأن كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول بإثبات الجوهر الفرد كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه فصاروا على قولين منهم من يقول بعدم الجوهر ثم تمام ومنهم من قال تفرق الأجزاء ثم تجتمع فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله إنسان آخر فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً فإذا الذي يعاد فهو الذي كان وقت الموت ؟ فإن قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ماجاء به النصوص وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض فأدعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ماذكره في المعاد مما قرر شبهة المتكلفة في إنكار معاد الأبدان وأوجب أن صار طافحة من النظر إلى أن الله يخلق بدن آخر تعود الروح إليه والمقصود تنعيم الروح وتعزيها سواء كان في هذا البدن أو في غيره .

وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريرة بإعادة هذا البدن وهذا المذكور في كتب الرأى وليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل أصول الدين الكبير القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول وكان عليه سلف الأمة وأئتها بل يذكر بمحوث المتكلفة الملاحدة وبمحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والموتا والمعاد وكل الطریقین فامد إذ بنوه على مقدمات فاسدة .

والقول الذى عليه السلف وجمهور العقلاه من أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال إنما يذكره عن الفلاسفة والأطباء وهذا القول وهو القول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ويتحيلها من جسم إلى جسم هو الذى عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور وهذا يقول الفقهاء في النجاسة هل تظهر بالاستحالة أم لا كما تستحلل العنزة رمادا والخنزير وغيره ملحا ونحو ذلك والمى الذى في الرحم يقلبه الله علقة ثم مضنة وكذلك المفر يختلف بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذى نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته وكذلك الحبة ينافقها وتتقلب المواد التي يختلفها منها سببية وشجرة وغيرها ذلك .

وهكذا خلقه لما يختلفه سبحانه وتعالى كما خلق آدم من الطين فقلبحقيقة الطين ب فعلها عظيا ولها وغير ذلك من أجزاء البدن وكذلك المضنة يقلبها عظاما وغير عظام قال الله تعالى ( ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضنة خلقنا المضنة عظاما فكسو نا العظام ثم ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيمة تعيشون ) وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال ( الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ) فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة إلى هذا وبما ضمه إلى هذا من مواد أخرى .

وكذلك الإعادة يعيده بعد أن يليل كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل ابن آدم يليل إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه تركب ، وهو إذا أعاد الإنسان في النشأة الثانية لم تكن

ذلك النشأة مماثلة لهذه فإن هذه كانته فاسدة وتلك كانته لا فاسدة بل باقية دائمة  
وليس لأهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كائنة في الصحيح عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا ييصفون  
ولا يتمخرطون وإنما هو رشح كرش المسك ، وفي الصحيح بين عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال ، يكشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ ( كابدانا أول  
خلق نعده وعدا علينا أنا كتنا فاعلين ) فهم يعودون غلما لا يختونين .

وقال الحسن البصري ومجاهد : كما بدأكم خلقكم في الدنيا ولم تكنونا شيئاً كذلك تعودون يوم القيمة أحياء ، وقال قتادة بذاته من التراب وإلي التراب يعودون كما قال تعالى ( منها خلقناكم وفيها نعيدهم ومنها نخرجكم ثانية ) وقال ( فيها تحيرون وفيها تموتون ومنها نخرج جنون ) .

وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الثانية يحيى الأرض [بعد موتها في غير موضع كقوله] (وهو الذي يرسل الرياح بثرا بين يدي رحمة حتى إذا أفلت سباباً نفلاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فآخر جنباً به من كل الثارات كذلك يخرج الموتى لعلمكم تذكرون) وقال (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي) إلى قوله (وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) وقال تعالى (يا أيها الناس إن كتم في رب من البعث فإنما خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مختلفة وغير مختلفة لتبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يربى إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت ون كل زوج يحيى ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قادر) .

وقال تعالى : ( الله الذى يرسل الرباح فتثير سحابا فسقاها إلى بلد ميت فأخينا به الأرض بعد موتها كذلك التشور ) وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيي العظام وهي رسم وأنه يخرج الناس من الأرض تارة

آخرى هو يخبر أن المعاد هو المبدأ كقوله تعالى ( وهو الذى يبدأ الخلق <sup>م</sup>  
يعيده ) ويخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى ( وقالوا أنتا كنا عظاما  
ورفأنا أنتا لم بعثون خلقاً جديداً أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات  
والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لاريب فيه ) .

وقال تعالى : « وقالوا أنتا كنا عظاماً ورفأنا أنتا لم بعثون خلقاً جديداً  
قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً بما يكابر في صدوركم فسيقولون من  
يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسلينبغضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو  
قل عسى أن يكون قريباً يوم يدعوكم فتستجيبون بمحمه وتنظرون إن لي ثم  
إلا قليلاً » . وقال تعالى ( أو ليس الذى خلق السموات والأرض قادر على أن  
يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ) . وقال تعالى ( أو لم يروا أن الله الذى خلق  
السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على  
كل شيء قادر ) . وقال ( أفرأيتم ماتنفون أللهم تخلقوه أم نحن الخالقون نحن  
قدرنا ينشئكم الموت وما نحن بمسوقين على أن نبدل أمثالكم ونشتكم فيها  
لاتعلمنون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ) .

والمراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في  
قوله ( أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن  
بقادره على أن يحيى الموتى ) فإن القوم ما كانوا ينزاعون في أن الله يخلق في  
هذه الدار ثانياً أمثالهم فإن هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرناً بعد قرن يخلق  
الولد من الوالدين وهذه هي النشأة الأولى وقد علموها ، وبها احتاج عليهم  
على قدرته على النشأة الآخرة كما قال ( ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا  
تذكرون ) . وقال ( وضرب لنلا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي  
رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) . وقال ( يا أيها  
الناس إن كنتم في ريب منبعث فإذا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من  
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لتبين لكم ) . ولهذا قال ( على أن نبدل  
أمثالكم ونشتكم فيها لاتعلمنون ) .

قال الحسن بن الفضل البجلي الذى عندى في هذه الآية وتشكلت فيها  
لاتعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى بخلقكم للبعث بعد الموت من حيث  
لاتعلمون كيف شئت وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في طور  
الأمهات وليس الآخرة كذلك ، وعلومنا أن النشأة الأولى كان الإنسان  
نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة ثم ينفح فيه الروح وتلك النطفة من مني  
الرجل والمرأة وهو يغذيه بدم الطمث الذى يربى الله في ظلمات ثلاثة :  
ظلمة المشيمة وظلمة الرحم . وظلمة البطن ، والنشأة الثانية لا يسكنون في بطنه  
امرأة ولا يذون بدم ولا يكون أحدهم نطفة رجل وامرأة ثم يصير علقة بل  
ينشئون نشأة أخرى وتكون المادة من التراب كما قال ( منها خلقناكم وفيها  
نعيديكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ) .

وقال تعالى : ( فيها تحيرون وفيها تموتون ومنها تخرجون ) وقال ( والله  
أنتـكم من الأرض بناها ثم يعيديكم فيها ويخرجكم لآخر اجا ) .

وفي الحديث وإن الأرض تطر مطر أكمي الرجال ينتبهون في القبور كما  
ينبئ النساء ، كما قال تعالى كذلك الخروج كذلك النشور وكذلك نخرج  
المولى لعلكم تذكرون فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس يتفرقان وبينهما  
ويتشابهان من وجه ويفترقان ويتبعوان من وجه آخر ، وهذا جمل الماد  
هو المبدأ وجعل مثله أيضا باعتبار اتفاق المبدأ أو الماء فهو هو وباعتبار  
ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله .

وهكذا كل ما أعيد فإنه ظ الإعادة يقتضى المبدأ أو الماء سواء في ذلك  
إعادة الأجسام والأعراض كإعادة الصلاة وغيرها فإن النبي صلى الله عليه وسلم  
من برجل يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة ويقال للرجل :  
أعد كلامك وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ويميد الدرس فالكلام هو  
الكلام وإن كان صوت الثاني غير صوت الأول وحركته ولا يطلق القول

عليه أنه مثله بل قد قال تعالى (قل لئن اجتمع الجن والإلٰس على أن يأْتُوا به مثل هذا القرآن لا يأْتُون بمنه) .

وكان رسول الله صل الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثة وإن كان يسمى مثلاً مقيداً حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان أى مثل هذا قال ويقال فعل هذا عوداً على بدءه إذا فعله مرة ثانية بعد أولى ومنه البذر البذر العادي فالبذر الذي ابتدأ العادي الذي أعيدت وليس بنسبة إلى عاد كافيل ، ويقال استعدته الشيء فأعاده إذا سأله أن يفعله مرة ثانية ومنه سميت العادة يقال عادة واعتاده وتعوده أى صار عادة له ، وعود كلبه الصيد فتعوده وهو من المعاودة والمعاودة الرجوع إلى الأمر الأول ويقال الشجاع معاود لأنه لا يمل المرأس وعاودته الحمى وعاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد مرة وتعاود القوم في الحرب وغيرها إذا عاد كل فريق إلى صاحبه والعواد بالضم ما أعيد من الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى ، وعواد يعني عد مثل نزال بمعنى أنزل في جميع هذه الموارد يستعمل لفظ الإعادة باعتبار الحقيقة فإن الحقيقة الموجودة في المرة الثانية هي الأولى وإن تعدد الشخص .

ولهذا يقال هو مثل ويقال هذا هو هذا وكلامها صحيح وأعني بالحقيقة الأمر الذي يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فإن من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده وإنما يقال حاكاه وشابه بخلاف ما إذا فعل ثانية مثل ما فعل أولاً فإنه يقال أعاد فعله وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ولا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده ويقال قوله على هذا وأعاد على هذا وهذا يقرأ أى يدرس وهذا يعيد ولو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد .

وكذلك من كسر خاتماً أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان ويقال

لمن ددم داراً أعدها كما كانت بخلاف من أنساً أخرى منها فإن هذا لا يسمى  
معيناً والمعاد يقال فيه هذا هو الأول بعينه ويقال هذا مثل الأول من كل  
وجه ونحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو هو من وجه وهو مثله  
من وجه ، وبهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع كقول من قال  
الإعادة لاتكون إلا مع إعادة ذلك الرمان ونحو ذلك ، ما يمنع إعادةه في  
صرح العقل وإنما يعاد بالإثبات بمثله وإن قال بعض المتكلمين أنه لامغایرة  
أصلاً بوجه من الوجوه والإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في  
هذا الخطاب وهي الإعادة التي فهمها المشركون والملائكة عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهي التي يدل عليها لفظ الإعادة والمعاد هو الأول بعينه  
وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأ فرق بذلك الفرق لا يمنع أن يكون  
قد أعيد الأول لأن الجسد الثاني مباهن الأول من كل وجه كما زعم بعضهم  
ولأن النشأة الثانية كال الأولى من كل وجه كما ظان بعضهم .

وكما أنه سبحانه خلق الإنسان ولم يكن شيئاً كذلك يعيده بعد أن لم يكن  
شيئاً ، وعلى هذا فالإنسان الذي صار تراباً ونبت من ذلك التراب نبات أكله  
إنسان آخر وهم هم والإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان وأكل ذلك  
الحيوان إنساناً آخر ففي هذا كما قد دعمنا بهذا الإنسان وهذا الإنسان فصار  
كل منهما تراباً كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب إنما  
يبيّن عجب الذنب منه خلق ومنه ترك .

وأما سائره فدم فيعاد من المادة التي استهحال إليها فإذا استحال في القبر  
الواحد ألف ميت وصاروا كالم تراباً فاينهم يعادون ويقومون من ذلك القبر  
وينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عندما محسناً كما أنشأهم أولاً بعد أن كانوا عندما  
محسناً وإذا صار ألف إنسان تراباً في قبر أنساً هؤلاء من ذلك القبر من  
غير أن يحتاج أن يخلقهم كخلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفةٍ  
ثم من علقة ثم من مضعة وجعل نشأتهم بما يستحب إلى أبدانهم من الطعام

والشراب مما يستحيل إلى يدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان.

وكذلك لو أكل إنساناً أو أكل حيواناً قد أكل إنساناً فالنشأة الثانية لا يخلقها فيها بمثل هذه الاستحالات بل يعيد الأجساد من غير أن ينقطم من نطفة إلى علقة إلى مضغة ومن غير أن يغدوها بدم الطمث ومن غير أن يغدوها بين الأم وبسائر ما يأكله من الطعام والشراب فن ظن أن الإعادة تحتاج إلى إعادة الأغذية التي استحالت إلى أجسادهم فقد غلط وحيثند فإذا أكل إنسان إنساناً فما ي absor غذاء له كسائر الأغذية وهو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية وملعون أن الغذاء ينزل إلى المعدة طعاماً وشراباً ثم يصير كاؤساً كاذرة ثم كيموساً كالمريدة ثم ينطيخ دماً فيقسمه الله تعالى في البدن كله ويأخذ كل جزء من البدن نصيه فيستحيل الدم إلى شيء ذلك الجزء العظم عظماً والجسم لحماً وعرقاً عرفاً وهذا في الرزق كاستحالاتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة وكما أنه سبحانه لا يحتاج في الإعادة إلى أن يجعل أحدهم نطفة ثم علقة ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها فاكهة ولحماً ثم يجعلها كاؤساً وكيموساً ثم دماً ثم عظماً ولحماً وعروقاً بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال ( وتنشئكم فيها لاتعلمون ) .

ولا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الاستحالات التي كانت في النشأة الأولى وبهذا يظهر الجواب عن قوله البدن داماً في التحلل فإن تحلل البدن ليس بأعجب من انقلاب النطفة علقة والعلقة مضغة وحقيقة كل منها خلاف حقيقة الأخرى .

وأما البدن المتحلل فالجزاء الثانية تشبه الأولى وتماثلها وإذا كان في الإعادة لا يحتاج إلى انقلابه من حقيقة إلى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب التحلل وملعون أن من رأى شخصاً وهو شاب ثم رآه وهوشيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الاستحالة وكذلك سائر الحيوان والنبات كمن غاب عن

شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع أن التحلل والاستحالة ثابتة في سائر الحيوان والنبات كما هو في بدن الإنسان.

ولا يحتاج عاقل في اعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى وأن هذه الفرس هي التي كانت عنده من سنين ولا أن هذا الإنسان هو الذي رأى من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل ولا يخطر هذا ببال أحد ولا يقتصر العقلاء في قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التي لا تعرف ولا تتميز عن غيرها بل إنما يشيرون إلى جملة الشجرة والفرس والإنسان مع أنه قد يكون كان صغيراً فكبير ولا يقال إنما كان هو ذاك باعتبار أن النفس الناطقة واحدة كازعمه من ادعى أن البدن الثاني ليس هو الأول ولكن المقصود جزء النفس بنعيم أو عذاب ففي أي بدن كانت حصل المقصود فإن هذا أيضاً باطل مخالف لكتاب والسنة وإجماع السلف مخالف للعقل من الإعادة.

فإانا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون هذا الفرس هو ذاك وهذه الشجرة هي تلك التي كانت من سنين مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه وتقوم بذاتها وكذلك يقولون مثل هذا في الحيوان وفي الإنسان مع أنه لم يخطر بقولهم أن المشار إليه بهذا ذاك نفس مفارقه بل قد لا يخطر هذا بقولهم فدل على أن العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذاك مع وجود الاستحالة وعلم بذلك أن ما ذكر من الاستحالة لا ينافي أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هذا هو البدن ولهذا يشهد البدن المعاد بما عمل في الدنيا كما قال تعالى (اليوم نختم على أفواهمهم وتتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون).

وقال تعالى (حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودم بما كانوا يعملون وقالوا جلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء).

و معلوم أن الإنسان لو قال أو فعل فعلاً أو رأى غيره يفعل أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثة سنين شهد على نفسه بما قال أو فعل وهو الإقرار الذي يواخذ بموجبه أو شهد على غيره من الأموال وأقربه من الحقوق لكان الشهادة على حين ذلك المشهود عليه مقبولة مع استحالة بدنه في هذه المدة الطويلة ولا يقول عاقل من العقلاه أن هذه الشهادة على مثله أو على غيره ولو قدر أن المعين حيوان أو نبات وشهد أن هذا الحيوان قبضه هذا من هذا وأن هذا الشجر سله هذا إلى هذا كان كلاماً معقولاً مع الاستحالة وإذا كانت الاستحالة غير مؤثرة .

فقول الفائل يعنيه على صفة ما كان وقت موته أو سنه أو هز الله وغير ذلك جهل منه فإن صفة تلك النشأة الثانية ليست مائة لصفة هذه النشأة حتى يقال أن الصفات هي المぎزة إذا ليس هناك استحالة ولا استفراغ ولا امتلاء ولا سمن ولا هزال لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آيةها آدم طول أحدهم ستون ذراعاً كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروى أن عرضه سبعة أذرع وهم لا يرون ولا يتغوطون ولا يصدقون ولا يتمخطون وليس تلك النشأة من أخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها ببعضها كما هي هذه النشأة ولا طعامهم مستحيلاً ولا شرابهم مستحيلاً من التراب والماء والهواء كما هي أطعامهم في هذه النشأة وهذا أبقى الله طعام الذي من على قربة وشرابه مائة عام لم يتغير ولذاته سبحانه بهذا على قدرته فإذا كان في دار الكون والفساد يبقى الطعام الذي هو رطب وعنبر أو نحو ذلك والشراب الذي هو ماء أو ما فيه ماء مائة عام لم يتغير فقدرته سبحانه وتعالي على أن يجعل الطعام والشراب في النشأة الأخرى لا يتغير بطريق الأولى والأخرى ، وهذه الأمور ليس بها موضع آخر .

### ( فصل )

ومقصود هنا أن التولد لا بد له من أصلين وإن ظن ظان أن نفس الهواء

الذى بين الزنادين يستحيل ناراً بسخونته من غير مادة تخرج منها تهليب ناراً فقد غلط وذلك لأنه لا تخرج ناراً لم يخرج منها مادة بالحلك ولا تخرج النار بمجرد الحلك .

وأيضاً فإنهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان والحراق فتنزل النار عليه وإنما ينزل القليل فولاً أن هناك جزاً تقليلاً من الزناد الجديد والحجر لما نزلت النار ولو كان الهواء وحده انقلب ناراً لم ينزل لأن الهواء طبعه الصعود لا الهبوط لكن بعد أن تنقلب المادة الخارجة ناراً قد ينقلب الهواء القريب منها ناراً إما دخاناً وإما هباءً والمقصود أن المتولدات خلقت من أصلين كما خلق آدم من التراب والماء وإلا فالتراب المحسن الذي لم يختلط به ماء لا يخلق منه شيء لا حيوان ولا نبات والنبات جميعه إنما يتولد من أصلين أيضاً، واليس المسيح خلق من مريم ونفخة جبريل كما قال تعالى: (وَمِنْ إِنَّهُ عُمَرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سُوِّيَا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كَفَتْ تَقْيَا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا هُوَ غَلامًا زَكِيَا ) .

وقد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها والجيب هو الطوق الذي في العنق ليس هو ما يسميه بعض العامة جبياً وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدرع ونحوها، وموسى لما أمره أن يدخل يده في جيبه هو ذلك الجيب المعروف في اللغة ،

وذكر أبو الفرج وغيره قولين هل كانت النفخة في جيب الدرع أوفي الفرج ؟ فإن من قال بالأول قال في فرج درعها وأن من قال هو مخرج الولد قال إنها كفاية عن غير مذكور لأنه إنما نفخ في درعها لاف فرجها وهذا ليس بشيء بل هو عدول عن صريح القرآن وهذا النقل إن كان ثائباً لم

ينافق القرآن وإن لم يكن ثابتاً لم يلتفت إليه فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع فراده أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكشف بذنهما وكذلك جبريل كان إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعاشرة متجردة لم ينظر إليها متجردة نفخ في جيب الدرع فوصلت النفحة إلى فرجها .

والمقصود إنما هو النفخ في الفرج كما أخبر الله به في آياتين ول إلا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن مع أنه لأنثى له في حصول الولد ولم يقل ذلك أحد من أمم المسلمين ولا قبله حد عن عالم معروف من السلف .

والمقصود هنا أن المسيح خلق من أصلين من نفخ جبريل ومن أمّه مريم وهذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر والجنين مضغة فإن ذلك نفخ في بدن قد خلق وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ولا كانت مريم حملت وإنما حملت به بعد النفخ بدليل قوله : ( قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيأ خملته فانبتت به مكاناً قصياً ) .

فلما نفخ فيها جبريل حملت به وهذا قيل في المسيح روح منه باعتبار هذا النفخ وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبها وقال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيأ فقوله ونفخنا فيها أو فيه من روحنا أي من هذا الروح الذي هو جبريل وعيسي روح من هذا الروح فهو روح من الله بهذا الاعتبار ومن لا ينطأ الغاية ، والمقصود هنا أنه قد يكون الشيء من أصلين بانقلاب المادة التي ينتمي لها إذا التقى وينتمي مادة فتنقلب وذلك لقوة حمله أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزاءها وهذا مثل تولد النار بين الزنادين إذا قدر الحجر بالحديد أو الشجر بالشجر كالمريخ والعفار فإنه بقدرة الحمر كالماء من قدر أحدهما بالآخر

ويستحيل بعض أجزائهما ويسخن الهواء الذى بينهما فيصير ناراً والزندان  
كلا قدح أحدهما بالآخر تفاصت إحداهما بقوة الحلك فهذه النار استحال  
عن الهواء وتلك الأجزاء بسبب قدح أحد الزنددين بالآخر وكذلك النور  
الذى يحصل بسبب افتعاس الشعاع على ما يقابل المضي كالشمس والقمر ،  
فإن لفظ النور والضوء يقال نارة على الجسم القائم بنفسه كالنار التى فى رأس  
المصباح وهذه لا تحصل إلا بمادة تقلب ناراً كالمخطب والدهن ويستحيل  
الهواء أيضاً ناراً ولا ينقلب الهواء ناراً إلا بنقص المادة التي اشتعلت أو نقص  
الزنددين ، وتارة يراد بلفظ النور والضوء والشعاع الشعاع الذى يكون على  
الأرض والحيطان من الشمس أو من النار فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه  
لابد له من محل يقوم به يكون قابلاً له فلابد في الشعاع من جسم مضيء ولا بد  
من شيء يقابلة حتى ينعكس عليه الشعاع وكذلك النار الحاصلة في ذيالة  
المصباح فإذا وضعت في النار أو وضع فيها حطب فإن النار تحمل أولًا  
المادة التي هي الدهن أو المخطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب ناراً وإنما  
ينقلب بعد نقص المادة وكذلك الريح التي تحرك النار مثل ما تهب الريح  
فيشتغل في المخطب ومثل ما ينفتح في الكير وغيره تبقي الريح المنفوخة تضرم  
في النار لما في محل النار كالخشب والفحيم من الاستعداد لانقلابه ناراً وما في  
حركة الريح القوية من تحريك النار إلى محل القابل له ، وقد ينقلب أيضاً  
الهواء القريب من النار فإن الهيب هو الهواء انقلب ناراً مثل ما في زبالة  
المصباح .

ولهذا إذا طفت صار دخاماً وهو هواء مختلط بنار كاليخار وهو هواء  
مختلط بماء والغبار هواء مختلط بتراب ، وقد يسمى البخار دخاناً ومنه قوله تعالى : ( ثم استوى إلى السماء وهي دخان ) .

قال المفسرون : بخار الماء كما جاءت الآيات أن الله خلق السموات من

بخار الماء وهو الدخان فالدخان الهواء المختلط بشيء حار ثم قد لا يكون فيه ماء وهو الدخان الصرف وقد يكون فيه ماء فهو دخان وهو بخار كبخار القدر وقد يسمى الدخان بخاراً فيقال لمن استجمر بالطيب تبخر وإن كان لارطوبة هنا بل دخان الطيب سمى بخاراً

قال الجوهرى بخار الماء ما يرفع منه كالدخان والبغور بالفتح ما يتبع به لكن إنما يصير الهواء ناراً بعد أن تذهب المادة التي انقلبت نازحاً كالحطب والدهن فلم تتولد النار إلا من مادة كما لم يتولد الحيوان إلا من مادة .

### (فصل)

والمقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من الأعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصلين ومن الفصال جزء من الأصل وإذا قيل في الشيع والرى أنه متولد أوفى ذهوق الروح ونحو ذلك من الأعراض أنه متولد فلا بد في جميع ما يستعمل فيه هذا القبط من أصلين لكن العرض يحتاج إلى محل لا يحتاج إلى مادة تنقلب عرضاً بخلاف الأجسام فإنها إنما تخلق من مواد تنقلب أجساماً كأن تقلب إلى نوع آخر كأنقلاب الماء على قمة مضغة وغير ذلك من خلق الحيوان والنبات ، وأما ما كان من أصل واحد كخلق حواء من ضلع القصري وهو وإن كان مخلوقاً من مادة أخذت من آدم فلما يسمى هذا تولداً وهذا لا يقال إن آدم ولد حواء ولا يقال أنه أبو حواء بل خلق الله حواء من آدم كما خلق آدم من الطين .

وأما المسيح فيقال أنه ولدته مريم ويقال المسيح ابن مريم فكان المسيح جزءاً من مريم وخلق بعد نفخ الروح في فرج مريم كما قال تعالى ( ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وصدق بكلمات ربها وكتبه وكانت من الفاتحين ) وفي الأخرى ( فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابتها آية للعالمين ) .

وأما حواء خلقها الله من مادة أخذت من آدم كاً خلق آدم من المادة الأرضية وهي الماء والتربة والربيع الذي أيسه حتى صار صاحلاً فلهمذا لا يقال آدم ولد حواء ولا آدم ولد التراب ، ويقال في المسيح ولدته مريم فإنه كان من أصلين من مريم ومن النفح الذي نفخ فيها جبريل .

قال الله تعالى ( فأرسلنا إلها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيناً قال إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً رذكيأ قالت أني يكون لي غلام ولم يمسني بشر ولم أك بغيها قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقتضاها فحملته فاتبعت به مكاناً تصيماً ) إلى آخر القصة فهي إنما حملت به بعد النفح لم تحمل به مدة بلا نفح ثم نفخت فيه روح الحياة كسائر الأدبين ففرق بين النفح للحمل وبين النفح لروح الحياة ، فتبين أن ما يقال أنه متولد من غيره من الأعيان القائمة بنفسها فلا يكون إلا من مادة تخرج من ذلك الوالد ولا يكون إلا من أصلين والرب تعالى صمد فيمتنع أن يخرج منه شيء وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع أن يكون له ولد .

وأما ما يستعمل من تولد الأعراض كـ يقال تولد الشعاع وتولد العلم عن الفكر وتولد الشبع عن الأكل وتولد الحرارة عن الحر كـ ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الأعيان مع أن هذا لا بد له من محل ولا بد له من أصلين وهذا كان قول النصارى أن المسيح ابن الله مستلزمـ لأن يقولوا أنـ مريم صاحبة الله فيجعلون له زوجة وصاحبة كما جعلوا الله ولداً بأى معنى فسروا كونـه ابنـه فإنه يفسـر الزوجـ بذلك المعنى والأدلة بتزويـه عن الصاحـة توجـب تزويـه عنـ الـولـد فإذا كانوا يصفـونـه بما هو أبعدـ عنـ اتصـافـهـ بهـ كانـ اتصـافـهـ بماـ هوـ أقلـ بـعـدـ لـازـماـ لهمـ وقدـ بـسطـ هـذاـ فيـ الرـدـ عـلـيـ النـصـارـىـ .

## (فصل)

### في قول اليهود والنصارى في الرب جل وعز

وهذا مما يبين أن مازه الله نفسه ونفاه عنه بقوله ( لم يلد ولم يولد ) وبقوله ( ألا إله من إفكهم ليقولون ولد الله وأنهم لكاذبون ) وقوله ( وجعلوا الله شركاً له الجن والخلقن وخرقاً له بنين وبنات بغير علم سبحانه ) وتعالى عما يصفون بدين السموات والأرض أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عالم ) يعم جميع الأنواع التي قد ذكر في هذا الباب عن بعض الأمم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لاصطفاءه كما قال تعالى ( وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنبكم بل أتقم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويئذن بمن يشاء والله ملك السموات والأرض وما ينهموا وإليه المصير ) .

قال السدى : قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكرى من الولد فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد آخر جزءاً كل مختون من بنى إسرائيل وقد قال تعالى ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ) وقال ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولد من الذل ) وقال ( ببارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء قادره تقديرها و قالوا اتخذ الرحمن ولدأ سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقوه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا من ارتكبوا وهم من خشيتهم مشفعون ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ) وقال ( وقال الله لا تحذوا إلهاً لذين إنما هولاه واحد فليأي فارهبون وله ) ( ٤ - تفسير سورة الإخلاص )

ما في السموات والأرض وله الدين وأصيابا) إلى قوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) إلى قوله (ويجعلون لله البنات سبحانه وله ما يشتهون) وقال (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقي في جهنم ملوما مذحورا فأفاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أمانا إياكم لتفقولون قولًا عظيمًا ولقد صرفا في هذا القرآن ليذكروا وما يزددهم إلا تفوارق لوكان معه آلة كما يقولون إذا لابغوا إلى ذى العرش سبيلا).

وقال (فاستفتيهم أربك البنات ولهن البنون أم خلقنا الملائكة أنا وأنت وهم شاهدون إلا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون اصطنع البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلاتذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لا يخضرون سبحانه الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفانئين إلا من هو صالح الجحيم).

وقال (أفرأيت الالات والعزى ومنات الثالثة الأخرى أسلك الذكر وله الآثر تلك إذا قسمة ضيزي إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الضلال وما تروي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم المهدى) إلى قوله (إن الذين لا يؤمنون بالأخرة ليسون الملائكة تسمية الآثر) وقال تعالى (وجعلوا الله من عباده جزءا).

قال بعض المفسرين : جزءاً أى نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم جعلوا الله نصيبا من الولد ، وعن قنادة ومقابل عدلا وكل القوانيں صحيح فإنه يجعلون له ولدا والولد يشبه أبيه وهذا قال (ولإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحم مثلاظ وجبه مسودا) أى البنات كما قال في الآية الأخرى (ولإذا بشر أحدهم بالآثر) فقد جعلوها للرحم مثلًا وجعلوا الله من عباده جزءا فإن الولد جزء من الولد كما تقدم .

قال صلى الله عليه وسلم «إنما قاطمة بضعة مني»، قوله (وجعلوا الله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال الكلبي نزلت في الرنادفة قالوا إن الله وإبليس شريكان فالله خالق النور والناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وأما قوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) فقيل هو قوله الملاشكة بنات الله وسيم الملاشكة جنا لا جتناهم عن الأ بصار وهو قول مجاهد وقتادة، وقيل قالوا لحي من الملاشكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس وهم بنات الله، وقال الكلبي قالوا لعنهم الله، بل بذور تخرج منها الملاشكة قوله (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال بعض المفسرين كالتعليق لهم كفار العرب قالوا الملاشكة والأصنام بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله.

### (فصل)

في عقائد العرب في الرب وتحقيق عقائد النصارى فيه جل وعز

والذين كانوا يقولون من العرب أن الملاشكة بنات الله وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملاشكة فقد نفاه عنه بامتناع الصاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فإنه صمد، قوله (ولم تكن له صاحبة) وهذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون إلا من أصلين سواء في ذلك تولد الأعيان التي تسمى الجواهر وتولد الأعراض والصفات بل ولا يكون تولد الأعيان إلا باقصال جزء من الوالد فإذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له لأن الملاشكة ولا من الجن ولا من الإنس فلم يقل أحد منهم أن له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم، وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك إن كان قد قيل فهو مما يعلم اتفاقاً من وجوه كثيرة وكذلك ما قالته النصارى من إن المسيح ابن الله وما قاله طلاقفة من اليهود أن العزيز ابن الله فإنه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا.

فإن قيل : أما عوام النصارى فلا تنضبط أقوالهم وأما الموجود في كلام علمائهم وكتبهم فإنهم يقولون إن أقronym الكلمة ويسمونها الابن تدرع المسيح أى اتخذه درعا كما يتدرع الإنسان قيصه فاللاهوت تدرع الناسوت ويقولون باسم الآب والابن وروح القدس إله واحد ، قيل فصدقهم أن الرب موجود حتى علیم فالموجود هو الآب والعلم هو الابن والحياة هو روح القدس هذا قول كثیر منهم ، ومنهم من يقول بل موجود عالم قادر ويقول العلم هو الكلمة وهو المتردع والقدرة هي روح القدس فهم مشتركون في أن المتردع هو أقronym الكلمة وهي الابن .

ثم اختلفوا في التدرع واختلفوا هل هما جوهر أو جوهران ؟ وهل هما نسبة أو نسبتان و لهم في الحلول والاتحاد كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه فإن مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتذر ضبطه فإن قوله ليس مأخوذا عن كتاب منزل ولا نبی مرسى ولا هو موافق لعمول العقلاء فمقالات المعقوية صار جوهرها واحدا وطبيعة واحدة وأقوالها واحدا كاما في الابن ، وقالت النسטורية بل هما جوهران وطبيعتان ومشيتان لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف ، وقالت الملكانية بل هما جوهر واحد له مشيتان وطبيعتان أو فعلان كالثار في الحديد وقد ذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ) هم المعقوية ، وفي قوله (وقالت النصارى المسيح ابن الله ) هم الملكانية ، و قوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ) هم النسטורية وليس بشيء بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكها الله عز وجل عن النصارى فكلهم يقولون إنه الله ويقولون أنه ابن الله وكذلك في آياتهم التي هم متفقون عليها يقولون إنه حق من إله حق ، وأما قوله ثالث ثلاثة فإنه قال تعالى (ولإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ) .

قال أبو الفرج ابن الجوزي في قوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث

ثلاثة) قال المفسرون معنى الآية أن النصارى قالوا الإلهية مشتركة بين الله وعيسي ومرىم كل واحد منهم لله ، وذكر عن الزجاج الغلو بجاوزة القدر في الظلم وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم هو الله وقول بعضهم هو ابن الله وقول بعضهم هو ثالث ثلاثة فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من أن الكلمة هو الابن والفرق الثلاثة متفقة على ذلك وفساد قولهم معلوم بتصريح العقل من وجوه ، أحدهما أنه ليس في شيء من كلام الأنبياء تسمية صفة الله ابناً لا كلامه ولا غيره فتسميتهم صفة الله ابناً تحريف لكلام الأنبياء عن مواضعه ، وما نقلوه عن المسيح من قولهم عمداً الناس باسم الأب والابن وروح القدس لم يرد بالابن صفة الله التي هي كلامته ولا بروح القدس حياته فإنه لا يوجد في كلام الأنبياء إرادة هذا المفهوم قد بسط هذا في الرد على النصارى ، الوجه الثاني أن هذه الكلمة التي هي ابن أهي صفة الله قائمة به أم هي جوهر نائم بنفسه ؟ فإن كانت صفتة بطل مذهبهم من وجوه :

أحدهما : أن الصفة لا تكون لها يرث ويخلق ويحيى ويميت والمسيح عندهم لا يخلق ويرث ويحيى ويميت فإذا كان الذي تدرعه ليس به فهو أولى أن لا يكون لها ، الثاني : أن الصفة لاتقوم بغير الموصوف فلا تفارقه وإن قالوا نزل عليه كلام الله وقالوا إنه الكلمة أو غير ذلك فهذا قدر مشترك بينه وبين سائر الأنبياء الثالث : أن الصفة لاتتحدد وتدرع شيئاً إلا مع الموصوف فيكون الأب نفسه هو المسيح والنصارى منهون على أنه ليس هو الأب فإن قولهم متناقض ينتقض بعضه ببعض مما يجعلونه لها يخلق ويرث ولا يجعلونه الأب الذي هو الإله ويقولون إنه واحد وقد شبهه بعض متكلميهم كيحيى بن عدى بالرجل الموصوف بأنه طيب وحاسِب وكأنه وله بكل صفة حكم فيقال هذا حق لكن قولهم ليس نظير هذا فإذا قلتم إنَّ الرب موجود حبي عالم ولهم بكل صفة حكم فعلوم أنَّ المتحد إنْ كان هُوَ الذات المتصفه فالصفات كلها تابعة لها فإنه إذا تدرع زيد الطيب الحاسب الكاذب

ذرعاً كانت الصفات كلها قائمة به وإن كان المتردع صفة دون صفة عاد المذكور، وإن قالوا المتردع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين وهذا ممتنع فإن الصفات القائمة بموصوف واحد وهي لازمة له لافتراق وصفات المخلوقين قد يمكن عدم بعضها مع بقاءباقي بخلاف صفات الرب تعالى .

الرابع : أن المسيح نفسه ليس هو كلام الله ولا شيئاً من صفاتـه بل هو مخلوق بكلمة الله وسيـ كـلـمة لأنـه خـلـقـ بـكـنـ منـ غـيرـ الحـبـلـ المـعـتـادـ كـاـ قالـ تعالىـ (إـنـ مـثـلـ عـيـسـىـ عـنـدـ اللهـ كـمـثـلـ آـدـمـ خـلـقـهـ مـنـ تـرـابـ ثـمـ قـالـ لـهـ كـنـ فـيـكـوـنـ)ـ وـقـالـ تـعـالـيـ (ذـلـكـ عـيـسـىـ أـبـنـ مـرـيـمـ قـوـلـ الـحـقـ الـذـيـ فـيـهـ يـمـرـونـ مـاـ كـانـ لـهـ أـنـ يـتـخـذـ مـنـ وـلـدـ سـبـحـانـهـ إـذـاـ قـضـىـ أـمـرـاـ فـيـأـمـاـ يـقـولـ لـهـ كـنـ فـيـكـوـنـ)ـ وـلـوـقـدـ أـنـهـ نـفـسـهـ كـلـامـ اللهـ كـالـتـورـاـةـ وـالـإـنجـيلـ وـسـائـرـ كـلـامـ اللهـ لـمـ يـكـنـ كـلـامـ اللهـ وـلـاشـءـ مـنـ صـفـاتـهـ خـالـقـاـ وـلـارـبـاـ وـلـاـ إـلهـاـ فـالـنـصـارـىـ إـذـاـ قـالـواـ إـنـ مـسـيـحـ هـوـ الـخـالـقـ كـانـواـ ضـالـلـيـنـ مـنـ جـهـةـ جـعـلـ الصـفـةـ خـالـقـهـ وـمـنـ جـهـةـ جـعـلـهـ هـوـ نفسـ الصـفـةـ وـلـنـمـ هـوـ مـخـلـقـ بـالـكـلـمـةـ ثـمـ قـوـلـهـ بـالـتـشـيـثـ وـأـنـ الصـفـاتـ ثـلـاثـ باـطـلـ وـقـوـلـهـ أـيـضاـ باـخـلـوـلـ وـالـاتـحـادـ باـطـلـ فـقـوـلـهـ يـظـهـرـ بـطـلـانـهـ مـنـ هـذـهـ الـوـجـوهـ وـغـيرـهـ .

فلـوـ قـالـواـ إـنـ الـرـبـ لـهـ صـفـاتـ قـائـمـةـ بـهـ وـلـمـ يـذـكـرـواـ اـتـحـادـاـ وـلـاـ حـلـوـلـاـ كـانـ هـذـاـ قـوـلـ جـاهـيـرـ الـمـسـلـيـنـ الـمـبـتـئـنـ لـلـصـفـاتـ وـإـنـ قـالـواـ إـنـ الصـفـاتـ أـعـيـانـ قـائـمـةـ بـنـفـسـهـ فـهـذـاـ مـكـابـرـةـ فـهـمـ يـجـمـعـونـ بـيـنـ الـمـتـنـاطـيـنـ وـأـيـضاـ بـغـلـبـهـ عـدـ الصـفـاتـ ثـلـاثـةـ باـطـلـ فـيـانـ صـفـاتـ الـرـبـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ فـهـوـ سـبـحـانـهـ مـوـجـودـ حـيـ عـلـيمـ قـدـيرـ وـالـأـقـانـيمـ عـنـدـهـ الـتـيـ جـعـلـوـهـاـ الصـفـاتـ لـيـسـتـ إـلـاـ تـلـاثـةـ وـهـذـاـ تـارـةـ يـفـسـرـونـهـ بـالـوـجـودـ وـالـحـيـاةـ وـالـعـلـمـ وـتـارـةـ يـفـسـرـونـهـ بـالـوـجـودـ وـالـقـدـرـةـ وـالـعـلـمـ وـأـضـطـرـ أـبـهـمـ كـثـيرـ .

فـإـنـ قـوـلـهـ فـيـ نـفـسـهـ باـطـلـ وـلـاـ يـضـيـطـهـ عـقـلـ عـاقـلـ وـهـذـاـ يـقـالـ لـوـاجـتمـعـ

عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولاً ، وأيضاً فكلمات الله كثيرة  
لأنهاية لها كما قال سبحانه وتعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنجد  
البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مداداً) وهذا قول جاهير الناس  
من المسلمين وغير المسلمين وهذا مذهب سلف الأمة الذين يقولون لم يزل  
سبحانه متکلاً بمشيته ، وقول من قال إنه لم يزل قادرًا على الكلام لكن تكلم  
بمشيته كلما قاتم بذاته حادثاً وقول من قال كلامه مخلوق في غيره .

وأما من قال كلامه معناه شيء واحد قد يفهم العين فهو لام منهم من يقول  
أنه أمر لا نهاية لها مع ذلك ومنهم من يقول بل هو معنى واحد ولكن  
العبارات عنه متعددة وهو لام يمتنع عندم أن يكون ذلك المعنى قاتماً بغير  
الله إنما يقوم بغيره عندم العبارات المخلوقة ويمتنع أن يكون المسيح شيئاً  
من تلك العبارات فلا يمتنع أن يكون المسيح غير كلام الله على قول هؤلام  
وعلى قول الجمهور أشد امتناعاً لأن كلمات الله كثيرة والمسيح ليس هو جميعها  
بل ولا مخلوقاً بجميده وإنما خلق بكلمة منها وليس هو عين تلك الكلمة فإن  
الكلمة صفة من الصفات والمسيح عين قائم بنفسه .

ثم يقال لهم : تسميتكم العلم والكلمة ولدوا بابنا تسمية باطلة باتفاق العلماء  
والعقلاء ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء قالوا لأن الذات يتولد عنها  
العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها فيتولد من ذاته العلم  
والحكمة والكلام فلهذا سميت الكلمة ابنا ، قيل هذا باطل من وجوهه :  
أحدوها أن صفاتنا حادة تحدث بسبب تعلمنا ونظرنا وفكرنا واستدلالنا .

وأما كلمة الرب وعلمه فهو قديم لازم لذاته فيمتنع أن يوصف بالتوارد  
إلا أن يدعى المدعى أن كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه وهي ابن له  
ومعلوم أن هذا من أبطل الأمور في العقول واللغات فإن حياة الإنسان  
ونطقه وغير ذلك من صفات الازمة له لا يقال أنها متولدة عنه وأنها ابن

له ، وأيضاً فيلزم أن تكون حياة الرب أيضاً ابنه ومتولدة وكذلك فدرته وإنما الفرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من الصفات ، وإنما : أن هذا إن كان من باب تولد الجوادر والأعيان القائمة بنفسها فلا بد له من أصلين ولا بد أن يخرج من الأصل جزء .

وأما علمنا وقولنا فليس عينا قائمآ بنفسه وإن كان صفة قائمآ بموصوف وعرضآ قائمآ في محل كعلمنا وكلامنا فذاك أيضاً لا يتولد إلا عن أصلين ولا بدله من محل يتولد فيه والواحد منها لا يتحدث له العلم والكلام إلا بقدرات تقدم على ذلك وتكون أصلاً للفرع ويحصل العلم والكلام في محل لم يكن حاصلاً فيه قبل ذلك .

فإن قلتم : إن علم الرب كذلك لزم أن يصير عالماً بالأشياء بعد أن لم يكن عالماً بها وأن تصير ذاته متكلمة بعد أن لم يكن متكلماً وهذا مع أنه كفر هذه جاهير الأمم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل فإن الذات التي لا تكون عالمة يمتنع أن تجعل نفسها عالمة بلا أحد يعلمها والله تعالى يمتنع عليه أن يكون متعلماً من خلقه وكذلك الذات التي تكون عاجزة عن الكلام يمتنع أن تصير قادرة عليه بلا أحد يجعلها قادرة والواحد منها لا يولد جميع علومه بل ثم علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها فإذا نظر فيها حصلت له علوم أخرى فلا يقول أحد من بنى آدم : إن الإنسان يولد علومه كلها ولا يقول أحد أنه يجعل نفسه متكلمة بعد أن لم تكن متكلمة بل الذي يقدر على النطق هو الذي أنطق كل شيء .

فإن قالوا إن الرب يولد بعض علمه وكلامه دون بعض بطل تسمية العلم الذي هو المكلمة مطلقاً الابن وصار لفظ الابن إنما يسمى به بعض علمه أو بعض كلامه وهم يدعون أن المسيح هو الكلمة وهو أقnon العلم مطلقاً

وذلك ليس متولداً عنه كله ولا يسمى كاه ابنا باتفاق العقلاه ، وثالثها : أن يقال تسمية علم العالم وكلامه ولدأله لا يعرف في شيء من اللغات المشهورة وهو باطل بالعقل فإن علمه وكلامه كقدرته وعلمه فإن جاز هذا جاز تسمية صفات الإنسان كلها الخادنة متولدات عنه له وتسميتها أبناءه ، ومن قال من أهل الكلام القدرة إن العلم الماصل بالنظر متولد عنه فهو كقوله إن الشبع والرث متولد عن الأكل والشرب ثم لا يقول إن العلم ابنه ولده كما لا يقول إن الشبع والرث ابنه ولا ولده لأن هذا من باب تولد الأعراض والمعنى القائم بالانسان وتلك لا يقال إنها أولاده وأبناؤه ومن استعار فقال بنيات فكره فهو كما يقال بنيات الطريق ويقال ابن السبيل ويقال لطير الماء ابن ماء ، وهذه تسمية مقيدة قد عرف أنها ليس المراد بها ما هو المقبول من الأب والابن والوالد والولد ، وأيضاً فكلام الأنبياء ليس في شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابنا فمن حمل شيئاً من كلام الأنبياء على ذلك فقد كذب عليهم وهذا مما يقر به علماء النصارى وما وجد عندهم من لفظ الابن في حق المسيح وإسرائيل وغيرهما هو اسم للمخلوق لا شيء من صفات الخالق والمراد به أنه مكرم معظم .

ورابعها : أن يقال فإذا قدر أن الأمر كذلك فالذى حصل للمسيح إن كان هو ماعمله الله إياه من عليه وكلامه فهذا موجود لسائر النبيين فلا معنى لتخفيصه بكونه ابن الله وإن كان هو أن العلم والكلام لإله اتحده فيكون العلم والكلام جوهراً فاما بنفسه فإن كان هو الأب فيكون المسيح هو الأب وإن كان العلم والكلام جوهراً آخر فيكون إلهان فاما باتفاقهما فتباين فساد ما قالوه بكل وجه .

وخامسها : أن يقال من المعلوم عند الخاصة وال العامة أن المعنى الذى خص به المسيح إنما هو أن خلق من غير أب فلما لم يكن له أب من البشر جعل النصارى الرب آباء ، وبهذا ناظر نصارى نجران النبي صلى الله عليه وسلم وقلوا إن لم يكن هو ابن الله فقل لنا فمن أبوه ؟ فعلم أن النصارى إنما ادعوا

فيه البنوة الحقيقة وأن ماذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للذهب  
 ليزيلا به الشناعة التي لا يلتفها عاقل ولا فليس في جعله ابن الله وجه يختص  
 به معقول فعلم أن النصارى جعلوه ابن الله وأن الله أحبل مريم والله هو  
 أبوه وذلك لا يكون إلا بازوال جزء منه فيها وهو سبحانه الصمد ويلزمهم  
 أن تكون مريم صاحبة وزوجة له وهذا يتولونها كما أخبر الله عنهم وأى  
 معنى ذكره في بنوة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى وبين غيره  
 ولا صار فيه معنى البنوة بل قالوا كما قال بعض مشركي العرب أنه صاهر الجن  
 فولدت له الملائكة وإذا قالوا اتخذه أبنا على سبيل الاصطفاء فهذا هو المعنى  
 الفعلى وسيأتي إن شاء الله تعالى لإبطاله ، وتوله تعالى (وروح منه) ليس فيه  
 أن بعض الله صار في عيسى بل من لا بداته الغاية كما قال (وستر لكم ما في  
 السموات وما في الأرض جميعاً منه) وقال (وما بكم من نعمة فمن الله)  
 وما أضيف إلى الله أو قيل هو منه فعلي وجهين إن كان عيناً قياماً بنفسها فهو  
 مملوك له ومن لا بداته الغاية كما قال تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) وقال في  
 المسيح (وروح منه) وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة  
 له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال (نزله روح القدس من ربك بالحق)  
 وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) وألفاظ  
 المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمراً والمقدور قدرة  
 والمرحوم به رحمة والخلق بالكلمة كلية ، فإذا قيل في المسيح أنه كلية الله  
 فلمراد به أنه خلق بكلمته ثم بقوله كن ولم يخلق على الوجه المعتمد من البشر  
 إلا في عيسى بشر فاسم نفسه ليس هو كلاماً صفة للتكلم يقوم به وكذلك إذا  
 قيل عن الخلق أنه أمر الله فلمراد أن الله كونه بأمره كقوله (أن أمر الله  
 فلا تستعجلوه) وقوله (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها ساقها وأمطرنا عليها  
 حجارة من سجيل) فالرب تعالى أحد صمد لا يجوز أن يتبعض ويتجزأ  
 فيصير بعضه في غيره سواء سمى ذلك روحًا أو غيره فبطل ما يتوهمه النصارى  
 من كونه ابن الله وتبين أنه عبد من عباد الله وقد قيل منشأ ضلال القوم أنه

كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالأب وبالابن عن العبد المربى الذي يربه الله ويريه فقال المسيح عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس فأمرهم أن يقولوا بالله ويؤمنوا بعده ورسوله المسيح ويؤمنوا بروح القدس جبريل فكانت هذه الأسماء لله ولرسوله الملكي ورسوله البشري قال الله تعالى (إنه يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) وقد أخبر تعالى في غير آية أنه أيد المسيح بروح القدس وهو جبريل عند جمهور المفسرين كقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس).

فعمد جمهور المفسرين أن روح القدس هو جبريل هذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم ودليل هذا قوله (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثركم لا يعلمون فلنزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الدين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين).

وروى للضحاك عن ابن عباس أنه الاسم الذي كان يحيى به الموقى، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه الإنجيل وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كفت تدرى مالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من شاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) فما ينزله الله في قلوب أنبيائه ماتحيا به قلوبهم من الإيمان الحالص يسميه روحًا وهو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمسلمين والمسيح من أولى العزم فهو أحق بهذا من جمهور الرسل والأنبياء، وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلام الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس).

وقد ذكر الزجاج في تأييده ثلاثة أوجه: أحدها: أنه أيده به لإظهار

أمره ودينه ، الثاني : لدفع بنى إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله ، الثالث أنه أيد في جميع أحواله .

و بما يبين ذلك أن لفظ الابن في لغتهم ليس مختصاً بال المسيح بل عندهم أن الله تعالى قال في التوراة لإسرائيل : أنت ابني بكرى وال المسيح كان يقول أبى وأبيكم فيجعله أباللجميع ويسمى غيره ابنا له كما يسمى هو ابنا له فعلم أنه لا اختصاص لل المسيح بذلك ولكن النصارى يقولون هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع فيفرقون فرقاً لا دليل عليه ثم قوله هو ابن بالطبع يلزم عليه من الحالات عقلاً وسعة ما يبين بطلانه .

### (فصل)

وأماماً يقوله الفلاسفة القائلون بأن العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته وأنه صدر عنه عقل ثم عقل ثم عقل إلى تمام عشرة عقول تسمى أنفس وقد يجعلون العقل بمنزلة الذكر والنفس بمنزلة الأنثى فهؤلاء قوله أفسد من قول مشركي العرب وأهل الكتاب عقلاً وشرعاً ، ولدلة القرآن على فساده أبلغ وذلك من وجوه :

أحدها : أن هؤلاء يقولون يقدم الأفلاك وقدم هذه الروحانيات التي يثبتونها ويسمونها الجرارات والمقارقات والجواهر العقلية وأن ذلك لم يزل قد يليها أولاً وما كان قد يليها أولاً امتنع أن يكون مغيراً لا بوجه من الوجه ولا يكون مفعولاً إلا ما كان حادثاً وهذه قضية بدائية عند جماهير العقلاة وعليها الأولون والآخرون من الفلاسفة وسائر الأمم وهذا كان جماهير الأمم يقولون كل ممكن أن يوجد وأن لا يوجد فلا يمكن إلا حادثاً وإنما أدعى وجود ممكن قديم معلول طائفه من المتأخررين كابن سينا ومن وافقه زعموا أن الفلك قديم معلول لعلة قديمة .

وأما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بحدود الفلك وهم جمهورهم ومن كان قبل أرسطو فهؤلاء موافقون لأهل الملل ومن قال بقدم الفلك

كارسطو وشيعته فإذا يثبتون له علة غائبة يشتبه الفلك بها لا يثبتون له علة فاعلة وما يثبتونه من العقول والآفوس فهو من جنس الفلك كل ذلك قديم واجب بنفسه وإن كان له علة غائبة، وهؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرین لكن الفرض أن يعرفوا أن قول هؤلاء ليس قول أولئك.

الثاني : أن هؤلاء يقولون الرب واحد والواحد لا يصدر عنه إلا واحد ويعنون بكونه واحداً أنه ليس له صفة ثبوتية أصلاً ولا يعقل فيه معان متعددة لأن ذلك عندهم تركيب وهذا يقولون لا يكون فاعلاً وقابلًا لأن جهة الفعل غير جهة القبول وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ومع هذا يقولون أنه عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق ولذين ولذن ولذة إلى غير ذلك من المعانى المتعددة ، ويقولون إن كل واحد من هذه الصفات هي الصفة الأخرى والصفة هي الموصوف والعلم هو القدرة وهو الإرادة والعلم هو العالم وهو القادر ، ومن المتأخرین منهم من قال العلم هو المعلوم فإذا تصور العاقل أنواههم حق التصور تبين له أن هذا الواحد الذى أثبتوه لا يتصور وجوده إلا في الأذهان لافي الأعيان وقد بسط الكلام عليه وبين فساد ما يقولونه في التوحيد والصفات وبين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة في مواضع غير هذا وإذا كان كذلك فالأسأل الذى بنوا عليه قولهم أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد أصل فاسد .

الثالث : أن يقال قولهم بتصور الأشياء مع ما فيها من الكثرة والخدوث عن واحد بسيط في غاية الفساد .

الرابع : أنه لا يعلم في العالم واحد بسيط صدر عنه شيئاً لا واحد ولا اثنان فهذه الدعوة السكلية لا يعلم ثبوتها في شيء أصلاً الخامس : أنهم يقولون صدر عنه واحد وعن ذلك الواحد عقل ونفس وفلك فيقال إن كان الصادر عنه واحداً من كل وجه فلا يصدر عن هذا الواحد إلا واحد أيضاً فيلزم أن يكون كل ما في العالم إنما هو واحد عن واحد فهو مكابرة وإن كان في الصادر الأول

كثرة ما يوجه من الوجوه فقد صدر عن الأول ما فيه كثرة ليس واحداً من كل وجه فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد ، ولهذا اضطراب متاخر وهم فأبو البركات صاحب المعتبر أبطل هذا القول ورده غایة الرد ، وابن رشد الحفيد زعم أن الفلك بما فيه صادر عن الأول ، والطومي وزير الملاحة يقرب من هذا فعل الأول شرطاً في الثاني والثالث شرطاً في الثالث وهم مشتركون في الضلال وهو إثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل ولا تزال معه لكن مسبوقة بعدم وجعل الفلك أيضاً قدماً أزلياً وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية فكيف إذا ضم إليه غير ذلك من أقوالهم المخالفة للعقل والنفل .

الوجه السادس : أن الصوارد المعلومة في العالم إنما تصدر عن اثنين وأما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء كما قدم التنبية عليه في المتولدات من الأعيان والأعراض وكل ما يذكر ونهمن صدور الحرارة عن الحار والبرودة عن البارد والشمام عن الشمس وغير ذلك فإنما هو صدور إعراض ومع هذا فلا بد لها من أصلين ، وأما صدور الأعيان عن غيرها فهذا لا يعلم إلا بالرواية المعروفة وتلك لا تكون إلا بافتراض جزء من الأصل وهذا الصدور والتولد والمعلوبيّة التي يدعونها في العقول والأنفوس والأفلاك يقولون إنها جواهر قائمة بأنفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط فهذا من أبطل قول قيل في الصدور والتولد لأن فيه صدور جوهر واحد وهذا لا يعقل وفيه صدوره من غير جزء منفصل من الأصل وهذا لا يعقل وهم غایة ما عندهم أن يشبهوا هذا بحدوث بعض كالشمام عن الشمس وحركة المخانم عن حر كة اليدين وهذا تمثيل باطل لأن تلك ليست علة فاعلة وإنما هو شرط فقط والصادر هناك لم يكن عن أصل واحد بل عن أصلين والصادر عرض لا يجده قائم بنفسه فتبين أن ما ذكره هو لام من التولد العقلي الذي يدعونه من أبعد الأمور عن التولد والصدور وهو أبعد من قول النصارى ومشير إلى العرب وهم جعلوا مفعولاًاته عزلة صفة أزلية لازمة لذاته .

وقد ذكرنا أن هذا مما يمتنع أن يقال فيه أنه متولد عنه وحيثند فهم في دعوام إلهية العقول والآنفوس والكواكب أكفر من هؤلاء ومن جعل من المنتسبين إلى الملائكة هؤلاء هم الملائكة فقل له في جعل الملائكة متولدين عن شيء من قول العرب وعوام النصارى فإن أولئك أنبتوه ولادة حسية وكونه صدراً يبطلها لكن ما أنبتوه معقول وهؤلاء ادعوا ولاداً عقلياً باطلأ من كل وجه أبطل ما ادعوه النصارى من تولد الكلمة عن الذات فكان نفي ما ادعوه أولى من نفي ما ادعاه أولئك لأن الحال الذي يعلم امتناعه في الخارج لا يمكن تصورة موجوداً في الخارج فإنه يمتنع وجودة في الخارج وذلك إنما يمكن إذا كان له نظير من بعض الوجوه فيقدر له في الوجود الخارجي ما يشبه كما إذا قدر مع الله إلها آخر وقدر أن له ولداً فإنه يشبه من له ولاد من العباد ومن له شريك من العباد.

ثم يبين امتناع ذلك عليه فكل ما كان الحال أبعد عن مشابهة الموجود كان أعظم استحالة والولادة التي ادعها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة أبعد عن مشابهة الولادة المعلومة من الولادة التي ادعها بعض مشركي العرب وعوام النصارى واليهود فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية إذ الولادة الحسية تعقل في الأعيان القائمة بنفسها وأما الولادة العقلية فلا تعقل في الأعيان أصلاً، وأيضاً فأولئك أنبتو ولادة من أحصين وهذا هو الولادة المعقوله وهؤلاء أنبتو ولادة من أصل واحد وأولئك أنبتو ولادة باتفاق جزء وهذا معقول وهؤلاء أنبتو ولادة بدون ذلك وهو لا يعقل وأولئك أنبتو ولادة قاسوها على ولادة الأعيان للأعيان وهؤلاء أنبتو ولادة قاسوها على تولد الأعراض عن الأعيان فعلم أن قول أولئك أقرب إلى المعقول وهو باطل كما بين الله فساده وأنكره ، فقول هؤلاء أولى بالبطلان وهذا كما أن الله إذا كفر من أثبت مخلوقاً يتخذ شفيعاً معيناً من دون الله فمن أنبت قدماً دون الله يعبد ويتحذ شفيعاً كان أولى بالكفر ومن أنكر المعاد مع قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله فمن

ألكرة مع قوله بقدم هذا العالم فهو أعظم كفرا عند الله وهذا كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى أمته عن مشابهة فارس والروم النصارى .

فنبهه عن مشابهة اليونان المشركين والمهدى المشركين أعظم وأعظم وإذا كان مدخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى وفارس والروم مذموما عند الله ورسوله فما دخل من مشابهة اليونان والمهدى والترك المشركين وغيرهم من الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام من أهل الكتاب ومن فارس والروم أولى أن يكون مذموما عند الله تعالى ، وأن يكون ذمه أعظم من ذلك ، فهو لاء الأمم الذين ابْتَلُوا بهم أواخر المسلمين شر من الأمم الذين ابْتَلُوا بهم أوائل المسلمين وذلك لأن الإسلام كان أهل أعظم علمًا ودينًا فإذا ابْتَلُوا بهم هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم ودينهن .

وأما هؤلاء المتأخرون المسلمين وإن كانوا أقل من سلفهم فإنه يظهر درجاتهم على هؤلاء لعظام بعدهم عن الإسلام ولكن لما كثرت البدع من متأخرى المسلمين استطاع عليهم من استطاع من هؤلاء وليسوا عليهم دينهم وصارت شبه الفلسفية أعظم عند هؤلاء من غيرهم كاصارق تال الترك الكفار أعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان لأنهم إنما ابْتَلُوا بسيوف هؤلاء وألسنتهم هؤلاء وكان فيهم من نقص الإيمان ، الأورث ضعفًا في العلم والجهاد كما كان كثير من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هذا .

وما يبين هذا أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والأرض بمشيئته وقدره بل يقولون إنه خلق ذلك في ستة أيام وهو لاء المتكلفة عندهم لم يجدُها بعد أن لم تكن فضلاً عن أن يكون ذلك في ستة أيام ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث يعنون بحدوثه أنه معلول علة قديمة فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله لكن هو أمر لا حقيقة له ولا يعقل ، وأيضاً فشركون العرب وأهل الكتاب يقررون بالملائكة وإن كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعاً واحداً فن

خرج منهم عن طاعة الله أسرطه وصار شيطاناً وينكرون أن يكون إبليس  
كان أبو الجن وأن يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويسربون  
هؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء المتكلفة  
فإن هؤلاء لا حقيقة للملائكة عندم إلا ما يثبتونه من العقول والآنفوس أو من  
أمراض تقويم بالأجسام كالقوى الصالحة وكذلك الجن جهور أو تلك  
يثبتونها فإن العرب كانت ثبت الجن وكذلك أكثر أهل الكتاب وهؤلاء  
لا يثبتونها ويجعلون الشياطين القوى الفاسدة ، وأيضاً فشركو العرب مع  
أهل الكتاب يدعون الله ويقولون إنه يسمع دعاءهم ويحيط بهم .

وهؤلاء عندهم لا يعلم شيئاً من جزئيات العالم ولا يسمع دعاء أحد ولا يجيب أحداً ولا يحدث في العالم شيئاً ولا سب للحدود عندهم إلا حركات الفلك والدعاء عندهم يتوثر لأنَّه تصرف النفس الماطقة في محيط العالم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عزوجل : دشمني ابن آدم وما ينفعني له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينفعني له ذلك فأما شتمه إيماني فقوله إني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذبيه ليماي قوله لن يعيدي كابدائي وليس أول الخلق بأهون على من إعادةه وهذا وإن كان متنا ولا قطعا لـكفار العرب الذين قالوا هذا وهذا كما قال تعالى ( ويقول الإنسان أنتا ماتت لسوف أخرج حيا ) إلى قوله ( وقالوا اتخاذ الرحمن ولها لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه ) فذكر هذا وهذا فتناول النصوص لهذا بطريق الأولى فإن هؤلاء ينكرون الإعادة والابتداء أيضا فلا يقولون إن الله ابتدأ خلق السموات والأرض ولا كان للبشر ابتداء أو لهم آدم .

وأما شتمهم لِيَاه بِقُولُمْ اتَّخَذَ ولَدًا فَهُوَ لَا هُمْ عَنْدَمِ الْفَلَكِ كَلَهْ لَازِمْ لَهْ  
٦٠ - تفسير سورة الإخلاص

معلول له أعظم من لزوم الولد والده والوالد له اختيار وقدرة في حدوث الولد منه ، وهؤلاء عندهم ليس لهم مشيئة وقدرة في لزوم الفلك له بل ولا يمكنه أن يدفع لزومه عنه فالتوالد الذي ينتونه أبلغ من التوألد الموجود في الخلق ولا يقولون أنه اتخذ ولدا بقدرته فإنه لا يقدر عندهم على تغيير شيء من العالم بل ذلك لازم له لزوما حقيقته أنه لم يفعل شيئاً بل ولا هو موجود وإن سمه علة ومعلولا فعند التحقيق لا يرجعون إلى شيء محصل فإن في قوله من الناقض والفساد أعظم مما في قول النصارى .

وقد ذكر طائفة من أهل الكلام إن قولهم بالصلة والمعلول من جنس قول غيرهم بالوالد والولد وأرادوا بذلك أن يجعلوهم من جنسهم في الذم وهذا تفسير عظيم بل أولئك خير من هؤلاء وهؤلاء إذا حفقت ما يقوله من هو أقربهم إلى الإسلام كابن رشد الحفيد وجدت غایته أن يكون الرب شرطاً في وجود العالم لفاعلاه ، وكذلك من سلك مسلكهم من المدعين للتحقيق من ملحدة الصوفية كابن عربي وابن سبعين حقيقة قولهم إن هذا العالم موجود واجب أذلي ليس له صانع غير نفسه وهم يقولون الوجود واحد وحقيقة قولهم أنه ليس في الوجود خالق موجوداً آخر وكلامهم في المداد والنبوات شر من كلام اليهود والنصارى وعباد الأصنام فإن هؤلا يجوزون عبادة كل صنم في العالم لا يختصون بعض الأصنام بالعبادة .

( فصل )

وقد احتاج بسورة الإخلاص من أهل الكلام المحدث من يقول الرب تعالى جسم كبعض الذين وافقوا هشام بن الحكم ، ومحمد بن كرام ، وغيرهما ومن ينفي ذلك يقول ليس بجسم من وافق جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف ونحوهما فأولئك قالوا : هو صمد والصمد لا جوف له وهذا إنما يكون في الأجسام المصمتة فإنها لا جوف لها كافية الجبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة فكما قيل : إن الملائكة صمد ولها قيل أنه لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء ولا يأكل ولا يشرب ونحو ذلك ونفي هذا

لا يعقل إلا عن هو جسم وقالوا أصل الصمد الاجتماع ومنه تصميد المال وهذا إنما يعقل في الجسم المجتمع وأما النفاوة فقالوا الصمد الذي لا يجوز عليه التفرق والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والانقسام .

وقالوا أيضاً الأحد الذي لا يقبل التجزي والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والتجزي والانقسام ، وقالوا إذا قلت هو جسم كان مركباً مؤلفاً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة وما كان مركباً مؤلفاً من غيره كان مفتقرأ إليه وهو سبحانه صمد والصمد الغنى عما سواه فالمركب لا يكون صدراً فيه وهو سبحانه مركب مؤلف من أجزاء وأنه يقبل التجزي والانقسام والانقسام فهذا باطل شرعاً وعقلاً فإن هذا ينافي كونه صدراً كما نقدم وسواء أردت بذلك أنه كانت الأجزاء متفرقة ثم اجتمعت أو قيل أنها لم تزل مجتمعة لكن يمكن انقسامها بعضها عن بعض كا في بدن الإنسان وغيره من الأجسام فإن الإنسان وإن كان لم يزل مجتمع الأعضاء لكن يمكن أن يفرق بين بعضه وبعض الله منه عن ذلك .

ولهذا قدمنا أن كمال الصمديّة له فإن هذا إنما يجوز على ما يجوز أن يفني به ضنه أو يعدم ومقابل العدم لم يكن واجب الوجود بذاته ولا قد يمأ أزلياً فإن ما وجب قدمه امتنع عدمه وكذلك صفاته التي لم يزل موصفاً بها وهي من لوازم ذاته فيمتنع أن يعدم اللازم إلا مع عدم الملزم ولهذا قال من قال من السلف الصمد هو الدائم وهو الباقي بعد فناء خلقه فإن هذا من لوازم الصمديّة إذ لو قبل العدم لم تسكن صديّته لازمة له بل جاز عدم صديّته فلا يفي صدراً ولا تنفي عنه الصمديّة إلا بمحواز العدم عليه وذلك حال فلما يكون مستوجباً للصمديّة إلا إذا كانت لازمة له وذلك ينافي عدمه وهو مستوجب للصمديّة لم يصر صدراً بعد أن لم يكن تعالى وتقديس فإن ذلك يقتضي أنه كان متفرقاً فيجمع بوأنه مفعول حدث مصنوع وهذه صفة مخلوقاته وأما الحال القديم الذي يمتنع عليه أن يكون معدوماً أو مغيراً لا أو محتاجاً إلى غيره أو جهة من الوجه فلا يجوز

عليه شيء من ذلك فعلم أنه لم يزل صدرا ولا يزال صدرا فلا يجوز أن يقال  
كان متفرقًا اجتماع ولا أنه يجوز أن يتفرق بل ولا أن يخرج منه شيء  
ولا يدخل فيه شيء.

وهذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين سندهم وبدعهم وإن كان أحد من الجهال أو من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك فقتل هؤلاء لا ينضبط خيالاتهم الفاسدة كما أنه ليس في طوائف المسلمين من يقول أنه مولودون بالله وإن كان هذا قد قاله بعض الكفار وقد قال المقلشفة المنسوبةون إلى الإسلام من التولد والتعليل ما هو شر من قول أولئك وأما إثبات الصفات له وأنه يرى في الآخرة وأنه يتكلم بالقرآن وغيره وكلامه غير مخلوق فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم يا حسان وأمة المسلمين وأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف والخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة وكثير من الفلاسفة والباطنية ، وهؤلاء يقولون إن إثبات الصفات يجب أن يكون جسماً وليس بجسم فلما ثبت له الصفات قالوا لأن المعمول من الصفات أعراض قاتمة بجسم لاتعقل صفتة إلا كذلك قالوا والرؤبة لاتعقل إلا مع المعاينة فالمعاينة لاتكون إلا إذا كان المرئ بجهة ولا يكون بجهة إلا ما كان جسماً قالوا : ولأنه لو قام به كلام أو غيره للزم أن يكون جسماً فلا يكون الكلام المضاف إليه إلا مخلوقاً منفصل عنده ، وهذه المعانى مما ناظروا بها الإمام أحمد في المخنة .

وكان من احتاج على أن القرآن مخلوق بنفي التجسيم أبو عيسى محمد بن عليسي برغوث تلبيذ حسين النجاري وهو من أكابر المتكلمين فإن ابن أبي دؤاد كان قد جمع للإمام أحمد من أمكنته من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم من يقول أن القرآن مخلوق وهذا القول لم يكن مختصاً بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس فإن كثيراً من أولئك المتكلمين أو أكثرهم لم يكونوا معتزلة وبشر المرئي لم يكن من المعتزلة بل فيهم نجاري به ومنهم برغوث .

وفيهم ضراريه . ومحض الفرد الذى ناظر الشافعى كان من الضراريه  
أتباع ضرار بن عمرو . وفيهم مرجحة ومنهم بشر المرىسى ، ومنهم جهمية  
شخصه ، ومنهم معتزلة ، وابن أبي دواد لم يكن معتزليا بل كان جهيميا ينفى  
الصفات والممتنعة تبني الصفات فنفاه الصفات الجهمية أعم من المعتزلة فلما  
احتج عليه برغوث بأنه لو كان يتكلم ويقوم به الكلام لكان جهيميا وهذا  
منفي عنه .

وأحد وأمثاله من الدافت كانوا يعلمون أن هذه الألفاظ التى ابتدعوا  
المتكلمون لفظ الجسم وغيره ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها إلى نفي ما أثبتته  
الله تعالى رسوله ويثبتها قوم ليتوصلوا بتأييدها إلى إثبات ما ثقاه الله ورسوله .

فالاول طريقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوم  
المسلمون أن قصدتهم التنزية ومقصودهم بذلك أن الله لا يرى في الآخرة وأنه  
لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خلق كلاما في غيره وأنه ليس له علم يقوم به  
ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات .

قال الإمام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة : الحمد لله الذي  
جاءكم في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى  
ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموقن ويصررون بنوره أهل  
العي فكم من قتيل لإبليس قد أحبوه وكم ضال نانه قد هدوه فما أحسن  
أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الصالحين  
وانتهال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوها عنان  
الفتنة فهم مختلفون في كتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله  
رب في الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالتشابه من الكلام ويخدعون  
جهال الناس بما يشهرون عليهم فننعوا بالله من فتن الصالحين  
والثانية طريقة هشام وأتباعه يحكى عنهم أنفسهم أثبتوا ما قد نزعه الله نفسه

عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْصَافِ بِالنِّقَائِصِ وَمِثَالُهُ لِلْمُخْلُوقَاتِ ، فَأَجَابُهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِطَرِيقِهِ  
الْأَنْبِيَاءُ وَأَتَبَاعُهُمْ وَهُوَ الْأَعْتَصَامُ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي قَالَ فِيهِ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُ إِلَّا وَأَتَمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ  
جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا ) وَقَالَ ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعْثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِّرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بِغَايَا يَنْهِمُ فَهُدِيَ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَذَّهَنُهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ  
مُسْتَقِيمٍ ) وَقَالَ تَعَالَى ( إِنَّمَا كَتَبْنَا كِتَابًا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ فَلَا يَكُنْ فِي صُدُورِكُمْ حَرْجٌ  
مِنْهُ لِتَنْذِرُ بِهِ وَذَكِّرِ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوْ مِنْ  
دُونِهِ أُولَيَاءَ قَلِيلًا مَا نَذَّكِرُونَ ) .

وَقَالَ تَعَالَى ( فَإِنَّمَا يَأْتِيْنَكُمْ مِنِّي هُدِيٌّ فَنَّتَّبِعُ هَدَىٰ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى وَمِنْ  
أَعْرَضَ عَنِ ذَكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبُّ  
لِمَ حَسْرَتِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتَ بِصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ آتَيْنَا فَتْسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمَ تَنْسِي ) .

وَقَالَ تَعَالَى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ  
الْأَمْرُ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تَوْمَنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) وَقَالَ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَنْقُدُوا بَيْنَ يَدِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجْرِ  
بِعَضِكُمْ لِبَهْضِ أَعْمَالِكُمْ وَأَتَمْ لَا تَشْعُرُونَ ) .

وَقَالَ ( أَلَمْ تَرَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْ  
مِنْ فِيلَكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيْهِ الطَّاغُوتُ وَقَدْ أَمْرَوْا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ  
وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا فَهَلْ هُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم  
مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحافون بالله إن أردنا إلا إحساناً و توفيقاً  
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم  
قولاً بليغاً وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع ياذن الله ولو أنهم إذ ظلموا  
أنفسهم جاءوك فاستغروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمها  
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر يذنبهم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً  
ما قضيت ويسلوا تسليماً .

وقوله تعالى : ( وأن هذا صراطى مستقىها فاتبعوه ولا تتبعوا السبل  
فتفرق بكم عن سبيله ) وقوله تعالى ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً لست  
منهم في شيء أمرهم إلى الله ثم ينبههم بما كانوا يفعلون ) وقوله تعالى ( فأقم  
وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل خلق الله ذلك  
الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون من يدين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة  
ولا تكونوا من المشركون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً كل حزب بما  
لديهم فرحاً وقوله ( شرع لكم من الدين ما وصي به نوح والذى أوحينا  
إليكم وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ) .

فهذه النصوص وغيرها نبين أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق  
من الباطل وبيان ما اختلف فيه الناس وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل  
إليهم من ربهم ورد ما يتنازعون فيه إلى الكتاب والسنة وإن من لم يتبع  
ذلك كان منافقاً وإن من أتبع الهدى الذي جات به الرسل فلا يضل ولا يشقى  
ومن أغرض عن ذلك حشر ضالاً شقياً معدباً ، وأن الذين فارقوا دينهم قد  
برء الله ورسوله منهم .

فأتابع الإمام أحد طريقة سلفه من أئمة السنة والجماعة المعتمدين  
بالكتاب والسنّة المتبعين ما أنزل إليهم من ربهم وذلك أن ننظر فإذا وجدنا

الرب قد أثبته لنفسه في كتابه أثبته وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيه  
وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالإثبات أثبت ذلك اللفظ وكل لفظ  
ووجد نفيه نقى ذلك اللفظ . وأما الألفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة  
بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين  
لإثباتها ولا نفيها ..

وقد تنازع فيها الناس فمذه الألفاظ لاثبت ولا نفي الا بعد الاستفسار  
عن معانيها فأن وجدت معانيها ما أثبته الرب لنفسه أثبتت وإن وجدت  
ما نفاه الرب عن نفسه نفيت وإن وجدنا اللفظ أثبت به حق وباطل أو نقى  
به حق وباطل أو كان بحلا يراد به حق أو باطل وصاحبه أراد به بعضها  
لكنه عند الإطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد وغير ما أراد فمذه الألفاظ  
لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجمة ونحو ذلك من  
الألفاظ التي تدخل في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيا أو إثباتا إلا وأدخل  
فيها باطل وإن أراد بها حقاً والسلف والأئمة كرروا هذا الكلام المحدث  
لا شتم الله على باطل وكذب وقول على الله بلا علم ..

وكذلك ذكر أحمد في رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه  
سنه ويقولون عليه بغير علم وكل ذلك مما حرمه الله ورسوله ولم يكره السلف  
هذه مجرد كونها اصطلاحية ولا يكرهوا الاستدلال بدلائل صحيح جاء به  
الرسول بل يكرهوا الأقوال ابادلة المخالفة للكتاب والسنة ولا يخالف  
الكتاب والسنة إلا ما هو باطل لا يصح بعقل ولا سمع ..

ولهذا المما مثل أبو العباس بن سريح عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين  
وقال : وأما توحيد أهل الباطل فهو المروض في الجوهر والأعراض وإنما  
بعث النبي صلى الله عليه وسلم يانهكار ذلك ولم يرد بذلك أنه أنكر هذين الفظتين  
لأنهما لم يكونا قد أحدهما في زمانه وإنما أنكر ما يعنى بهما من المعانى

الباطلة فإن أول من أحدثها الجهمية والمعترضة وقصدت بذلك إنكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له كلام يتصف به وأنكرت الجهمية أسماءه أيضاً.

وأول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم فصحي به خالد بن عبد الله القسري بواسط ، وقال يا أيها الناس ضخوا نفقيه الله ضخاماً كم فإني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم يومي تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيراً ثم نزل قربه ، وكلام السلف والأئمة في ذم هذا الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره كانوا إذا ذكرت لهم أهل البدع الألفاظ الجملة كفظ الجسم والجوهر والمعنى ونحوها لم يوافقهم لاعلى إطلاق الإثبات ولا على إصلاح النفي وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألقاً ومعانٍ لاما في النفي وإما في الإثبات وجعلوها هي الأصل المعمول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم نظروا في الكتاب والسنّة فما أمكنهم أن يتأولوه على قوله تأولوه ولا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا يدرك ما يريد بها بفعلوا بدعهم أصلاً حكماً وما جاء به الرسول فرعاً له ومشكلة إذا لم يواقه وهذا أصل الجهمية والقدرة وأمثالهم وأصل الملاحدة من الفلسفه الباطنية جميع كتبهم توجد على هذا الطريق ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من أعظم ما يعلم به الفرق بين الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله وبين السبيل الخالفة له وكذلك الحكم في المسائل العلمية الفقهية ومسائل أعمال القلوب وحقائقها وغير ذلك .

كل هذه الأمور فسد دخل فيها ألفاظ ومعانٍ محدثة وألفاظ ومنع مشتركة قالوا جب أن يجعل ما أنزله الله من الكتب والمحكمة أصل في جميع هذه الأمور ثم يرد ماتكلم فيه الناس إلى ذلك وبين ما في الألفاظ الجملة من

المعانى المأوافقة للكتاب والسنّة فتقبل وما فيها من المعانى المخالفة للكتاب  
والسنّة فترد .

ولهذا كل طائفة أنكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعه الأخرى  
كما يوجد في ألفاظ أهل الرأى والكلام والتصوف وأن يجوز أن يقول  
في بعض الآيات أنه مشكل ومتشابه إذا كان أنه يخالف غيره من الآيات  
المحكمة البينة فإذا جاءت نصوص بينة محكمة بأمر وجاه نص آخر يظن أن  
ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا أنه يرد به المتشابه إلى المحكم أما إذا تطع  
الكتاب أو السنّة بمعنى واحد لم يجز أن يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الأصل  
ويجعل ما في القرآن والسنّة مشكلاً متشابهاً فلا يقبل مادل عليه نعم قد يشكل  
على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز  
فهمهم عن معانها ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل  
أو الحس إلا وفي القرآن بيان معناه فإن القرآن جعله الله شفاماً لما في الصدور  
وبياناً للناس فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك .

لكن قد تخفي آثار الرسالة في بعض الأمكانة والأزمنة حتى لا يعرفون  
ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إما أن لا يعرفوا اللفظ وإما أن يعرفوا  
اللفظ ولا يعرفوا معناه خبيثاً يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة ،  
ومن هاهنا يقع الشرك وتفرق الدين شيئاً كالله عن الذي تحدث بالسيف فالافتئ  
الفولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم كما قال مالك  
بن أنس : إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا قلت الآثار ظهرت الأهواء وهذا  
شبّت الفتن بقطع الليل المظلم .

ولهذا قال أحد في خطبته : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة بما يأيا  
من أهل العلم فالمهدى الحاصل لأهل الأرض إنما هو من نور النبوة كما قال  
تعالى : (فَإِمَّا يَأْتِنَّكُم مِّنْ هُدِيٍ فَنَّ اتَّبِعُ هُدَىٰ فَلَا يُضِلُّ وَلَا يُشْقِي) فأهل المهدى

والفلاح هم المتبعون للأنبياء وهم المسلمين المؤمنون في كل زمان ومكان  
وأهل العذاب والضلال هم المكذبون للأنبياء بنفي أهل الجاهلية الذين لم  
 يصل إليهم ماجامت به الأنبياء .

فهؤلاء في ضلال وجهل وشرك وشر لكون الله يقول ( وما كنا نعذب بـين  
حتى نبعث رـسولا ) وقال ( رسلا مبشرـين و منذـرين لـلناس عـلى أـنـه  
حجـة بـعد الرـسل ) وقال ( وما كان رـبـك مـهـلكـا القرـى حـتـى يـعـثـ فـي أـمـاـهـا  
رسـولا يـتـلو عـلـيـهـم آـيـاتـنـا و ما كـنـا مـهـلـكـا القرـى إـلـا وـأـهـلـها ظـالـمـونـ ) فـهـؤـلـاهـ  
لـا يـهـلـكـهـمـ اللـهـ وـيـعـذـبـهـمـ حـتـى يـرـسـلـ إـلـيـهـمـ رـسـولاـ .

وقد روـيـتـ آـثـارـ متـعـدـدةـ فـأـنـ مـنـ لـمـ تـبـلـغـ الرـسـالـةـ فـيـ الدـنـيـاـ فـإـنـهـ يـعـثـ  
إـلـيـهـ رـسـولـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـيـ عـرـصـاتـ الـقـيـامـةـ وـقـدـ زـعـمـ بـعـضـهـ أـنـ هـذـاـ يـخـالـفـ  
دـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ فـإـنـ الـآـخـرـةـ لـاـ تـكـلـيـفـ فـيـهـاـ وـلـيـسـ كـاـفـلـ إـلـمـاـ يـنـقـطـعـ السـكـيـفـ  
إـذـاـ دـخـلـوـ دـارـ الـجـزـاءـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ وـإـلـاـ فـهـمـ فـيـ قـبـورـهـمـ عـمـتـحـنـوـنـ وـمـفـتـونـوـنـ  
يـقـالـ لـأـحـدـهـمـ مـنـ رـبـكـ ؟ـ وـمـاـ دـيـنـكـ وـمـنـ نـبـيـكـ ؟ـ وـكـذـلـكـ فـيـ عـرـصـاتـ الـقـيـامـةـ  
يـقـالـ لـيـتـبـعـ كـلـ قـوـمـ مـاـ كـانـواـ يـبـعـدـونـ فـيـتـبـعـ مـنـ كـانـ يـعـدـ الشـمـسـ الشـمـشـ  
وـمـنـ كـانـ يـعـدـ الـقـمـرـ الـقـمـرـ وـمـنـ كـانـ يـعـدـ الطـوـاغـيـتـ الطـوـاغـيـتـ وـتـبـقـ هـذـهـ  
الـأـمـةـ فـيـهـاـ مـنـافـقـوـهـاـ فـيـأـنـيـهـمـ اللـهـ فـيـ صـورـةـ غـيرـ الصـورـةـ الـتـيـ رـأـوـهـ فـيـهـاـ أـوـلـ  
صـرـةـ وـيـقـولـ أـنـاـ رـبـكـ فـيـقـولـونـ نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـكـ هـذـاـ مـكـانـيـاـ حـتـىـ يـأـنـيـنـاـ رـبـنـاـ،  
وـفـرـواـيـةـ فـيـسـاطـهـمـ وـيـثـبـتـهـمـ وـذـلـكـ اـمـتـحـانـ لـهـمـ هـلـ يـتـبـعـونـ غـيرـ الـرـبـ الـذـيـ  
عـرـفـوـاـ أـنـهـ اللـهـ الـذـيـ تـجـلـيـهـمـ أـوـلـ مـرـةـ فـيـثـبـتـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـ هـذـهـ الـمـحـنـةـ كـاـ  
يـثـبـتـهـمـ فـيـ فـتـنـةـ الـقـبـرـ فـإـذـاـ لـمـ يـتـبـعـوهـ لـكـوـنـهـ أـقـيـمـ فـيـ خـيـرـ الصـورـةـ الـتـيـ يـعـرـفـونـ  
أـمـامـ حـيـنـيـذـ فـيـ الصـورـةـ الـتـيـ يـعـرـفـونـ فـيـكـشـفـ عـنـ سـاقـ فـإـذـاـ رـأـوـهـ خـرـوـالـهـ  
يـحـمـدـ الـأـمـنـ كـاـنـ مـنـافـقـاـ فـإـنـهـ يـرـيدـ السـجـودـ فـلـاـ يـسـطـعـهـ مـيـقـنـ طـهـرـهـ حـتـلـ الطـبـقـ،ـ  
وـهـذـاـ الـمـعـنـيـ مـسـتـفـيـضـ عـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ عـدـةـ أـمـاـدـيـفـ ثـيـابـهـ مـنـ  
حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـةـ ،ـ وـأـبـيـ سـعـيدـ وـقـدـ أـخـرـ جـاهـلـاـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ وـمـنـ حـدـيـثـ

جابر وقد رواه مسلم وفي حديث ابن مسعود وأبي موسى وهو معروف من  
رواية أحد وغيره .

فدل ذلك على أن المخنة إنما تنتهي طبع إذا دخلوا دار الجزاء وما قبل دار  
الجزاء دار امتحان وابتلاء فإذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة  
البدع وحدثت البدع والفحور ووقع الشر بينهم كافى الصحيح عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ونبي نلنا فأعطانى النذرين ومعنى الثالثة  
سألته أن لا يهلك أمي بسنة عامه فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا  
من غيرهم فيجتازهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسمهم بينهم فعندها والبأس  
مشتق من البؤس قال تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من  
غوفكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئاً ويدق بضمكم بأمس بعض) .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل قوله تعالى  
(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال أعود بوجهك  
(أو من تحت أرجلكم) قال أعود بوجهك (أو يلبسكم شيئاً ويدق بضمكم  
بأمس بعض) قال هاتان أهون فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيئاً ويدق  
بعضهم بأمس بعض مع برادة الرسول في هذه الحال وهم فيها في جاهلية وهذا  
قال الزهرى وقت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترون  
فاجروا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أو لوم  
بمنزلة الجاهلية .

وقد روى مالك ياسناده الثابت عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت  
تقول ترك الناس العمل بهذه الآية قوله تعالى (ولأن طائفتان من المؤمنين  
اقتيلوا فأصلحوا بينهما) فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح  
بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم ي عمل بذلك صارت فتنه وجاهلية .

وهكذا مسائل الزراع الذى تزارع فيها الأمة فى الأصول والفروع إذا لم

ترد إلى الله والرسول لم يتبن فهـا الحق بل يصيـر فيها المتنازعـون على غير  
بينـة من أصـرـهم فـإن رحـمـهم الله أـقـرـ بعضـهم بـعـضـاـ وـلـم يـبعـدـ بعضـهم عـلـيـ بعضـ كـاـ  
كـانـ الصـحـابـةـ فـخـلـافـةـ عـنـ وـعـمـانـ يـتـنـازـعـونـ فـبـعـضـ مـسـائلـ الـاجـمـادـ  
فـيـقـرـ بعضـهمـ بـعـضـاـ وـلـا يـعـتـدـ عـلـيـهـ وـلـا نـمـ لـمـ يـرـحـمـواـ وـقـعـ بـيـنـهـمـ الـاخـتـلـافـ  
الـذـمـومـ فـبـعـنـيـ بـعـضـهـمـ عـلـيـ بـعـضـ إـمـاـ بـالـقـوـلـ مـثـلـ تـكـفـيرـهـ وـتـقـسـيقـهـ وـلـاـ مـاـ بـالـفـعـلـ  
مـثـلـ حـبـسـهـ وـضـرـبـهـ وـقـتـلـهـ .

و هذه حال أهل البدع والظلم كالخوارج وأمثالهم يظلمون الأمة ويمتدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين وكذلك سائر أهل الاهواء فإنهم يبتعدون بدعة ويُكفرون من خالقهم فيها كما يفعل الرافضة والمغزلة والجمامية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالقهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره والظالم الذي يعتقد على غيره وهؤلاء يظلمون مع عليهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) والإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أفر بعضهم بعضاً كالمقلدين لآئمه الفقه الذين لا يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل فجعلوا أنفسهم نواباً عن الرسول وقالوا هذا غاية ما قدرنا عليه ، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتقد عليه بقول ولا فعل مثل أن يدعى أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة بديها وينم من يخالفه مع أنه معدور .

وكان الذين امتحنوا أحد وغيره من هؤلاء الجاملين فابتعدوا كلاماً  
متشارباً نفوا به الحق فأجابهم أحد لما ناظروه في المخنة وذكروا الجسم  
ونحو ذلك وأجابهم بأنّي أقول كما قال الله تعالى : ( الله أحد الله الصمد )

وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به بالبة والمعنى الذي يراد به بجمل ولم تبنيوا سرادركم حتى توافقكم على المعنى الصحيح فقال ما أدرى ما تقولون لكن أقول : ( الله أَحَدُ الله الصمد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُواً أَحَدٌ ) يقول ما أدرى ما تعنون بلفظ الجسم مما لا توافقكم على إثبات لفظ ونفيه إذا لم يرد الكتاب والسنة بإثباته ولا نفيه إن لم يدر معناه الذي عنده المتتكلم فإذاً عن في النفي أو الإثبات ما يوافق الكتاب والسنة وافقه وإن عن ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والإثبات لم توافقه .

ولفظ الجسم والجور ونحوهما ألم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم يا حسان إلى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين التكلم بهما في حق الله تعالى لا ينفي ولا إثبات ، ولهذا قال أحد في رسالته إلى المتكلل لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين وأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود ، وذكر أيضاً فيها حكاية عن الجهمية أنهم يقولون ليس فيه كذا ولا كذا وهو كما قال فإن لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى : ( إِذَا رأَيْتُمْ تَعْجِلُكُمْ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْطُهُمْ ) وقال تعالى ( وزاده بسطة في العلم والجسم ) .

قال ابن عباس : كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكريه وعنقه أورأسه وبالبسطة السعة ، قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء إذا كان جموعاً ففتحته ووسعته قال بهضم : والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة إذ العادة أن من كان أعظم جسماً كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في اللغة العربية التي نزل بها القرآن .

قال الجوهري قال أبو زيد الأنصاري : الجسم المجسد وكذلك الجسمان بوالجهاز و قال الأصمبي الجسم والجسمان والجسد والجهاز واحد وقال جماعة

جسم الإنسان يقال له الجسمان وقد جمجم الشيء أى عظم فهو جسم وجسم والجسم بالكسر جمع جسم قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترتنه كأنك قصدت جسمه كما تقول نأيتها أى قصدت أتيه وشخصه ، وأنشد أبو عبيدة :

تجسمته من يلنون بمرهف

وتجسمت الأرض إذا أخذت نحوها تردها وتجمم من الجسم ، وقال ابن السكري : تجسمت الأمر أى ركب أجسمه وجسيمه أى معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجبل أى ركب أعظمه ، والأجسما الأضخم قال عامر بن الطفيلي :

لقد علم الحى من عامر بأن لنا الذروة الاجسما

هذا الجسم في لغة العرب ، وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ولا للنفس الخارج من الإنسان جسم ولا لروحه المفروخة فيه جسم ، ومعلوم أن الله سبحانه لا يعامل شيئاً من ذلك لا بدن الإنسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الأسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد ( وأما أهل الكلام ) فالجسم عندم أعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافاً كثيراً اعقولياً واختلافاً لفظياً اصطلاحياً فهم يقولون كل ما يشار إليه إشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردية ، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يمكن جواهراً بشرط أن يتضمن إليه غيره ، وقيل بل الجوهران والجواهر فصاعداً ، وقيل بل أربعة فصاعداً وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وتلائون وهذا قول من يقول إن الأجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم .

وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الأجسام مركبة من الهيولي والصورية لأن الجواهر الفردية ،

وقال كثيرون من أهل الكلام وغير أهل الكلام ليست مركبة لامن هذا ولا من هذا ، وهذا قول المهامية والكلامية والضرارية وغيرهم من الطوائف السكار لا يقولون بالجواهر الفرد ولا بالمناداة والصورة وآخرون يدعون إجماع المسلمين على إثبات الجواهر الفرد كأمثال أبو المعالي وغيره : اتفق المسلمين على أن الأجسام تناهى في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شرك هو فيه وكذلك شرك فيه أبو الحسين البصري ، وأبو عبد الله الرازى ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من آئمة المسلمين لامن الصحابة ولا التابعين لهم يا حسان ولا أحد من آئمة العلم المنشورين بين المسلمين ، وأول من قال ذلك في الإسلام طائفة من الجهمية والمعزلة وهذا من الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الإجماع لما لم يعرف أصول الدين الإمامى كتب الكلام وام بجد لإمام يقول بذلك اعتقاد هذا إجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول باله gioi والصورة باطل ، وقد بسط الكلام على هذه المقالات في موضع آخر .

وقال آخرون : الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار إليه واختلفوا في الأجسام هل هي متماثلة أم لا على قولين مشهورين ، وإذا عرف ذلك فن قال إنه جسم وأراد أنه من كتب من الأجزاء وهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل إن الله ليس كمثله شيء في شيء من صفاتاته فن أثبت الله مثلا في شيء من صفاتاته فهو مبطل ومن قال إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا عرج بالرسول إليه ولا يصعد إليه الكلم الطيب ولا تخرج الملائكة والروح إليه فهذا قول باطل .

وكذلك كل من نفي ما أنتبه الله ورسوله وقال إن هذا تبسم فتبسم

باطل وتنمية ذلك تجسيماً نليس منه فإنه إن أراد أن هذا يقتضي أن يكون جسمـاً مركباً من الجوـاهـر الفـرـدة أو من المـادـة والصـورـة أو أن هـذا يـقـتـضـي أن يكون جـسـماً والأجـسـام مـتـاهـلة قـيل له أـكـثـر العـقـلـاء يـخـالـفـونـكـ فـي تـمـاثـلـ الأـجـسـامـ الـخـلـوقـةـ وـفـي أـنـهـاـ مـرـكـبـةـ فـلاـ يـقـولـونـ إـنـ الـهـوـاءـ مـثـلـ الـمـاءـ وـلـاـ أـبـدـانـ الـحـيـوانـ مـثـلـ الـحـدـيدـ وـالـجـبـالـ فـكـيـفـ يـوـافـقـونـكـ عـلـىـ أـنـ الـرـبـ يـكـونـ مـاـئـلـاـ خـلـقـهـ إـذـاـ أـنـبـوـاـ لـهـ مـاـأـبـتـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـالـهـ قـدـ نـقـيـ المـائـلـاتـ فـيـ بـعـضـ الـخـلـوقـاتـ وـكـلـاـمـاـ جـسـمـ كـقـوـلـهـ : ( وـإـنـ تـوـلـواـ يـسـبـدـلـ قـوـمـاـ غـيـرـكـمـ ثـمـ لـاـ يـكـوـنـواـ أـمـثـالـكـ ) مـعـ أـنـ كـلـاـمـاـ بـشـرـ فـكـيـفـ يـجـوزـ أـنـ يـقـالـ إـذـاـ كـانـ لـرـبـ السـمـوـاتـ عـلـمـ وـقـدـرـةـ أـنـهـ يـكـوـنـ مـاـئـلـاـ خـلـقـهـ وـالـهـ تـعـالـىـ لـيـسـ كـمـلـهـ شـيـءـ لـاـ فـيـ ذـاـتـهـ وـلـاـ فـيـ صـفـاتـهـ وـلـاـ فـيـ أـفـاعـالـهـ .

ونـكـتـةـ الـأـمـرـ أـنـ الـجـسـمـ فـيـ اـعـتـقـادـ هـذـاـ النـافـ يـسـتـلـزـمـ مـائـلـةـ سـائـرـ الـأـجـسـامـ وـيـسـتـلـزـمـ أـنـ يـكـوـنـ مـرـكـبـاـ مـنـ الـجـوـاهـرـ الـفـرـدـةـ أوـ مـنـ الـمـادـةـ وـالـصـورـةـ وـأـكـثـرـ الـعـقـلـاءـ يـخـالـفـونـهـ فـيـ التـلـازـمـ وـهـذـاـ التـلـازـمـ مـنـتـفـ باـتـفـاقـ الـفـرـيقـيـنـ وـهـوـ الـمـطـلـوبـ إـذـاـ اـنـفـقـوـاـ عـلـىـ اـنـفـاءـ النـقـصـ الـذـيـ عـنـ الـلـهـ شـرـعاـ وـعـقـلاـ بـقـيـ بـحـثـمـ فـيـ الـجـسـمـ الـاـصـطـلـاحـيـ هـلـ هـوـ مـسـتـلـزـمـ هـذـاـ الـحـذـورـ ؟ـ وـهـوـ بـحـثـ عـقـلـيـ كـبـحـثـ النـاسـ فـيـ الـأـرـضـ هـلـ تـبـقـيـ أـوـ لـاتـبـقـ وـهـذـاـ الـبـحـثـ الـعـقـلـيـ لـمـ يـرـتـبـطـ بـهـ دـيـنـ الـمـسـلـيـنـ بلـ لـمـ يـنـطـقـ كـتـابـ وـلـاـ سـنـةـ وـلـاـ أـثـرـ مـنـ السـلـفـ بـاـفـظـ الـجـسـمـ فـيـ حـقـ الـلـهـ لـاـ نـقـيـاـ وـلـاـ إـثـيـاتـاـ فـلـيـسـ لـأـحـدـ أـنـ يـبـتـدـعـ اـسـمـاـ بـحـمـلاـ بـحـتـمـلـ مـعـانـيـ مـخـتـلـفـةـ لـمـ يـنـطـقـ بـهـ الشـرـعـ وـيـعـلـقـ بـهـ دـيـنـ الـمـسـلـيـنـ وـلـوـ كـانـ قـدـ نـطـقـ بـالـلـغـةـ الـعـرـيـةـ فـكـيـفـ إـذـاـ أـحـدـ ثـلـثـةـ مـعـنـيـ آـخـرـ .

وـالـمـعـنـيـ الـذـيـ يـقـصـدـهـ إـذـاـ كـانـ حـقـاـ عـبـرـ عـنـهـ بـالـعـبـارـةـ الـلـاـلـبـسـ فـيـهاـ إـذـاـ كـانـ مـعـتـقـدـهـ أـنـ الـأـجـسـامـ مـتـاهـلةـ وـأـنـ الـلـهـ لـيـسـ كـمـلـهـ شـيـءـ وـهـوـ سـبـحـانـهـ لـاـسـمـيـ لـهـ وـلـاـ كـفـزـ لـهـ وـلـاـ نـدـ لـهـ فـهـذـهـ عـبـارـاتـ الـقـرـآنـ تـوـدـيـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ لـاـسـمـيـ لـهـ وـلـاـ كـفـزـ لـهـ وـلـاـ نـدـ لـهـ فـهـذـهـ عـبـارـاتـ الـقـرـآنـ تـوـدـيـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ ( ٦ - تـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـإـلـحـامـ )

بلا تلبيس ولا نزاع وإن كان معتقده أن الأجسام غير متماثلة وأن كل ما يرى ويقوم به من الصفات فهو جسم فإن عليه أن يثبت ما أثبتته الله ورسوله من عليه وقدرته وسائر صفاتك كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله عليه السلام في حديث الاستخاراة ، اللهم إني أستخلك بعلمه الغيب وقدرتك على الخلق ، ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنكم ترون ربكم يوم القيمة عياناً كما ترون الشمس والقمر لاتضامون في رؤيته ، فشبه الرؤية بالرؤبة وإن لم يكن المرئى كالمجرى .

فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبيس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لا بد أن يدل الشرع عليه فيثبته بالألفاظ الشرعية وإن قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحيثند فليس لأحد أن يدعو الناس إليه وإن قدر أنه في نفسه حق .

ومسألة تماثيل الأجسام وتركيبها من الجواهر الفردية قد اضطرب فيها جواهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا نارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ الجملة والمعنى المتشابهة وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع .

لكن المقصود هنا أنه لو قدر أن الإنسان تبين له أن الأجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يتندع في دين الإسلام قوله إن الله جسم ويفتظر على المعنى الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه إثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية ولو قد أنه تبين له أن الأجسام متماثلة وأن الجسم مركب لم يكن له أن يتندع القول بهذا الاسم ويفتظر على

معناه الذي اعتقده بعقله بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن إظهاره بعبارة لا إجمال فيها ولا تلبيس والذين يقولون إن الجسم مركب من الجواهر يدعى كثيرون منهم أنه كذلك في لغة العرب لأن العرب يقولون هذا جسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسم أي كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أ فعل إنما يكون لما يدل عليه الاسم فإذا قبل هذا أعلم وأعلم كان أكثر دالا على الفضيلة فيما دل عليه افظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فن قال جسم وليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب .

قالوا : وهذه تحطية في اللفظ وإن كنا لا نكفره إذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا جسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكي عن أبي زيد فيقال له لاريبي إن العرب تقول هذا جسم أي عظيم الجثة وهذا جسم من هذا أي أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التي هي الجواهر الفردة إنما يكون إذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون أن الجسم مركب من الجواهر الفردة والجواهر الفرد هو شيء قد يأبه من الصغر والمحقارة إلى أنه لا يتميز بمينه من يساره .

ومعلوم أن أكثر العقلاة من بني آدم لا يتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه إنما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة فهم متمنون أن يكون اللفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعواصمها أرادوا به هذا .

وقد علم بالاضرار أن أحدا من الصحابة والتابعين لهم ياحسان لم ينطق بإنبات الجوهر الفرد ولا بما يدل على ثبوته عنده بل ولا العرب قبلهم ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة ولا أتباع الرسل فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا لفظ جسم إلا ما كان مركيما مؤلفا ولو قلت بأن شيئا من العرب الشمس والقمر

والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزي أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى إلا بعد كافية .

ثم إذا تصوره قد يكذبه بفطنته ويقول كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن إجانب وأكثر العقلاة من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد فالفقهاء قاطبة تskر و كذلك أهل الحديث والتصوف وهذا كان الفقهاء متلقين على استحالة بعض الأجسام إلى بعض كاستحالة العذرة رمادا والخزير ملحاج ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تظهر أم لا تظهر ؟ .

والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل النوات عندهم بل تلك الجوادر التي كانت في الأول هي بعينها في الثاني وإنما اختلف التركيب ولهذا يتكلم بالمنظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرین من كان قد أخذ هذا التركيب عن المشكمين ويقول إن الماء يفارق غيره في التركيب فقط وكذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم إنما نشاهد فقط أحداث الله لشيء من الأعيان القائمة بهنفسها وأن جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات والمعدن والثمار والمطر والسحب وغير ذلك إنما هو جمع الجوادر وتفريقها وتغيير صفاتها من حال إلى حال لأنه يدع شيئاً من الجوادر والأجسام القائمة بأنفسها وهذا القول أكثر العقلاة ينكره ويقول : هو مخالف للحس والعقل والشرع فضلاً عن أن يكون الجسم في لغة العرب مستلزمـاً لهذا المعنى ، ثم الجسم قد يراد به الغلط نفسه وهو عرض قائم بغيره وقد يراد به الشيء الغليظ وهو القائم بنفسه فنقول هذا التوب له جسم أي غلظ قوله ( وزاده بسطة في العلم والجسم ) قد يحتاج به على هذا فإنه قرن الجسم بالعلم الذي هو مصدر فنقول المعنى زاده بسطة في قدره بحمل قدر بدنه أكبر من بدن غيره فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس المقدار .

وكذلك قوله ( تعجب أجيالهم ) أي صورهم القائمة بأبدانهم كما تقول

أعجني حسنه وجماله ولو أنه وبهاؤه فقد يراد صفة الأبدان وقد يراد نفس الأبدان وهم إذا قالوا لهذا أجسم من هذا أرادوا به أغاظ وأعظم منه أما كونهم يريدون بذلك أن ذلك العظم والظلة كان لزيادة الأجزاء فهذا مما يعلم قطعاً أنه لم يخطر ببال أهل اللغة إلامنأخذ ذلك عن اعتقاده من أهل الكلام المحدث الذي أحدث في الإسلام بعد انفراضاً عصر الصحابة وأكثر التابعين فإن هذا لم يعرف في الإسلام من تكلم به أو بمعناه إلا في أواخر الدولة الأموية لما ظهر جheim بن صفوان والجعدي بن درهم ثم ظهر في المعزولة.

فقد تبين أن من قال الجسم هو المؤلف المركب واعتقد أن الأجسام مركبة من الجواهر الفردية فقد ادعى معنى عقلياً ينافي فيه أكثر العقلاة من بني آدم ولم ينفل عن أحد من السلف أنه وافقه عليه وجعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه النفي في اللغة فقد غير معنى النفي في اللغة وادعى معنى عقلياً فيه زاغ طويلاً وليس معه من الشرع ما يوافق ما دعا به من معنى النفي ولا ما دعا به من المعنى العقلي فاللغة لا تدل على ما قال والشرع لا يدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الألفاظ وإنما يدل على المعنى المجرد بذلك فيه زاغ طويلاً ونحن نعلم بالاضطرار أن ذلك المعنى الذي وجب نفيه عن الله لا يحتاج إلى ما أحدثه هذا من دلالة النفي ولا ما دعا به من المعنى العقلي بل الدين جعلوا هذا عدتهم في تزييه الرب على نفي مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزووه عن شيء من النقائص البتة فإنهم إذا قالوا : هذا من صفات الأجسام فكل ما يثبتونه هو أيضاً من صفات الأجسام مثل كونه حياً عليها قديراً بل كونه موجوداً قائمًا بنفسه فإنهم لا يعرفون هذا في الشاهد إلا جسماً .

فإذا قال المنازع أنا أقول فيما تقيمه نظير قولكم فيما أثبتموه اقطعوا ثم هؤلاء لهم في استحقاق الرب لصفات السكال عندم هل عليه بالإجماع فقط أو عليه بالعقل أيضاً فيه قولان فمن قال إن ذلك لم نعلمه بالعقل

كُلُّ المَمْالِيْ وَالرَّازِيْ وَغَيْرُهَا لَمْ يَقُ مُعْمِ دَلِيلٌ يُنْزَهُونَ بِهِ الرَّبُّ عَنِ  
كُثُرِهِنَ النَّفَاقَاتِ هَذَا إِذَا لَمْ يَنْفِ إِلَّا مَا يُحِبُّ نَفِيَهُ عَنِ اللَّهِ مُثْلُ نَفِيَهُ لِلنَّفَاقَاتِ  
فَإِنَّهُ يُحِبُّ تَنْزِيهَ الرَّبِّ عَنْهَا وَيُنْفِي عَنْهُ مَائِلَةَ الْخَلْوَاتِ فَإِنَّهُ كَمَا يُحِبُّ تَنْزِيهَ الرَّبِّ  
عَنْ كُلِّ نَفَقَ وَعِبَّ يُحِبُّ تَنْزِيهَهُ عَنْ أَنْ يَمَلِّهِ شَيْءٌ مِّنَ الْخَلْوَاتِ فِي شَيْءٍ مِّنَ  
صَفَاتِ الْكَلَالِ الثَّابِتَةِ لَهُ .

وَهَذَا النَّوْعَانِ يُجْمِعُهُنَّ التَّنْزِيهُ الْوَاجِبُ لَهُ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ دَلَّتْ عَلَى  
الثَّوْعِينِ فَقُولَهُ أَحَدٌ مِّنْ قَوْلِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُوا أَحَدٌ يُنْفِي الْمَائِلَةَ وَالْمَشَارِكَ ،  
وَقُولَهُ صَدِيرٌ يَتَضَمَّنُ جَمِيعَ صَفَاتِ الْكَلَالِ فَالنَّفَاقَاتِ جَنِسُهَا مُنْقَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَكُلُّ مَا خَتَّصَ بِهِ الْخَلْقُ فَهُوَ مِنَ النَّفَاقَاتِ الَّتِي يُحِبُّ تَنْزِيهَهُ الرَّبُّ عَنْهَا بِخَلْفِ  
مَا يُوَصِّفُ بِهِ الرَّبُّ وَيُوَصِّفُ الْعَبْدُ بِمَا يُلْبِقُ بِهِ مِثْلُ الْعِلْمِ وَالْقَدْرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَنَحْوِ  
ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ نَفَاقَاتِ بَلْ مَائِلَتُ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِ فَإِنَّهُ يَثْبِتُ اللَّهُ عَلَى  
وَجْهِهِ لَا يُقَارِبُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِّنَ الْخَلْوَاتِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمَلِّهِ فِيهِ بَلْ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ  
فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ لَا يَمَلِّهِ مَا خَلَقَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَنْ اتَّفَقَا  
فِي الْاسْمِ وَكَلَامِهِ مَخْلُوقٌ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا أَسْمَاءً فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ  
فِي الْجَنَّةِ لِبَنًا وَنَحْرًا وَعَسْلًا وَمَاهَ وَحَرِيرًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَتَلَكَ الْحَقَّاَقَاتِ  
لَيْسَتْ مِثْلُهُنَّ وَكَلَامُهُنَّ مَخْلُوقٌ فَالْخَالِقُ تَعَالَى أَبْعَدَ مِنْ مَائِلَةِ الْخَلْوَاتِ مِنْ  
الْخَلْوَاتِ إِلَى الْخَلْوَقِ وَقَدْ سَمِّيَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَلَيْهَا حَلِيمًا رَمَدَ وَفَارِحَيْمًا سَمِيعًا بَصِيرًا  
غَرِيزًا مُلْكًا جَبَارًا مُتَكَبِّرًا مُؤْمَنًا حَظِيَّاً كَرِبَّاً غَنِيَّا شَكُورًا كَبِيرًا حَفِيظًا  
شَهِيدًا حَقَّاً وَكَلَامًا وَلِيًّا .

وَسَمِّيَ أَيْضًا بَعْضُ الْخَلْوَاتِ بِهِنَّهُ الْأَسْمَاءُ فَسَمِّيَ الْإِنْسَانُ سَمِيعًا بَصِيرًا وَسَمِّيَ  
نَفِيَهُ رَمَدَ وَفَارِحَيْمًا وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادَهُ مُلْكًا وَبَعْضُهُمْ شَكُورًا وَبَعْضُهُمْ عَظِيمًا  
وَبَعْضُهُمْ حَلِيمًا وَعَلِيمًا وَسَأَرَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَسْمَى بِهِنَّهُ

الأسماه من المخلوقين بعمايلا للخالق جل جلاله في شيء من الأشياء وكذلك  
الزاع في لفظ التحييز والجهة ونحو ذلك فمن الناس من يقول هو متحيز وهو  
في جهة ، ومنهم من يقول ليس بمحيز وليس في جهة ، ومنهم من يقول هو  
في جهة وليس بمحيز ولفظ المتحيز يتناول الجسم والجوهر الفرد ولفظ  
الجوهر قد يراد به المتحيز وقد يراد به الجوهر الفرد .

ومن الفلسفه من يدعى إثبات جواهر قاتمة بأنفسها غير متجيزه  
ومتأخرًا أهل الكلام كالشهرستاني والرازي والأمدي ونحوهم يقولون  
ليس في العقل ما يجعل ذلك وهذا كان من سلك سبيل هؤلاء وهو إنما يثبت  
حدوث العالم بحدوث الأجسام يقول بتقدير وجود جواهر عقلية فليس  
في هذا الدليل ما يدل على حدوثها وهذا صار ظانة من خلط الكلام  
بالفلسفه إلى قدم الجوهر العقلية وحدوث الأجسام وأن السبب الموجب  
لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس وكان يقول بهذا بعض  
أعيان المصريين وكذلك الأرموي صاحب اللباب الذي أجاب عن شبهة  
الفلسفه على دوام الفاعلية المتضمنة أنه لا بد للحدث من سبب فأجاب  
بالمجواب الباهر الذي أخذه من كلام الرازي في المطالب العالية فإنه أجاب  
به وهو في المطالب العالية يخلص كلام الفلسفه بكلام المتكلمين وهو في  
مسألة الحدوث والقدم جائز .

وهذا الجواب من أفسد الأوجه فإنه يقال ما الموجب لحدوث تلك  
التصورات إنما ثم إن النفس عندم لا بد أن تكون متصلة بالجسم فيمتنع  
وجود نفس بدون جسم ، وأيضا فالذى علم بالاضطرار من دين الرسل  
أن كل ماسوى الله مخلوق حدث كان بعد أن لم يكن وأيضا فاثبته الفلسفه  
من الجوهر العقلية إنما يوجد في الذهن لا في الخارج وأما أكثر المتكلمين  
فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل .

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع فيبين أن ما زرعى

الفلاسفة إثباته من الجوادر العقلية التي هي العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها في الخارج وإنما هي أمور معمولة في الذهن ي مجرد العقل من الأمور المعينة كما ي مجرد العقل الكليات المشتركة بين الأصناف كالحيوانية الكلية والإنسانية الكلية والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لافي الأعيان ، ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات وأن في الخارج ماهيات كثيرة مقارنة للأعيان غير الموجودات المعينة وكذلك منهم من يثبت كليات مجردة عن الأعيان يسمونها المثل الأفلاطونية .

ومنهم من يثبت دهرًا مجرداً عن المتحرك والحركة ويثبت خلاؤه مجرداً ليس هو متخيلاً ولا قائمًا بمحاجة ويثبت هيولي مجردة عن جميع الصور ، والهيولي في لقفهم يعني المحل يقال الفضة هيولي الخامن والدرهم والخشب هيولي الكرسي أي هذا محل الذي تصنع فيه هذه الصورة وهذه الصورة الصناعية عرض من الأعراض ويدعون أن الجسم هيولي محل الصورة الجسمية وغير نفس الجسم القائم بنفسه وهذا غلط وإنما هذا يقدر في النفس كاً يقدر امتداد مجرد عن كل ممتد وعدد مجرد عن كل معدود ومقدار مجرد عن كل مقدر ، وهذه كلها أمور مقدرة في الأذهان لا وجود لها في الأعيان وقد اعترف بذلك من عادته نصر الفلسفه من أهل النظر كما قد بسط هذا في غير هذا الموضوع ، فالجوادر العقلية التي يثبتها هؤلاء الفلسفه يعلم بصربيع العقل بعد التصور التام انتفاوها في الخارج وأما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلسفه أتباع أرساطو ولا يذكرونها بنفي ولا إثبات كما لا يعرفون النبووات ولا يتکامون عليها بنفي ولا إثبات .

إذا تكلم في ذلك متأخر وهم كان سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفه فلبسو ودلسو وكذلك العلة الأولى التي يثبتونها لهذا العالم إنما أثبتوها علة غائية يتحررك الله لك للتشبه بها وتحريكيها للفالك من

جنس تحريرك الإمام المقتدى به المؤمن المقتدى فإذا كان يحب أن يتشبه بiamameh  
ويقتدى بiamameh ، ولفظ الإله في لغتهم يراد به المتبع الإمام الذي يتشبه به  
فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالإله وهذا جعلوا الفلسفة العليا والحكمة  
الأولى إنما هي التشبه بالإله على قدر الطاقة .

وكلام أرسسطو في علم ما بعد الطبيعة في مقالة اللام التي هي منتهى فلسفته  
وفي غيرها كله يدور على هذا وتارة يشبه تحريرك للفلك بتحريرك المعشوق  
للعاشق لكن التحرير هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق أو لفرض  
يئاله منه وحرر كه الفلك عندهم ليست كذلك بل يتحرك ليتشبه بالعلة الأولى  
فموبيها أى يحب التشبه بها لا يحب أن يبعدها ولا يحب شيئاً يحصل منها ويتباهي  
ذلك أرسسطو بحرر كه النوميس لاتباعها أى اتباع الناموس قائمون بما في  
الناموس ويقتدون به والناموس عندهم هي السياسة الكلية للمدائن التي وضعها  
 لهم ذرو الرأى والعقل لمصلحة دنياهم إنما يتظالموا ولا تفسد دنياهم ومن عرف  
النبوات منهم يظن أن شرائع الأنبياء من جنس نوميسهم وأن المقصود بها  
مصلحة الدنيا بوضع قانون عدل .

ولهذا أوجب ابن سينا وأمثاله النبوة وجعلوا النبوة لابد منها لأجل وضع  
هذا الناموس ، ولما كانت الحكمة العملية عندهم هي الخاقانية والمنزلية والمدنية  
جعلوا ماجامت به الرسل من العبادات والشرائع والأحكام هي جنس الحكمة  
الخلقية المنزلية والمدنية فإن القوم لا يعرفون الله بل هم أبعد عن معرفته من  
كفار اليهود والنصارى بكثير وأرسسطو العلم الأول من أجهل الناس برب  
العالمين إلى الغاية لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية وهذا يحر عليهم  
وله تفرغاً وفيه ضيوعاً زمانهم .

وأما معرفة الله تعالى فخطفهم منها مبغوس جداً وأما ملاستكته وكتبه  
ورسله فلا يعرفون ذلك البتة ولم يتكلموا فيه لأنهم لا يبنى ولا إنباتات وإنما يتكلّم

في ذلك متأخر وهم الداخلون في الملل وأما قدماء اليونان فكانوا مشرعين من أعظم الناس شركا وسحرا يعبدون الكواكب والآصنام ولهذا عظمت عنائهم بعلم الهيئة والكواكب لأجل عبادتها وكانوا يبنون لها الهياكل وكان آخر ما وكمهم بطليموس صاحب المسطري لما دخلت الروم في النصرانية فجاء دين المسيح صلوات الله عليه وسلمه فأبطل ما كانوا عليه من الشرك .

ولهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع ديناً مركباً من دين الموحدين ودين المشركين فإن أولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب ويصلون لها ويصيرون بجاه قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا الصلاة إلى الشرق وجعلوا السجود إلى الشمس بدلاً عن السجود لها وكان أولئك يعبدون الآصنام المحسدة التي لها ظل بجاهات النصارى وصورت تماثيل القداديس في الكنائس وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والأسقوف بدل الصور المحسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل وأرسطو كان وزير الإسكندر بن فيليب المقدوني نسبة إلى مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب أو غربها الماء وهو الذي يورخ له النصارى واليهود التاريخ الروحي وكان قبل المسيح ب نحو ثلاثة عشرة سنة فيظن من يعظهم هؤلاء الفلاسفة أنه كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن ليعظهم بذلك قدره .

وهذا جهل فإن ذا القرنين كان قبل هذا بعده طويلاً جداً وذوقرنين في سد يأجوج وأوجوج وهذا المقدوني ذهب إلى بلاد قارمن لم يصل إلى بلاد الصين فضلاً عن السد والملائكة التي أخبر الله ورسوله بها لا يحصى عددهم إلا الله ليسوا عشرة ولا تسعه وهم عباد الله أحيا ناطقون ينزلون إلى الأرضين ويصعدون إلى السماء ولا يفعلون إلا بإذن ربهم كما أخبر الله عنهم بقوله : ( وقالوا آتند الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقوته بالقول وهم

بأمره يعلمون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا من أوثقى لهم  
من خشيته مشفقون ) .

وقال تعالى ( وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من  
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي ) وأمثال هذه النصوص ، وهؤلاء يدعون  
أن العقول قديمة أزلية وأن العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا الفلك  
والعقل الأول هو رب السموات والأرض وبا يدهما ، والملائكة الذين  
دخلوا معهم من أتباع بنى عبيد كصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم  
وكلاحدة المتصوفة مثل ابن عربي ، وابن سبعين وغيرهما يحتاجون لمثل  
ذلك بالحديث الموضوع أول ماخليق الله العقل .

وفي كلام أبي حامد الغزالى في الكتب المضتوة بها على غير أهلها وغير  
ذلك من معانٍ هؤلاء نطعة كبيرة ويعبر عن مذاهبهم بلغة الملك والملائكة  
والجبروت ومراده بذلك الجسم والنفس والعقل فأخذ هؤلاء وتلك  
العبارات الإسلامية ويودعونها معانٍ هؤلاء وتلك العبارات مقبولة عند  
المسلمين فإذا سمعوها قبلوها ثم إذا عرروا المعانى التي تصدّها هؤلاء ضلّ بها  
من لم يعرف حقيقة دين الإسلام وأن هذه معانٍ هؤلاء الملائكة ليست  
هي المعانى التي عناها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه المرسلون  
مثل موسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين .

ولهذا ضلّ كثير من المتأخرین بسبب هذا الالتباس وعدم المعرفة  
بحقيقة ما جاء به الرسول وما يقوله هؤلاء حتى يصلّ بهم خلق من أهل العلم  
والعبادة والتتصوف ومن ليس له غرض في مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم  
بل يحبّ اتباعه مطلقاً ولو عرف أن هذا مخالف لما جاء به لم يقبله لكن لعدم  
كمال علمه بمعانٍ ما أخبر به الرسول ومقدار هؤلاء يقبل هذا الاسم إذا

مكان المتكلم به من له نصيب وافر في العلم والكلام والتصوف والرهد والفقه والعبادة.

ورأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين إنما يعرفون الشرع الظاهر وفوق مرتبة الحديث الذي غايتها النقل لأنفاظ لا يعلم معانها وكذلك المقرى والمفسر، ورأى من يعظمه من أهل الكلام أما موافق لهم أو خائف منهم، ورأى بحوث المتكلمين معمم في مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق تبيين فساد قولهم بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة وتارة يخالفونهم في أمر قالته الفلسفه ويكون حفاظ مثل ما يرى كثيرون من المتكلمين يخالفونهم في أمور طبيعية ورياضية ظانا أنه ينصر الشرع ويكون الشرع موافقا لما علم بالعقل مثل استدارة الأذلاك فإنه لم يعلم بين السلف خلاف في أنها مستديرة والآثار بذلك معروفة والكتاب والسنة قد دل على ذلك وكذلك استحالة الأجسام بعضها إلى بعض هو مما اتفق عليه الفقهاء كما قال هؤلاء إلى أمور آخر لكن كثير من المتكلمين أو أكثرهم لا يخبره لهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتتابعين لهم بإحسان بل يذهبون مقالات يظنها دين المسلمين بل إجماع المسلمين ولا يكون قد قالها أحد من بل الثابت السلف عن السلف مختلف لها.

فليما وقع بين المتكلمين تقصير وجه كثير بتحقيق العلوم الشرعية ومفهوم العقليات تارة يوافقون الفلسفه على باطلهم وتارة يخالفونهم في حكم صارت المناظرات بينهم دولا وإن كان المتكلمون أصح معلقا في العقليات الإلهية والكلية كما أنهم أقرب إلى الشرعيات من الفلسفه فإن الفلسفه كلامهم في الإلهيات والكليات العقليه كلام فاقدا وفيه تخليط كثير وإنما يتكلمون جيدا في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد.

وأما الغريب الذي تخبر به الأنبياء والكلمات العقلية التي تعم المؤجدات

كلها وتقسيم الموجرات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة فإن هذا لا يكُون إلا من أحاط بأنواع الموجودات وهم لا يعرفون إلا الحساب وبعض لوازمه وهذا معرفة بقليل الموجودات جداً فإن مالا يشهده الأدميون من الموجودات أعظم قدرًا وصفة ما يشهدونه بكثير .

ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلسفه إذا سمعوا أخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار وهم يظنون أن لا موجود إلا ماعلموه هم والفلسفه يصيرون حاترين متأولين لكلام الأنبياء على ماعرفوه وإن كان هذا لادليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فإن عدم العلم ليس عملاً بالعدم لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن لأنه ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن وإلا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن .

وهكذا تجد من عرف نوعاً من العلم وأمتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبين بجهله نافياً لما لا يعلمه وبنو آدم ضلاظهم فيما جحدوه ونقوه بغير علم أكثر من ضلاظهم فيما أثبتوه وصدقوا به قال تعالى : ( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأثِّمُ تأويلاً ) وهذا لأن النالب على الأدميين صحة الحس والعقل فإذا أثبتو شيئاً وصدقوا به كان حقاً ولهذا كان التواتر مقبولاً من جميع أجناس بني آدم لأنهم يخبرون بما شاهدوه وسمعوا ، وهذا أمر لا يشتراك الخلق العظيم في الغلط فيه ولا في تعمد الكذب فيه فإذا علم أنهم لم يتواطؤوا عليه ولم يأخذه بعضهم عن بعض كما يؤخذ المذهب والأراء التي يتلقاها المتأخر عن المتقدم وقد علم أن هذا مما لا يغطى فيه عادة علم قطعاً صدقهم فإن الخبر إما أن يتعمد الكذب وإما أن يغطى وكلماً ما مأمون في التواترات بخلاف مانفوه وكذبوا به فإن غالبيهم أو كثيراً منهم ينفون مالا يعلمون ويكتذبون بما لم يحيطوا بعلمه .

فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ماعرفه هؤلاء المتكلمسة إذا سمعوا ما أخبرت به الأنبياء من العرش والكرسي قالوا : العرش هو القلب التاسع

والذكرى هو الثامن وقد تكلمنا على ذلك في مسألة الإحاطة وبيننا جهل من قال هذا عقلاً وشرعاً ، وإذا سمعتم يذكرون الملائكة ظن أنهم العقول والنفوس التي يثبتها المتكلفة والقوى التي في الأجسام وكذلك الجن والشياطين يظن أنما أعراض قاتمة بالنفوس حيث كان هذا مبلغه من العلم .

وكذلك يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله من أن الغرائب في هذا العالم سببها قوة فلكية أو طبيعية أو نفسانية ويجعل موجزات الآنيات من باب القوى النفسانية وهي من جنس السحر لكن الساحر تصدّه الشر والنبي تصدّه الخير وهذا كله من الجهل بالأمور الكلية المحضة بال موجودات وأنواعها ، ومن الجهل بما جاء به الرسول فلا يعرفون من العلوم الكلية ولا العلوم الإلهية إلا ما يعرّفه الفلاسفة المتقدمون وزيادات تلقوها عن بعض أهل الإسلام أو عن أهل الملة .

فلهذا صار كلام المتأخرین كابن سينا وأمثاله في الإلهيات والكلامات أجود من كلام سلفه ولهذا قربت فلسفة اليونان إلى أهل الإلحاد والمبتدعة من أهل الملل لما فيها من شوب الملة وهذا دخل فيها بفوبي عبيد الملاحدة فأخذوا عن هؤلاء الفلاسفة الصابئة المشركون العقل والنفس وعن المجرم النور والظلمة وسموهم السابق وال التالي ، وكذلك الملاحدة المنتسبون إلى التصوف والتآله كابن سبعين وأمثاله سلّكوا مسلكاً جعلوا فيه بزعمهم بين الشرع والفلسفة وهم ملاحدة ليسوا من الشنتين والسبعين فرقاً ، وقد بسط الكلام على هؤلاء وهؤلاء في غير هذا الموضوع .

وإنما ذكرنا هنا لأن أهل الكلام الحديث صاروا العدم عليهم بما عمله السلف وأئمّة السنة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وما وقعوا فيه من الكلاميّات الباطلة يدخل بسيطهم هؤلاء الفلاسفة في الإسلام أموراً باطلة وبمحض لهم من الضلال والتي مالا يتسع هذا الموضع لذكره .

ولما أحدثت الجماعة مختتهم ودعوا الناس إليها وضرب أحد بن حنبل في سنة عشرين وما تئن كان مبدأ حدوث القراءة الملاحدة الباطنية من ذلك الزمان فصارت البدع باب الإلحاد كما أن العاصي يريد الكفر ولبسه هذا موضع آخر.

والمقصود هنا الكلام على لفظ التحيز والجهة وهو لام المتكلمون المتفلسفة صار بينهم زراع في الملائكة هل هي متحيز أم لا؟ فمن مال إلى الفلسفة ورأى أن الملائكة هي العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفة وأن تلك ليست متحيزة قال إن الملائكة ليست متحيزة لاسيما وطائفه من الفلسفه لم يجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس كما هو المشهور عن المشائين بل لا دليل على نفي الزيادة ورأى النبوات قد أخبرت بكثرة الملائكة فأراد أن يثبت كثراً لهم بطريقه فلسفية كافعل ذلك أبو البركات صاحب المعتبر، والرازي في المطالب العالية وغيرهما.

وأما المتكلمون فإنهم يقولون أن كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق فهو إما متحيز وإما قائم بتحيز وكثير منهم يقول كل موجود إما متحيز وإما قائم بتحيز ويقول لا يعقل موجود إلا كذلك كافال طوائف من أهل الكلام والنظر ثم الفلسفه كابن سينا وأبيه والشهريستاني والرازي وغيرهم لما أرادوا إثبات موجود ليس كذلك كان أكبر عمدتهم إثبات الكليات كالإنسانية المشتركة والحيوانية المشتركة وإذا كانت هذه لا تكون كليات إلا في الذهن فلم ينزعهم الناس في ذلك وإنما نازعهم في إثبات موجود خارج الذهن قائم بنفسه لا يمكن الإحساس به بحال بل لا يكون إلا معقولاً وقلوا لهم: المعقول ما كان في العقل وأما ما كان موجوداً قائماً بنفسه فلا بد أن يمكن الإحساس به وإن لم نحس نحن به في الدنيا كما لا نحس بالجنة والملائكة وغير ذلك فلا بد أن يحس به غيرنا كملائكة الجن وأن يحسن به بعد الموت

أو في الدار الآخرة أو يحس به بعض الناس دون بعض في الدنيا كأنبياء الذين رأوا الملائكة وسمعوا كلامهم .

وهذه الطريقة - وهو أن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته - هي التي سلكها أئمة النظار كابن كلاب وغيره وسلكها ابن الزاغوني وغيره وأما من قال لمن كل موجود يجوز رؤيته أو يحور أن يحس بسائر الحواس الخمس كما يقوله الأشعرى وموافقوه كالقاضى أبي يعلى ، وأبى المعالى وغيرهما فهذه الطريقة مردودة عند جمahir العقلاه بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة بعد التصور النام كاً بسط في موضعه ، وكذلك نزاعهم في روح الإنسان التي تفارقه بالموت على قول المهوو الدين يقولون هي عين قائمتها بنفسها ليست عرضاً من أعراض البدن كالحياة وغيرها ولا جزءاً من أجزاء البدن كالماء الخارج منه فإن كثيراً من المتكلمين زعموا أنها عرض قائم بالبدن أو جزء من أجزاء البدن لكن هذا مختلف للكتاب والسنة وإجماع السلف والخلف ولقول جمahir العقلاه من جميع الأمم وخالف للأدلة .

وهذا مما استطاع به الملاسفة على كثير من أهل الكلام قال القاضى أبو بكر أكثر المتكلمين على أن الروح عرض من الأعراض وبهذا نقول إذا لم يعن بالروح النفس فإنه قال الروح السكان في الجسد ضربان: أحدهما الحياة القائمة به ، والآخر النفس والنفس ريح ينبعث به والمراد بالنفس ما يخرج بنفس التنفس من أجزاء الهواء المتحلل من المسام وهذا قول الاسفرايني وغيره .

وقال ابن فورك هو ما يجري في تجاويف الأعضاء وأبى المعالى خالق هؤلاء وأحسن في مخالفهم فقال إن الروح أجسام لطيفة مشابهة للأجسام المحسوسة أجرى الله العادة بحياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها فإذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة ومذهب الصحابة والتابعين لهم يا حسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة أن الروح عين قائمتها بنفسها تفارق البدن وتنتهي وتعذب لپست هي البدن ولا جزءاً من أجزائه كالنفس المذكور .

ولما كان الإمام أحد من نص على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة لم يختلف أصحابه في ذلك لكن طائفة منهم كالقاضي أبي يعلى زعموا أنها جسم وأنها الهواء المتتردد في مخاريق البدن موافقة لأحد المعنين الذين ذكرهما الباقلاني ، وهذه الأقوال لما كانت من أضعف الأقوال تسلط بها عليهم خلق كثير ، والمقصود هنا أن الدين قالوا أنها عين قافية نفسها غير البدن وأجزاءه وأعراضه تنازعوا هل هي جسم متربز على قولهن كتنازعهم في الملائكة ؟ .

فالمتكلمون منهم يقولون جسم والمتفلسفه يقولون جوهر عقل ليس بجسم وقد أشرنا فيما تقدم إلى أن ما تسميه المتفلسفه جواهر عقلية لا توجد إلا في الذهن ، وأصل تسميةهم المجردات والمقارقات هو مأخوذ من نفس الإنسان فإنه لما كانت تفارق بدنه بالموت وتتجدد عنه سموها مفارقة مجردة ثم أثبتوا ما أثبتوه من العقول والذفوس وسيوها مفارقات و مجردات لمفارقتها المادة التي هي عندهم الجسم وهذه المفارقات عندهم مالا يكون جسما ولا قائمها بجسم لكن النفس متعلقة بالجسم تعلق التدبر والعقل لا تتعلق له بالأجسام أصلا ، ولاريب أن جاهير المقالة على إثبات الفرق بين البدن والروح التي تفارق والجهاز يسمون ذلك روحًا وهذا جسما لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين بل الجسم هو الجسد كما تقدم وهو الجسم الغليظ أو غلظه والروح ليست مثل البدن في الغليظ والكتافة ولذلك لا تسمى جسما فلن يجعل الملائكة والأرواح ونحو ذلك جسما بالمعنى اللغوي فقد أصاب في ذلك ورب العالمين أولى أن لا يكون جسما فإنه من المشهور في اللغة الفرق بين الأرواح والأجسام .

وأما أهل الاصطلاح من المتكلمة والمتفلسفه فيجعلون مسمى الجسم أعم من ذلك وهو ما أمكنت الإشارة الحسية إليه وما قيل أنه هنا وهناك وما قبل الأبعاد الثلاثة ونحو ذلك وكذلك المتييز في اصطلاح هؤلاء هو الجسم

( ٧ - تفسير سورة الإخلاص )

ويدخل فيه الجوهر الفرد عند من أثبته وقد تقدم منه الجسم في اللغة ، وأما التحيز فقد قال تعالى ( ومن يوْلَهُمْ يوْمَئِذٍ بَرُّهُ إِلَّا مُتَحِرِّفًا لِفَتَالٍ أو مُتَحِيزًا إِلَى فَتَةٍ ) فقد باء بغضب من الله .

وقال الجوهرى الحوز الجموع وكل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه حوزاً وحيازة واحتيازه أيضاً والحوز والحيز السوق اللين وقد حاز الإبل بحوزها ويحيزها وحوز الإبل ساقها إلى الماء ، وقال الأصمى إذا كانت الإبل بعيدة المراعي عن الماء فأول ليلة توجهاً إلى الماء ليلة الحوز وتحوزت الحية وتحيزت تلوت يقال مالك تحوز تحوز الحية وتحيز تحيز الحية ، قال سيبويه : هو من ن فعل من حزت الشيء ، قال القطامي :

**تحيز من خشية أن أضيفها كأنها اخزت الأفعى مخافة صارب**  
 يقول تنسحب عن هذه العجوز وتتأخر خشية أن أنزل عليها ضيفاً والحيز ما انضم إلى الدار من مراقبها وكل ناحية حيز وأصله من الواو والحيز تحفيظ الحيز مثل هين وهين ولين ولين والجمع أحياز ، والحوزة الناحية وانحاز عنها انعدل وانحاز القوم تركوا مركبهم إلى آخر يقال للأولياء انحازوا عن العدو وحاصروا والأعداء انزموا ولووا مدربين وتجاوز الفريقان في الحرب انحاز كل فريق عن الآخر .

فهذا المذكور عن أهل اللغة في هذا النقطة ومادته تقتضى أن التحيز والانحياز والتحوز ونحو ذلك تضمن عدولاً من محل إلى محل وهذا أخص من كونه يحوزه أمر موجود لهم يراغعون في معنى الحوز ذهابه من جهة إلى جهة ، وهذا يقولون حزت المال وحزت الإبل وذلك يتضمن نقله من جهة إلى جهة فالشيء المستقر في موضعه كالجبل والشمس والقمر لا يسمونه متخيزاً وأعم من هذا أن يراد بالتحيز ما يحيط به حيز موجود فيسمى كل ما أحاط به غيره أنه متخيز .

وعلى هذا فما بين السماء والأرض متخيّز بل ما في العالم متخيّز الأسطوح  
العالم الذي لا يحيط به شيء فإن ذلك ليس بمتخيّز وكذلك العالم جملة ليس  
بمتخيّز بهذا الاعتبار فإنه ليس في عالم آخر أحاط به ، والمتكلمون يريدون  
بالمتخيّز ما هو أعم من هذا والخيز عندهم أعم من المكان فالعالم كله في حيز  
وليس هو في مكان والمتخيّز عندهم لا يعتبر فيه أنه يحوزه غيره ولا يكون له  
حيز وجودي بل كل ما أشير إليه وامتاز منه شيء عن شيء فهو متخيّز عندهم .

ثم هم مختلفون بعد هذا في المتخيّز هل هو مركب من الجوهر الفردية  
أو من المادة والصورة أو هو غير مركب لامن هذا ولا من هذا كما تقدم  
نراهم في الجسم فالجسم عندهم متخيّز ولا يخرج عنه إلا الجوهر الفرد عند  
من أنتهته وهو لام . يعتقد كثير منهم أو أكثرهم أن كل متخيّز فهو مركب يقبل  
الانقسام إلى جزء لا يتجزأ بل يقى بعضهم أن هذا إجماع المسلمين وأكثرهم  
يقولون المتخيّزات متهائلة في الحد والحقيقة ومن كان معنى المتخيّز عنده هذا  
فعليه أن ينزله الله تعالى أن يكون متخيّزاً بهذا الاعتبار ، وإذا قال الملائكة  
متخيّزون بهذا الاعتبار أو الروح متخيّزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك جهور  
العقلاء من المسلمين وغيرهم بل لا يعرف أحد من سلف الأمة وأئتها يقول  
أن الملائكة متخيّزة بهذا الاعتبار ولا قالوا لفظاً يدل على هذا المعنى ، وكذلك  
روح بني آدم التي تفارقه بالموت لم يقل أحد من السلف أنها متخيّزة بهذا  
الاعتبار ولا قال فيها لفظاً يدل على هذا المعنى فإذا كان إثبات هذا التخيّز  
للملائكة والروح بدعة في الشرع وباطلاً في الشرع فلأن يكون ذلك بدعة  
وباطلاً في رب العالمين بطريق الأولى والآخرى .

ومن هنا يتبيّن أن عامة ما يقوله المتكلّمة في نفوس  
بني آدم وفي الملائكة باطلة فكيف بما يقولونه في رب العالمين ، وهذا توجّد  
الكتب المصنفة التي يذكّر فيها مقالات هؤلاء وهؤلاء في هذه المسائل الكباري في  
رب العالمين وفي ملائكته وفي أرواح بنى آدم وفي العاد وفي التقوّات ليس

فيها قول يطابق العقل والشرع ولا يعرفون ما قاله السلف والأئمة في هذا الباب  
ولامادل عليه الكتاب والسنة .

فلهذا يغلب على فضلاهم الحيرة فإنهم إذا أنهوا النظر لم يصلوا إلى علم لأن ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتمل على باطل من الجانبيين وهذا قال أبو عبدالله الرادي في آخر عمره : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فارأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلًا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات (إليه يصعد الكلم الطيب) (والرحمن على العرش أستوى) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

وأما من اعتقد أن المتشين هو ما بابن غيره فانحاز عنه وليس من شرطه أن يكون مركباً من الأجزاء الفردية ولا أنه يقبل التفريق والتقسيم فإذا قال إن الرب متعين بهذا المعنى أى أنه بائن عن خلوقاته فقد أراد معنى صحيحاً لكن إطلاق هذه العبارة بدعة وفيها نلبس فإن هذا الذي أراده ليس معنى المتشين في اللغة وهو اصطلاح له ولطائفته .

وفي المعنى المصطلح نزاع بين العقلاه فصار يحتمل معنى فاما يحب تنزيه الرب عنه وليس للإنسان أن يطلق لفظاً بدل عنده غيره على معنى فاسد ويفهم ذلك الغير ذلك المعنى الفاسد من غير بيان مراده بل هؤلاء المتكلمون الذين أرادوا بالمتدين ما كان مؤلفاً من أجزاء لا تقبل القسمة وهو ما كان قابلاً للقسمة إذا قالوا إن كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق فهو إما متعين وإما قائم بمتدين كان جماهير العقلاه يخالفونهم في هذا التقسيم .

ولم يكن أحد من آئمه المسلمين لامن الصحابة ولا من التابعين لهم بياحسان إلى يوم الدين ولا سائر آئمه المسلمين موافقاً لهم على هذا التقسيم فكيف إذا قال من قال منهم كل موجود فهو إما متعين وإنما قائم بمتدين وأراد بالمتدين

ما أراده هؤلاء فإن قوله حينئذ يكون أبعد عن الشرع والعقل من قول أولئك وهذا طالبهم متأخر وهم بالدليل على هذا الحصر وليس خطأ هؤلاء من جهة ما أنبته المتكلفة من الجوادر العقلية فإن تلك قد علم بطلانها بصريح العقل أيضاً.

وما يقوله هؤلاء المتكلفة في النفس الناطقة من أنها لا يشار إليها ولا توصف بحركة ولا سكون ولا صعود ولا نزول وليس داخل العالم ولا خارجه وهو أيضاً كلام أبطل من كلام أولئك المتكلمين عند جعافير العقلاء ولا سيما من يقول كابن سينا وأمثاله أنها لا تعرف شيئاً من الأمور الجزئية وإنما تعرف الأمور الكلية فإن هذا مكابرة ظاهرة فإنما تعرف بدنها وتعرف كل مازاه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه وتقصده وتتأثر به وتحبه وتكرره إلى غير ذلك مما تصرف فيه بعلمه وعملها فكيف يقال أنها لا تعرف الأمور المعينة وإنما تعرف أموراً كلية وكذلك قولهم أن تعلقها بالبدن ليس إلا مجرد تعلق التدبر والتصريف كتدبر الملك لملكته من أفسد الكلام فإن الملك يدبر أمر ملكته فيأمر وينهى ولكن لا يصرفهم هو بما شئت وقدرته إن لم يتعرّكوا هم يارادتهم وقدرتم والملك لا يلتزم بذلك أحدهم ولا يتأنّم بتأنّله وليس كذلك الروح والبدن بل قد جعل الله بهمما من الاتحاد والاتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به.

ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثلاً لدخول شيء من الأجسام المشوهة فليس دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من الماءات في الأوعية فإن هذه إنما تلاقى السطح الداخل في الأوعية لا بطنها ولا ظهرها وإنما يلاق الأوعية منها أطرافها دون أوساطها وليس كذلك الروح والبدن بل الروح متصلة بجميع أجزاء البدن باطنه وظاهره وكذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الأكل فإن ذلك له بجار معروفة وهو مستحصل إلى غير ذلك من صفاتها ولا جريانها في البدن كجريان الدم فإن الدم

يُكون في بعض البدن دون بعض في الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون  
كل شيء منه متعلقاً بالآخر بخلاف الروح والبدن .

لكن هي مع هذا في البدن قد ولجت فيه وتخرج منه وقت الموت وتسل  
منه شيئاً فشيئاً فتخرج من البدن شيئاً فشيئاً لانفارقه كما يفارق الملك مدینته  
التي يدبرها والناس لم يشهدوا لها نظيراً عسر عليهم التعبير عن حقيقتها  
وهذا تنبؤ لهم على رب العالمين حيث لم يعرفوا حقيقته ولا تصورووا كيف  
هو سبحانه وتعالى وأن ما يضاف إليه من صفات هو على ما يليق به جل جلاله  
فإن الروح التي هي بعض عبده توصف بأنها تمرج إذا نام الإنسان وتسجد  
تحت المرض وهي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية والإنسان في  
نومه يحس بتصرفات روحه تؤثر في بدنها فهذا الصعود الذي توصف  
به الروح لا يماثل صعود المشهودات فإنها إذا صعدت إلى مكان فارقت الأول  
بالكلية وحركتها إلى العلو حر كة انتقال من مكان إلى مكان وحركة الروح  
بعروجها وسجودها ليس كذلك فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل  
إلى سماء الدنيا كل ليلة وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج وأنه كل موسم في  
الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة وأنه استوى إلى السماء وهي  
دخان فقال لها ول الأرض انتبا طوعاً أو كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه  
الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال ذلك  
يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر .

فإن نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين وكذلك  
الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس فلا يجوز نفي ما أتبته الله ورسوله  
من الأسماء والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لاسيما ما لا  
شاهد له من المخلوقات فإن مائة لما لا شاهده من المخلوقات من الأسماء  
والصفات ليس مائلاً لما شاهده منها فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن  
علاقة كل مخلوق من مائة مخلوق مخلوق وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي  
لامايله من الخالق بالخلق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهذا الذي نهنا عليه مما يظهر به أن ما يذكره صاحب المحصل وأمثاله من تقسيم الموجودات على رأى المتكلمة كاه تقسيم غير حاصر وكل من الفريقين مقصر عن سلفه ، أما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم المسلط الذي دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وكذلك هؤلاء المفسدون أتباع أرسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الأساطين المتقدمين فإن أولئك كانوا يقولون بجذور هذا العالم وكانوا يقولون إن فوق هذا العالم عالما آخر يصفونه بعض ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وكانوا يثبتون معاد الأبدان كما يوجد هذا في كلام سقراط وتاليس وغيرهما من أساطين الفلاسفة .

وقد ذكروا أن أول من قال منهم بقدم العالم أرسطو هذه الألفاظ المحدثة الجملة الثانية مثل لفظ المركب والممؤلف والمنقسم ونحو ذلك قد صار كل من أراد نفي شيء مما أنتبه الله لنفسه من الأسماء والصفات عبر بها عن مقصوده فيتهم من لا يعرف مراده أن المراد تزييه الرب الذي ورد به القرآن وهو إثبات أحديته وصحيحته ويكون قد أدخل في تلك الألفاظ مارآه هو منفياً وعبر عنه بتلك العبارة وضعاً له واصطلاحاً اصطلح عليه هو ومن وافقه على ذلك المذهب وليس ذلك من لغة العرب التي نزل بها القرآن ولا من لغة أحد من الأمم ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الأحد والصمد الواحد ونحو ذلك من الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة .

ويجعل ما فاته من المعانى التي أنتبه الله ورسوله من تمام التوحيد واسم التوحيد اسم معظم جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فإذا جعل تلك المعانى التي نفها من التوحيد ظن من لم يعرف خالقة مراده لمراد الرسول أنه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل ويسمى طافته الموحدين كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شيء من الصفات ويسمون ذلك توحيداً ويسمون عليهم علم التوحيد كما تسمى المعزلة ومن وافقهم على نفي القدر عدلاً ويسمون أنفسهم العدلية وأهل العدل .

و مثل هذه البدع كثيرة جداً يعبر بالفاظ الكتاب والسنة عن معانٍ مختلفة لما أراد الله ورسوله بذلك الألفاظ ولا يكون أصحاب ذلك الأقوال تلقواها ابتداء عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بل عن شبه حصلت لهم وأئمة لهم وجعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب والسنة حجة لهم وعدهم لهم ليظهر بذلك أنهم متابعون للرسول لامخالفون له وكثير منهم لا يعرفون أن ماذكره خالف للرسول بل يظن أن هذا المعنى الذي أراده هو الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلهذا يحتاج المسلمون إلى شيئين : أحدهما معرفة ما أراد الله ورسوله بالفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا اللغة القرآن التي بها نزل وما قاله الصحابة والتابعون لهم ياحسان وسائر علماء المسلمين في معانٍ تلك الألفاظ فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ .

و كانت معرفة الصحابة لمعانٍ القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعانٍ إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه فإن المعانى العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين مثل معنى التوحيد مني الواحد والآحد والإيمان والإسلام ونحو ذلك كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله من معرفتها ولا يحفظ القرآن كله إلا قليل منهم وإن كان شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر والقرآن معلوم من ذكر وصف الله بأنه آحد وواحد ومن ذكر أن إلهكم واحد ومن ذكر أنه لا إله إلا الله ونحو ذلك .

فلا بد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك فإن معرفته أصل الدين وهو أول مادعي الرسول إليه الخلق وهو أول ما يقائلهم عليه وهو أول ما أمر رسله أن نأمر الناس به وقد تواتر عنه أنه أول ماددعى الخلق إلى أن يقولوا لا إله إلا الله ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله .

وفي الصحيحين أنه لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له إنك تأتي قوماً أهل

كتاب فليكن أول ما تدعوه إله شهادة أن لا إله إلا الله وأن رسول الله  
فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صفة تؤخذ من  
أغنيائهم فت رد على فقراتهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فليبايك وكرائم أموالهم  
وأنق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب فقال لمعاذ ليكن أول  
ما تدعوه إله التوحيد ومع هذا كانوا من أهل الكتاب كانوا يهوداً فإن  
اليهود كانوا كثيرين بارض اليهود وهذا الذي أمر به معاذ أمواق لقوله تعالى  
( فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلو المشركين حيث وجدتهم وخذلهم  
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن نابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة  
خلوا سبيلهم ) وفي الآية الأخرى ( فإن نابوا أو أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة  
فإخواكم في الدين ) .

وهذا مطابق لقوله تعالى ( وما أموا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين  
حتفاء ويقيمون الصلاة ويؤتونا الزكاة وذلك دين القيمة ) .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الإيمان بعض وستون  
أو بعض وسبعون شعبة أفضليها قول لا إله إلا الله وأدنىها إماتة الأذى  
عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان .

فالقصد أن معرفة ماجاء به الرسول وما أراده بالفاظ القرآن  
وال الحديث هو أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة ثم معرفة ما قال الناس  
في هذا الباب لينظر المماق الموافقة للرسول والمماق الخالفة لها والألفاظ  
نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله  
فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل ويعرف ما يعنيه الناس  
بالثاني ويرد إلى الأول هذا طريق أهل الهدى والستة .

و طريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدهنوها  
و معانها هي الأصل و يجعلون ماقاله الله ورسوله تبعاً لهم ويردونها بالنأويل  
والتحريف إلى مطايهم ويقولون نحن نفهم القرآن بالعقل والله يمنون .

أئمٍ يعتقدون معنى بعقولهم ورأيهم ثم يتأنلون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ولهذا قال الإمام أحد أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس وقال يختب المتكلم في الفقه هذين الأصلين الجمل والقياس وهذه الطريقة يشتراك فيها جميع أهل البدع السكار والصغار فهي طريق الجهمية والمعزلة ومن دخل في التأويل من الفلسفه والباطنية الملاحدة، وأما حذاق الفلسفه فيقولون إن المراد بخطاب الرسول إنما هو أن يخبل إلى الجمهور ما ينتفعون به من صالح دنياهم وإن لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا وليس مقصود الرسول بيان الحق وتعريفه بل مقصوده أن يخبل إليهم ما يعتقدون ويجعلون خاصية النبوة قوة التخييل فهم يقولون أن الرسول لم يبين ولم يفهم بل ولم يقصد ذلك وهم متباذرون هل كان يعلم الأمور على ماهي عليه على قولين ؟ منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها وهؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف .

ومنهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان حاذفاً في معرفتها وإنما كان يعرف الأمور العلية وهو لام يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي لأن الأمور العملية أكمل من العلية فهؤلاء يجعلون خبر الله وخبر الرسول إنما فيه التخييل وأولئك يقولون لم يقصد به التخييل ولكن قصد معنى يعرف بالتأويل ، وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يوح بالحق في باب التوحيد خاطب الجمهور بما خيل لهم كما يقولون أنه لو قال إن ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه ولا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لسفرت قلوبهم عنه ، قالوا هذا لا يعرف قالوا خاطبهم بالتجسيم حتى يتبت لهم رب يعبدونه وإن كان يعرف أن التجسيم باطل وهذا ي قوله طوائف من أعيان المفهوم المتأخرین المشهورین الذين ظنوا أن مذهب النهاة هو الصحيح واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به

الرسول من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد ونارة يقولون إنما عدل الرسول عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ويجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك وهو اجتهادهم في عقلياتهم وتأويلاتهم ولا يقولون أنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفاسفة .

وهذا قول أكثر المتكلمين التفاصي من الجهمية والمعزلة ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل وأمثاله . وأبو حامد . وابن رشد الحفيظ وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الأول وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف الجامع العام عن علم الكلام لمحافظة على هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمود لا تقوم إلا ببقاء الظواهر على ما هي عليه وإن كان هو يرى ماذكره في كتبه المضمن بها أن النفي هو الثابت في نفس الأمر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله كتابه ونبيه حيث قال (هدى للّاتيَن) وقال (هذا بيان للناس) وقال (إنما أنزلناه قرآنًا عربياً لعلكم تعقلون) وقال (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقال (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس عن الظلمات إلى النور) وأمثال ذلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تركتم على البيضاء ليلاً كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، وقال نبالي (وأن هذا صراط مستقيم) فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) وقال ( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وينحر جهنم من الظلمات إلى النور ياذنه ويهدى به صراط مستقيم ) وقال ( ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ) وقال ( فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وآتنيوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ) .

وَلِمْ طَافَةٌ ثَالِثَةٌ كُثِرَتْ فِي الْمُتَأْخِرِينَ الْمُتَنَبِّئِينَ إِلَى أَسْنَةٍ يَقُولُونَ  
مَا يَتَضَمَّنُ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى مَا أُزْلِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ كَآيَاتٍ  
الصَّفَاتِ بَلْ لَازِمٌ قَوْلُهُمْ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِأَحَادِيثِ الصَّفَاتِ وَلَا يَعْرِفُ  
مَعْنَاهَا .

وَهُؤُلَاءِ مَا كَنَّ لَمَّا رَأَوْا الْمُشْهُورَ عَنْ جِهَوَرِ السَّلْفِ مِنَ الصَّحَابَةِ  
وَالثَّابِعِينَ أَنَّ الْوَقْفَ التَّامَ عِنْدَ قَوْلِهِ (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) وَاقْفُوا السَّلْفُ  
وَأَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الْمَوَافِقَةِ لَكُنْ ظَنُوا أَنَّ الْمَرَادَ بِالتَّأْوِيلِ هُوَ تَأْوِيلُ مَعْنَى  
الْلَّفْظِ وَتَقْسِيرِهِ أَوْ هُوَ التَّأْوِيلُ الْاَصْطَلَاحِيُّ الَّذِي يَجْرِي فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنْ  
مَتَّخِذِي أَهْلِ الْفَقْهِ وَالْأَصْوَلِ وَهُوَ صَرْفُ الْلَّفْظِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِعِ  
إِلَى الْإِحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرَنُ بِهِ فَهُمْ قَدْ سَمِعُوا كَلَامَ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ  
فَصَارُ لِفَظُ التَّأْوِيلِ عِنْدَهُمْ هَذَا مَعْنَاهُ ، وَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا يَعْلَمُ  
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) ظَنُوا أَنَّ لِفَظَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ مَعْنَاهُ هُوَ لِفَظُ التَّأْوِيلِ  
فِي كَلَامِ هُؤُلَاءِ فَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَى هَذِهِ النَّصْوَصِ إِلَّا اللَّهُ  
لَا جُبْرِيلُ وَلَا مُحَمَّدٌ وَلَا غَيْرُهُمَا بَلْ كُلُّ مَنْ رَسُولٌ عَلَى قَوْلِهِمْ يَتَلَوُ أَشْرَفَ  
مَافِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ اللَّهِ بِأَسْمَاهُ وَصَفَاتِهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى  
ذَلِكَ أَصْلًا .

شُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَنْدِمُونَ وَيَبْطِلُونَ تَأْوِيلَاتَ أَهْلِ الْبَدْعِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعَنَّزَةِ  
وَغَيْرِهِمَا وَهَذَا جَيْدٌ لَكُنْ قَدْ يَقُولُونَ تَجْرِي عَلَى ظَواهِرِهَا وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهَا  
إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ عَنْتُمْ بِظَواهِرِهَا مَا يَظْهُرُ مِنْهَا مِنَ الْمَعْنَى كَانَ هَذَا مَنَاقِضًا لِقَوْلِهِمْ  
إِنَّهُمْ تَأْوِيلًا يُخَالِفُ ظَاهِرَهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ عَنْتُمْ بِظَواهِرِهَا بَحْرٌ  
الْأَنْفَاظِ كَانَ مَعْنَى كَلَامِهِمْ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأَنْفَاظِ وَهُوَ بِاطْنٌ يُخَالِفُ مَاضِهِ  
مِنْهَا وَهُوَ التَّأْوِيلُ وَذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَفِيهِمْ مَنْ يَرِيدُ بِإِجْرَانِهَا عَلَى ظَواهِرِهَا هَذَا الْمَعْنَى وَفِيهِمْ مَنْ يَرِيدُ الْأَوْلَى  
وَعَاهِمُهُمْ يَرِيدُونَ بِالتَّأْوِيلِ الْمَعْنَى الثَّالِثَ وَقَدْ يَرِيدُونَ بِهِ الثَّانِي فَإِنَّهُ أَحْيَا نَاسًا قَدْ

يُفسر النص بما يوافق ظاهره ويبين من هذا ليس من التأويل الثالث فيأتون ذلك ويذكرهون تدبر النصوص والنظر في معانٍها أعني النصوص التي يقولون أنه لم يعلم تأويلها إلا الله ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم فإن كانوا من القدرة قالوا النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا حكمة والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو مريد الكل ماوقع نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله إذا كانوا من لايتاؤ لها فإن عامة الطوائف منهم من يتأول مايختلف قوله ومنهم من لايتأوله وإن كانوا من الصفاتية المثبتين من الصفات التي زعموا أنهم يعلوونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخرى الكلامية كأبي المعالى في آخر عمره وابن عقيل في كثير من كلامه قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندهم بالعقل هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله وكثير منهم يسكون له قوله وحالان نارة يتأول ويوجب التأويل أو يجوزه ونارة يرميه كما يوجد لأبى المعالى .

ولابن عقيل ولا مثاهمما من اختلاف الأقوال ومن أثبتت العلو بالعقل وجعله من الصفات العقلية كأبى محمد بن كلاب ، وأبى الحسن بن الزاغونى ومن وافقه وكالقاضى أبى يعلى في آخر قوله . وأبى محمد أثبتو العلو وجعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون لا يعلم تأويلها إلا الله وإن كانوا من يرى الفوقية والعلو أيضا من الصفات الخبرية كقول القاضى أبى بكر وأكثر الأشعرية .

وقول القاضى أبى يعلى في أول قوله وابن عقيل في كثير من كلامه وأبى بكر البهقى وأبى المعالى وغيرهم سلك مسلك أوثانك وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

ومقصود هنا أن كل طائفة تعتقد من الآراء مايناصض مادل عليه القرآن يجعلون تلك النصوص من المتشابهة ثم إن كانوا من يرى الوجه

عند قوله (إلا الله) قالوا لا يعلم معناها إلا الله فيلزم أن لا يكون محمد وجليل ولا أحد علم معنى تلك الآيات والأخبار وإن رأوا الوتف على قوله (والراستون في العلم) جعلوا الراسدين يعلمون ما يسمونه تأويلاً ويقولون إن الرسول إنما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقوتهم وأذهانهم ويجهدون في تخيير الفاظه على اللغات العربية فيجهدون في معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون بها من التأويل.

وهذا إن قالوا أنه قصد بالقرآن والحديث معنى حقاً في نفس الأمر وإن قالوا بقول الفلسفه والباطنية الذين لا يرون التأويل قالوا لم يقصد بهذه الانفاظ إلا ما يفهمه العامة والجمهور وهو باطل في نفس الأمر لكن أراد أن يخبل لهم ما ينتفعون به ولم يمكنه أن يعرفهم الحق فإنهم كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه وأمامن قال من الباطنية الملاحدة فلا سفيتهم بالتأويل فإنه يتأنى كل شيء مما أخبرت به الرسل من أمر الإيمان واليوم الآخر ثم يقولون العبارات كما هو معروف من تأويلات القراءة الباطنية وأبي حامد في الإحياء ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلسفه وقال إنهم أشرفوا في التأويل وأسرفت الحنابلة في الجود.

وذكر عن أحمد بن حنبل كلاماً لم يقله أحد فإنه لم يكن يعرف ما قاله أحمد ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ولا ما جاء به القرآن والحديث وقد سمع مضافاً إلى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ومن غيرهم من المالكية والشافعية وغيرهم في الحرف والصوت وبعض الصفات مثل قولهم إن الأصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية وأن الحروف المتعاقبة قديمة أزلية وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ويمخلو منه العرش حتى يبق بعض المخلوقات فوقه وبعضهم تحته إلى غير ذلك من المنكرات فإنه مامن طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرها الفساد وهي التي يحفظها من ينفرعنهم ويشفع بها عليهم وإن كان أكثرهم ينكرونها ويدفعها كما في هذه المسائل المنكرة التي يقوطها

بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعى فإن جواهر هذه الطوائف ينكرها وأحمد وجعور أصحابه منكرون لها .

وكلامهم في إنكارها وردتها كثير جداً لكن يوجد في أهل الحديث مطلاقاً من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات أكثر مما يوجد في أهل الكلام ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث لأن الحديث إنما جاء ببيانات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي افرد به أهل الكلام .

والكلام المأخذ عن الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرانع القرآن والحديث بل والعقل الصريح أيضاً لكنهم يدعون أن المقل دل على النفي وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر والمتسببون إلى السنة من الحنبليين وغيرهم الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين يتمسكون بما يحذرون في كلام الآئمة في المتشابه مثل قول أحمد في رواية حنبل ولا كيف ولا معنى ظنوا أن مراده أنا لا نعرف معناها .

وكلام أحمد صريح بخلاف هذا في غير موضع وقد بين أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله وصنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيها أتکرنه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله فأنكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ورسوله وهم إذا تأولوه يقولون معنى هذه الآية كذا والمكيفون يثبتون كيفية يقولون أنهم علموا كيفية ما أخبروا به من صفات الرب ففي أحد قول هؤلام وهؤلام قول المكيف الذي يدعون أنهم علموا الكيفية وقول المحرفة الذي يحرفون الكلم عن موضعه ويقولون معناه كذا وكذا وقد كتبت كتاب أحمد بالفاظه كما ذكره الحال في كتاب السنة وكما ذكره من نقل كتاب أحمد ياسناده في المكتب المصنفة في ذلك في غير هذا الموضع وبين أن لفظ التأويل

فِي الْآيَةِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ التَّأْوِيلُ فِي لِغَةِ الْقُرْآنِ كَفُولُهُ تَعَالَى : ( هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ جَاءَتْ رِسْلُنَا بِالْحَقِّ فَهُلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ فَيُشَفِّعُونَا إِنَّا أَنْزَلْنَا لَكُمْ غَيْرَ الَّذِي كَنَا نَعْمَلُ ) .

وَعَنْ أَبْنَى عَبَاسَ فِي قَوْلِهِ ( هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ) تَصْدِيقٌ مَا وُعِدَ فِي الْقُرْآنِ ، وَعَنْ قَنَادِهِ تَأْوِيلَهُ ثُوَابَهُ ، وَعَنْ مُجَاهِدِ جَزَاءِهِ وَعَنْ السَّدِي عَاقِبَتِهِ وَعَنْ أَبْنَى زَيْدَ حَقِيقَتِهِ قَالَ بِعِضِّهِمْ تَأْوِيلَهُ مَا يَؤْلِي إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ الْمَذَابِ وَوَرَودِ النَّارِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ( بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يَحْبِطُوا بِعْلَمَهُ وَلَمَا يَأْتُهُمْ تَأْوِيلُهُ ) .

قَالَ بِعِضِّهِمْ تَصْدِيقٌ مَا وُعِدُوا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّأْوِيلِ مَا يَؤْلِي إِلَيْهِ الْأَمْرِ وَعَنِ الصَّحَاكِ يَعْنِي عَاقِبَةِ مَا وُعِدَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّأْوِيلِ مَا يَؤْلِي إِلَيْهِ الْأَمْرِ . وَقَالَ الشَّعْلَى تَفْسِيرَهُ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ الزَّجاجُ لَمْ يَكُنْ مَعْهُمْ عِلْمٌ تَأْوِيلَهُ وَقَالَ يُوسُفُ الصَّدِيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( يَا أَبَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ ) فَعَلَ نَفْسِ سَجِرْدَ أَبُو يَهُهُ لَهُ تَأْوِيلُ رُؤْيَايَهُ وَقَالَ قَبْلَ هَذَا ( لَا يَأْتِي سَكَّا طَعَامَ تَرْزُقَانَهُ إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ) أَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِي سَكَّا التَّأْوِيلُ وَالْمَعْنَى لَا يَأْتِي سَكَّا طَعَامَ تَرْزُقَانَهُ فِي النَّاسِ كَمَا قَالَ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَرَافِي أَعْصَرَ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَافِي أَحْمَلَ فَوقَ رَأْسِي خَبِرَا إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ فِي الْيَقْظَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي سَكَّا التَّأْوِيلُ هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَهُوَ الصَّوابُ .

وَقَالَ بِعِضِّهِمْ لَا يَأْتِي سَكَّا طَعَامَ تَرْزُقَانَهُ وَتَأْكِلَنَهُ إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ بِتَفْسِيرِهِ وَأَلْوَانِهِ أَى طَعَامَ أَكَانَمْ وَكَمْ أَكَانَمْ وَمِنْ أَكَانَمْ فَقَالُوا هَذَا فَعْلُ الْعَرَازِينَ وَالْكَمَنَةِ فَقَالَ مَا أَنَا بِكَاهِنٍ وَلِمَّا ذَلِكَ الْعِلْمُ نَمِيَ عِلْمِي رَبِّي وَهَذَا القَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ قَالَ إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ وَقَدْ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَافِي أَعْصَرَ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَافِي أَحْمَلَ فَوقَ رَأْسِي خَبِرَا نَبَشَنَا بِتَأْوِيلِهِ نَظَلَبَا مِنْهُ تَأْوِيلَ مَارِيَاهُ وَأَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ تَأْوِيلُهُ طَعَامًا فِي الْيَقْظَةِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُمَا بِمَا يَرِزُقَانَهُ فِي الْيَقْظَةِ فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْلًا عَامًا لَا يَأْتِي سَكَّا طَعَامَ تَرْزُقَانَهُ وَهَذَا إِلَّا اخْبَارٌ

العام لا يقدر عليه إلا الله والأنبياء يخربون بعض ذلك لا يخربون بكل هذا وأيضاً فصمة الطعام وقدره ليس تأويل له وأيضاً فالله إنما أخبر أنه على تأويل الرؤيا .

قال يعقوب عليه السلام (وكذلك يجتبيك ربك ويعملك من تأويل الأحاديث) وقال يوسف عليه السلام : (رب قد آتني من الملك وعلمني من تأويل الأحاديث) وقال (هذا تأويل رؤياني من قبل) ولما رأى الملك قال له الذي اذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون والملك قال يا أبا الملا أفتوني في رؤيائي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أصناف أحلام ومانحن بتأويل الأحلام بعاليين فهذا لفظ التأويل في مواضع متعددة كلها بمعنى واحد وقال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) .

وقال مجاهد وقناة جراء ونواباً ، وقال السدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج عاقبة ، وعن ابن زيد أيضاً تصديقاً كقوله (هذا تأويل رؤيائي من قبل) وكل هذه الأقوال صحيحة والمعنى واحد وهذا تفسير السلف أجمعين ومنه قوله (سانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً) فلما ذكر له ما ذكر قال (ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً) .

وهذا تأويل فعله ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤول إليه مأمولته من مصلحة أهل السفينة ومصلحة أبي الغلام ومصلحة أهل الجدار ، وأما قول بعضهم ردمكم إلى الله والرسول أحسن من تأويلكم فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم وهذا من جنس ما ذكر من تلك الآية في لفظ التأويل وهو تفسير له بالاصطلاح الحادث لابن لغة العرب فاما قدماه المفسرين فلفظ التأويل والتفسير عندهم سواء كما يقول ابن حجر في القول في تأويل هذه الآية أى في تفسيرها ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد وهو إمام التفسير جعل الوقف على قوله (والراستون في العلم) فإن الرسخين

في العلم يملئون تفسيره وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة .  
وكان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد وإسحق وقد بسط الكلام على  
ذلك في كتابه في المشكل وغيره .

وأما متأخروا المفسرين كالتعليق فيفرقون بين التفسير والتأويل قال فعنى  
التفسير هو التنوير وكشف المغلق من المراد بلفظه والتأويل صرف الآية  
إلى معنى تتحتمله يوافق مافيلها وما بعدها وتتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا  
موضعه إلا أن التأويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر ، وأبو الفرج ابن  
البيورى يقول اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد أم يختلفان ؟  
فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنها بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين  
المتقدمين .

وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما فقالوا التفسير إخراج الشيء  
عن مقام الحفاء إلى مقام التجلی والتأويل نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج  
في إثباته إلى دليل ولو لاه ماترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قوله لك آل الشيء  
إلى كذا أى صار إليه ، فهو لام لا يذكرون للتأويل إلا المعنى الأول والثاني  
وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرون له .

وقد عرف أن التأويل في القرآن هو الموجود الذي يؤول إليه الكلام  
ولأن كان ذلك موافقاً للمعنى الذي يظهر من اللفظ لا يعرف في القرآن لفظ  
التأويل مخالفًا لما يدل عليه اللفظ خلاف اصطلاح المتأخرین ، والكلام  
نوعان إنشاء وإخبار فالإنشاء الأمر والنهي والإجابة وتأويل الأمر  
والنهي نفس فعل المأمور ونفس ترك المحظور كما في الصحيح عن عائشة  
رضي الله عنها أنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي بتأول  
القرآن فكان هذا الكلام تأويل قوله : ( فسبح بحمد ربك واستغفره ) . »

قال ابن عيينة السنة تأويل الأمر والنهي وقال أبو عبيد لما ذكر اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نهيه عن اشتغال الصائم قال والفقهاء أعلم بالتأويل يقول هم أعلم بتأويل ما أمر الله به وما نهى عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها .

وهذا كقولهم (يا ولتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق  
المرسلون) ومثله (انطلقوا إلى ما كنتم به تسكذبون) وقوله (ويقولون  
مَّا هذا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مِّنْ  
فِيمَا رَأَوْهُ زَلْفَةٌ سَيِّئَتْ وجوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ)  
ونظائره متعددة في القرآن وكذلك قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتَّوْا  
بِسُورَةٍ مُّتَعَدِّدَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ قُولُهُ) فإنما يارعوا به في القرآن لما يأتهم  
بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلِمَا يَأْتِيهِمْ نَأْوِيلُهُ)

فالتفسیر هو الإحاطة بعلمه والتأويل هو نفس ما وعدوا به فإذا أتاهم فهم كذلك يحيطون بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وقد يحيط الناس بعلمه ولما يأتهم تأويله فالرسول صلى الله عليه وسلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وإن

كان تأويلاً لم يأت بعد ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) الآية قبل أنها كانتة ولم يأت تأويلاً بعد قال تعالى (وَكَذَبَ بِهِ قَوْمٌ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْتَ عَلَيْكُمْ بِوَكْبَلٍ لِكُلِّ نَبْأٍ مُسْتَقْرٍ) .

قال بعضهم موضع قرار وحقيقة ومتى ينتهي إلينه فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه ، وقال مقاتل ل بكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلاف ولا أخير ، وقال ابن السائب ل بكل قول و فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يدوفكم وسوف تعلمون ، وقال الحسن ل بكل عمل جزاء فمن عمل عملاً من الخير جوزي به في الجنة ومن عمل عملاً سوءاً جوزي به في النار وسوف تعلمون ، ومعنى قول الحسن أن الأعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد فالوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر في المعنى ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ ، وعن السدي قال ل بكل نبأ مستقر أى ميعاد وعد لكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه ، وعن عطاء ل بكل نبأ مستقر تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه أى لا يعاقب بالوعيد حتى يفعل الذنب الذي توحد عليه .

ومنه قول كثير من السلف في آيات هذه ذهب تأويلاً وهذا لم يأت تأويلاً مثل ماروى أبوالأشهب عن الحسن والريبع عن أبي العالية أن هذه الآية قرنت على ابن مسعود (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولها ماقبلت منكم فإذا ردت عليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل حيث نزل فمه آى قد مضى تأويلاً من قبل أن ينزلن ومنه آى وقع تأويلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلاً بعد النبي صلى الله عليه وسلم ي sisir ومنه آى يقع تأويلاً بعد اليوم ومنه آى يقع تأويلاً في آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلاً يوم القيمة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دلتم على بكم وأدراوكم واحدة ولم

ثُلِبُوا شَيْعًا وَلَمْ يَذْقِ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَمْرُوا وَانْهَا إِنَّا اخْتَلَفْتُمُ الْقُلُوبُ  
وَالْأَهْوَاءُ وَالْبَسْمُ شَيْعًا وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَمْرُوا وَنَفْسَهُ فَعَنْدَ ذَلِكَ  
جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ .

فَابن مسعود رضى الله عنه قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر وتأويل الخبر فهذه الآية عليكم أنفسكم من باب الأمر وما ذكر من الحساب والقيمة من باب الخبر وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود الخبر به وتأويل الأمر هو فعل المأمور به فالآلية التي مضى تأويلها قبل نزولها من باب الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكلذبهم له وهي وإن مضى تأويلها فهي عبرة ومعناها ثابت في نظيرها ، ومن هذا قول ابن مسعود خمس قد مضين .

ومنه قوله تعالى ( أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ ) وإذا تبين ذلك فالمتشابه من الأمر لابد من معرفة تأويله لأنه لابد من فعل المأمور وترك المحظور وذلك لا يمكن إلا بعد العلم لكن ليس في القرآن ما يقتضي أن في الأمر متشابها فإن قوله ( وأخر متشابهات ) قد يراد به من الخبر فالمتشابه من الخبر مثل ما أخبر به في الجنة من اللحم واللبن والماء والحرير والذهب كان بين هذا وبين ما في الدنيا تشابه في اللفظ والمعنى .

ومع هذاحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا ونفك الحقيقة لأنعلمه نحن في الدنيا وقد قال الله تعالى ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْةَ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى ( أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِّتْ وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ) فهذا الذي وعد الله به عباده المؤمنين لأنعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله وكذلك وقت الساعة لا يعلمه إلا الله وأشار إليها وكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراط والميزان والمحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته إلا الله

فإنه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى  
يعلم به فهو من التأويل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله وكذلك ما أخبر به رب  
عن نفسه مثل استوانة على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك فإن  
كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس  
وسائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهم بالقبول لما قيل الرحمن على  
العرش استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف بجهول  
والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة هذا لفظ مالك فأخبر أن الاستواء  
معلوم وهذا تفسير اللفظ وأخبر أن الكيف بجهول وهذا هو السكينة التي  
استأثر الله بها .

وكذلك سائر السلف كابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما يبينون  
أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه فالكيفية هي التأويل الذي  
لا يعلمه إلا الله وأما نفس المعنى الذي يينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه  
فإنهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر وأن مفهوم هذا ليس مفهوم هذا  
ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمه  
وبصره بل الروح التي يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفية سمه كذلك  
يعلمون معنى الاستواء على العرش وأنه يتضمن علو الرب على عرشه وارتفاعه  
عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم .

وهذا معنى معروف من اللفظ لا يتحمل في اللغة غيره كما قد بسط في  
موضعه وهذا قال مالك الاستواء معلوم ومن قال الاستواء له معان متعددة  
فقد أجمل كلامه فإنه يقولون استوى قط ولا يصلونه بحرف وهذا له معنى  
ويقولون استوى على كذا وله معنى واستوى إلى كذا وله معنى واستوى  
مع كذا وله معنى فتتنوع معانيه بحسب صلاتة وأما استوى على كذا فليس  
في القرآن ولغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد قال تعالى : ( فَازْرِهِ فَاسْتَعْلُظْ )

فاستوى على سوته ) وقال ( واستوت على الجودي ) وقال ( لشتوا على  
ظموره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوتم عليه ) .

وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بذابة ليركبها فلما وضع رجله في المفرز  
قال « بسم الله استوى على ظهرها قال الحمد لله » ، وقال ابن عمر : أهل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج لما استوى على بعيره وهذا المعنى يتضمن  
شيئين علوه على ما استوى عليه واعتده الله أيضاً فلا يسمون المائل على شيء  
مستويًا عليه ، ومنه حديث الخليل بن أحد لما قال استروا وقوله :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم هرافق

هو من هذا الباب فإن المراد به بشر بن مروان واستواه عليها أى على  
كرسي ملكتها لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء بل استواء منه عليها إذ لو كان  
كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة قد استوى أيضاً على العراق وعلى  
سائر مملكة الإسلام ولكان عمر بن الخطاب قد استوى على العراق  
وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه .

ومعلوم أنه لم يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شيء من هذا وإنما  
فيه فيمن استوى بنفسه على بلد فإنه مستو على سرير مملكة كما يقال جلس  
فلان على السرير وقعد على التخت ومنه قوله ( ورفع أبوية على العرش  
وخر واله سجداً ) وقوله ( إني وجدت امرأة تملّكهم وأوتتني من كل شيء  
ولها عرش عظيم ) .

وقول الرحمنى وغيره استوى على كذا بمعنى ملك دعوى مجردة فليس  
هذا شاهد في كلام العرب ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلًا في استواء الله  
على العرش لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى

على العرش ، وقد أخبر أن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وحيثند فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه فكيف يكون الاستواء عليه مؤخراً عن خلق السموات والأرض ، وأيضا فهو مالك لكل شيء مستول عليه لا يختص العرش بالاستواء وليس هذا ك忤تخصيصه بالربوبية في قوله رب العرش فإنه قد يختص لعظمةه ولكن يجوز ذلك في سائر الخلوقات فيقال رب العرش ورب كل شيء .

وأما الاستواء المختص بالعرش فلا يقال استوى على العرش وعلى كل شيء ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء ولا وجد في كتاب ولا سنة كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شيء عامة وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الألفاظ التي تخص وتعتم كقوله تعالى ( اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ) فالاستواء من الألفاظ المختصة بالعرش لاتفاق إلى غيره لاصحوصاً ولا عموماً وهذا مبسوط في موضع آخر .

ولما الغرض بيان صواب كلام السلف في قوله : الاستواء معلوم بخلاف من جعل هذا اللفظه له بضعة عشر معنى كما ذكر ذلك ابن عربى المعاورى يبين هذا أن سبب تزول هذه الآية كان قدوة نصارى نجران ومناظرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر المسيح كما ذكر ذلك أهل التفسير وأهل السيرة وهو من المشهور بل المتواتر أنه من المتواتر أن نصارى نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودعام إلى المباهمة المذكورة في سورة آل عمران فأفروا بالجزية ولم يباهلوه ، وصدر آل عمران نزل بسبب ما جرى ولهذا عامتها في أمر المسيح .

وذكر وأئمهم احتجوا بما في القرآن من لفظ أنا ونحن ونحو ذلك على أن الآلة ثلاثة قاتلوا المتشابه وتركوا الحكم الذى في القرآن من أن الإله واحد ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلاً لهم تصدوا بذلك الفتنة وهى فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تأويل لفظ أنا ونحن وما يعلم تأويل هذه الأسماء إلا الله لأن

هُذِهِ الْأَسْمَاءِ إِنَّمَا قَالَ لِلواحِدِ الَّذِي لَهُ أَعْوَانٌ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا شُرَكَاهُ لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا مَالِيكِ لَهُ وَهَذَا صَارَتْ مُتَشَابِهًةً فَإِنَّ الَّذِي مَعَهُ شُرَكَاهُ يَقُولُ فَعْلَنَا كَذَا وَأَنَا فَعْلَنَا كَذَا وَهَذَا مُتَنَعِّنْ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَالَّذِي لَهُ مَالِيكٌ وَمُطَبِّعُونَ يَطِيعُونَ كَالْمَلَكِ يَقُولُ فَعْلَنَا كَذَا أَمْ أَنَا فَعْلَتْ بِأَهْلِ مَلْكٍ وَمَلْكِي وَكُلُّ مَا سُوِّيَ اللَّهُ مُخْلوقٌ لَهُ مَلُوكٌ لَهُ وَهُوَ سَبِّحَانَهُ يَدْبِرُ أَمْرَ الْعَالَمِ بِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ الَّتِي هِيَ رَسُلُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَهُوَ سَبِّحَانَهُ أَحَقُّ مِنْ قَالَ أَنَا وَنَحْنُ بِهَذَا الاعتبار فَإِنَّ مَاسِوَاهُ لَيْسَ لَهُ مَلِكٌ تَامٌ وَلَا أَمْرٌ مَطَاعٌ طَاعَةً نَامَةً فَهُوَ الْمُسْتَحْقُ أَنْ يَقُولَ أَنَا وَنَحْنُ وَالْمَلُوكُ لَهُمْ شَبَهٌ بِهَذَا فَصَارَ فِيهِ أَيْضًا مِنَ الْمُتَشَابِهِ مَعْنَى آخَرَ .

وَلِمَنِ الَّذِي ثَبَّتَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْأَخْتِصَاصِ لَا يَمْأُلُهُ فِيهِ شَيْءٌ ، وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ مَعْرِفَةِ مَلَائِكَتِهِ وَصَفَاتِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ وَكَيْفَ يَدْبِرُهُمْ أَمْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ( وَمَا يَعْلَمُ جِنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) فَهَذَا التَّأْوِيلُ لِهَذَا الْمُتَشَابِهِ لَا يَعْلِمُهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ عَلِمْنَا تَفْسِيرَهُ وَمَعْنَاهُ لَكُنَّ لَمْ نُعْلَمْ تَأْوِيلَهُ الْوَاقِعُ فِي الْخَارِجِ بِخَلْفِ قَوْلِهِ ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ) فَإِنَّهَا آيَةٌ مُحَكَّمةٌ لَيْسَ فِيهَا تَشَابِهٌ فَإِنَّ هَذَا الْأَسْمَاءَ مُخْتَصٌ بِاللَّهِ لَيْسَ مِثْلُهُ أَيُّهُنَّ الَّذِينَ تَقَالَنَ لَهُ شُرَكَاهُ وَلِمَنِ الْأَعْوَانِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَهٌ عَنِ هَذَا وَهَذَا كَمَا قَالَ ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مُنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ) .

وَقَالَ ( وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَخَذْ وَلِدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ النَّذْلِ وَكَبِيرٌ ) فَالْمَعْنَى الَّذِي يَرَادُ بِهِ هَذَا فِي حَقِّ الْمُخْلُوقَيْنِ لَا يَحْجُزُ أَنْ يَكُونَ نَظِيرَهُ ثَابِتًا لِلَّهِ فَلَمْذَا صَارَ مُتَشَابِهًـ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ( ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) فَإِنَّهُ قدْ قَالَ ( وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجَوْدِيِّ ) ( وَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ) وَقَالَ ( إِنَّمَا اسْتَوَيْتُ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَنِ الْفَلَكِ ) وَقَالَ ( لَتَسْتَوْ وَأَعْلَى ظَهُورِهِ ) .

فَهَذَا الْأَسْتِوَاهُ كَمَا يَتَضَمَّنُ حَاجَةَ الْمَسْتَوِيِّ إِلَى الْمَسْتَوِيِّ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَوْ عَدَمْ

لمن نجحته لحر والله تعالى غنى عن العرش وعن كل شيء بل هو سبحانه أنه يقدر الله  
يحمل العرش وحملة العرش ، وقد روى أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما  
أمرهم أن يقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله .

فصار لفظ الاستواء متشابهاً يلزم في حق الملائكة معنى يتزه الله عن  
فتحن نعلم معناه وأنه العلو والاعتدال لكن لأن علم الكيفية التي اختص بها  
الرب التي يكون بها مستويأ من غير افتقار منه إلى العرش بل مع حاجة  
العرش وكل شيء يحتاج من كل وجه وأنتم نعم في الموجودات ما يستوي مع  
غيره من غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه إلى المستوى فصار متشابهاً من  
هذا الوجه فإن بين الاملاكين والمعنيين قدرًا مشتركاً وبينهما قدرًا فارقاً هو  
مراد في كل منها ونحن لا نعرف الفارق الذي امتاز الله به فصرنا نعرفه  
من وجده ونجده من وجده وذلك هو تأويله والأول هو تفسيره .

وكذلك ما أخبر الله به في الجنة من الطعام والمشابب والملابس كاللبن  
والعسل والخز والمساء فإذا لا نعرف لينا إلى خلوقاً من ما شية يخرج من بين  
فرث ودم وإذا بق أياماً يتغير طعمه ، ولا نعرف عسلاً إلا من نخل تصنعه  
في بيوت الشمع المسددة فليس هو عسلاً مصنف ولا نعرف حربراً إلا من  
دود الفرز وهو يليل وقد علينا أن ما ورد الله به عباده ليس مائلاً لهذه لا في  
المادة ولا في الصورة والحقيقة بل له حقيقة تختلف حقيقة هذه وذلك هو  
من التأويل الذي لا نعلمه نحن .

قال ابن عباس : ليس في الدنيا ما في الجنة إلا الأسماء لكن يقال  
فالملائكة قد تعلم هذا فيقال هي لا تعلم مالم يخافق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة ،  
وأيضاً فمن النعم مالا تعرفه الملائكة والتأنويل يتناول هذا كله وإذا قدرنا  
 أنها لا تعرف مالا تعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندنا وينكون من المتشابه  
عندنا فإن المتشابه قد يراد به ما هو صفة لازمة الآية وقد يراد به ما هو  
من الأمور النسبية فقد يكون متشابهاً عند هذا مالا يكون متشابهاً عند هذا

وكلام الإمام أحمد وغيره من السلف يحتمل أن يراد به هذا فإن أحد ذكر في رده على الجهمية أنها احتجت بثلاث آيات من المتشابه ، قوله ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) وقوله ( ليس كمثله شيء ) وقوله ( لا تدركه الأ بصار ) .

وقد فسر أحمده قوله ( وهو الله في السموات وفي الأرض ) فإذا كانت هذه الآيات بما علمنا معناها لم تكن متشابهة عندنا وهي متشابهة عند من أحج بها وكان عليه أن يردها هو إلى ما يعرفه من الحكم ، وكذلك قال أحمده في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس وهو الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ثم فسر أحمده تلك الآيات آية آية وبين أنها ليست متشابه عنه بل قد عرف معناها .

وعلى هذا فالراشدون في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره وأما التأويل الذي هو حقيقته الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمه إلا الله ولكن قد يقال هذا المتشابه الإضافي ليس هو المتشابه المذكور في القرآن فإن ذلك قد أخبر الله أنه لا يعلم تأويله إلا الله وإنما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها وغيرهم من الناس يعرف معناها وعند هذا فقد يحاب بحوايين : أحدهما أن يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله إلا الله وقراءة من يقف عند قوله والراشدون في العلم وكلتا القراءتين حق ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراشدون تفسيره وهو تأويله ومثل هذا يقع في القرآن كقوله ( وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال ) ولنزول فيه قراءتان مشهورتان بالنفي والإثبات وكل قراءة لها معنى صحيح وكذلك القراءة المشهورة ( وانقوافته لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة ) وقرأ طائفه من السلف ( لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) .

وَلَا الْقَرَاءَتِينَ حَقَّ فَإِنَّ الَّذِي يَتَعَدُّ حَدَّوْدَ اللَّهِ هُوَ الظَّالِمُ وَالتَّارِكُ  
الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَقَدْ يَجْعَلُ غَيْرَ ظَالِمٍ لِكُونِهِ لَمْ يَشَارِكْ وَقَدْ يَجْعَلُ ظَالِمًا بِاعتِبَارِ  
مَاتِرِكَ مِنَ الْإِنْكَارِ الْوَاجِبِ وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ (فَلَمَّا نَسِوا مَا دُكْرُوا بِهِ أَنْجَبُنَا  
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَمُ الَّذِينَ ظَلَّوْا بَعْذَابَ بَيْسِ بِمَا كَانُوا يَفْسَدُونَ)  
فَأَنْجَبَ اللَّهُ التَّاهِينَ ، وَأَمَّا أُولَئِكَ الْكَارِهُونَ لِذَنْبِ الَّذِينَ قَالُوا (لَمْ يَعْظُمُونَ  
قُومًا) فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنْهُمْ بَحْوَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَارِهِينَ فَأَنْكَرُوا بِحَسْبِ  
قَدْرِهِمْ .

وَالْجَوابُ الثَّانِي : القَطْعُ بِأَنَّ الْمُتَشَابِهَ الْمُذَكُورُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ تَشَابِهُ فِي  
نَفْسِهِ وَذَاكَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَمَّا الإِضَافَةُ الْمُوْجُودَ فِي كَلَامِ  
أَرَادَ بِهِ الْمُتَشَابِهَ الإِضَافَةُ فِرَادِمُ أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيهَا اشْتَبَهُ مَعْنَاهُ وَأَشْكَلُ  
عَلَى بَعْضِ النَّاسِ وَأَنَّ الْجَمِيعَةَ اسْتَدَلُوا بِمَا اشْتَبَهُ عَلَيْهِمْ وَأَشْكَلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
وَمِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَثِيرًا مَا يَشْتَبِهُ عَلَى الرَّجُلِ  
مَا لَا يَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِهِ .

وَيَحْتَمِلُ كَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِلَّا الْمُتَشَابِهَ فِي نَفْسِهِ الَّذِي يَلْزَمُهُ  
الْمُتَشَابِهَ لَمْ يَرِدْ بِشَيْءٍ مِنْهُ التَّشَابِهُ الْإِضَافِيِّ وَقَالَ تَأْوِلُهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ أَىْ غَيْرِ  
تَأْوِيلِ الَّذِي هُوَ تَأْوِيلُهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنْ كَانَ ذَاكَ التَّأْوِيلُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ  
وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ ذَاكَ التَّأْوِيلُ فَلَا يَبِقُ مشَكلاً عَنْهُمْ مُعْتَمِلاً  
لِغَيْرِهِ وَهَذَا كَانَ الْمُتَشَابِهُ فِي الْحَجَرِيَّاتِ إِما عَنِ اللَّهِ إِما عَنِ الْآخِرَةِ وَتَأْوِيلُ  
هَذَا كَاهَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ بِلِ الْحَكْمِ مِنَ الْقُرْآنِ قَدْ يَقَالُ لَهُ تَأْوِيلُ كَالْمُتَشَابِهِ  
تَأْوِيلُ كَمَا قَالَ (يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) وَمَعَ هَذَا فَذَاكَ التَّأْوِيلُ لَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ  
وَكَبِيقِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَقَدْ يَقَالُ بِلِ التَّأْوِيلِ لِلْمُتَشَابِهِ لَأَنَّهُ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ وَكَاهِ  
مُتَشَابِهٍ وَأَيْضًا فَلَا يَلْزُمُ فِي كُلِّ آيَةٍ ظَاهِرًا بَعْضَ النَّاسِ مُتَشَابِهًا أَنْ تَكُونَ  
مِنَ الْمُتَشَابِهِ .

فَقَوْلُ أَحْمَدَ احْتَجُوا بِثَلَاثَ آيَاتٍ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَقَوْلُهُ: مَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ

متشابه القرآن قد يقال أن هؤلاء أو أن أحد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه فإن قول الله تعالى (منه آيات محكماً هن أم الكتاب وأخر متشابهات) لم يرد به هنا الإحکام العام وتشابه العام الذي يشترک فيه جميع آيات القرآن وهو المذكور في قوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وفي قوله (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تفشر عنده جلود الذين يخشوون ربهم) .

فوصفه هنا كله بأنه متشابه أي متفق غير مختلف يصدق بعضه ببعضه وهو عكس التضاد المختلف المذكور في قوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه احتلافاً كثيراً) وقوله (إنكم لفي قول مختلف يوفك عنك من أهلك) فإن هذا التشابه يعم القرآن كأن إحكام آياته تعممه كله وهذا قد قال (منه آيات محكماً هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً فصار التشابه له معنى ثالث وهو الإضافي يقال قد اشتبه علينا هذا كقول بنى إسرائيل (إن البقر تشابه علينا) وإن كان في نفسه تمييزاً منفصلاً ببعضه عن بعض وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أور متشابهات لا يعلمون كثير من الناس» .

فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها فليست مشتبهة على جميع الناس بل على بعضهم بخلاف ما لا يعلم تأويلاً إلا الله فإن الناس كلهم مشتركون في عدم العلم بتأويله ومن هذا ما يروى عن المسيح عليه السلام أنه قال الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبواه وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى حمله . فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الآخرين أن يعرفوا الحق فيه ويبيّنوا الفرق بين المشتبهين وهذا هو الذي أراده من جعل الراسخين يعلمون التأويل فإنه جعل المشتبهات في القرآن من هذا الإباب الذي يُشتبه

على بعض الناس دون بعض ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه ما ينفعه  
بعض الناس وهذا المعنى صحيح في نفسه لا ينفعه .

ولا ريب أن الراسخين في العلم يعلمون ما الشتبه على غيرهم وقد يكون  
هذا فرادة في الآية كما تقدم من أن يكون فيها قراءان لكن لفظ التأويل  
على هذا يراد به التفسير ووجه ذلك أنهم يعلمون تأويله من حيث الجملة كما  
يعلمون تأويل الحكم ليعرفون الحساب والميزان والثواب والعقاب وغير ذلك  
ما أخبر الله به ورسوله معرفة بجملة فيكونون عالمين بالتأويل وهو ما يقع في  
الخارج على هذا الوجه ولا يعلمونه مفصلاً إذ هم لا يعرفون كفيته وحقيقة  
إذ ذلك ليس مثل الذي علموه في الدنيا وشاهدوه وعلى هذا يصح أن يقال  
علموا تأويله وهو معرفة تفسيره ويصح أن يقال لم يعلموا تأويله وكلا  
القراءاتين حق .

وعلى قراءة النفي هل يقال أيضاً أن الحكم له تأويل لا يعلمون تفصيله فإن  
قوله وما يعلم تأويل ما تشابه منه إلا الله لا يدل على أن غيره يعلم تأويل الحكم ،  
بل قد يقال أن من الحكم أيضاً ما لا يعلم تأويله إلا الله وإنما خص المشابه  
بالذكر لأن أولئك طلبوا علم تأويله أو يقال بل الحكم يعلمون تأويله ولكن  
لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته ، وقد قال كثير من السلف أن الحكم  
ما يعمل به والمشابه ما يؤمن به ولا يعمل به كما يجيء في كثير من الآثار ونعمل  
بمحكمه وتؤمن بمحكماته ، وكما جاء عن ابن مسعود وغيره في قوله ( الذين  
آتوكناهم الكتاب يتلونه حق تلاؤنه ) قال يحملون حلاله ويحرمون حرامه  
ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمحكماته .

وكلام السلف في ذلك يدل على أن المشابه أمر إضافي فقد يشتبه على  
هذا مالا يشتبه على هذا فعلى كل أحد أن يعمل بما استبان له وبكل ما تشبه  
عليه إلى الله كقول أبي بن كعب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه الثورى  
عن مغيرة وليس بالضيق عن أبي العالية قال قيل لأبي بن كعب أوصني فقال

الخوز كتاب الله إماماً أرض به قاضياً وحاكمه الذي استخلف فيكم رسوله  
شفيع مطاع وشاهد لا ينهم فيه خبر ما قبلكم وخبر ما بينكم وذكر ما قبلكم  
وذكر ما فيكم.

وقال سفيان عن رجل حدثنا عن ابن أبي عبيدة عن أبي قال: فما استبان لك  
فأعمل به وما شبه عليك فما أنت به وكله إلى عالمه فنهم من قال المتشابه هو  
المنسوخ ومنهم من جعله الخبريات مطلقاً عن قتادة والربيع والضحاك  
والسدى الحكيم الناصح الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ يؤمّن به ولا يعمل  
به وكذلك في تفسير العوفي عن ابن عباس فقال محكّمات القرآن ناسخة وحلاله  
وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمّن به ويتعلّم به والمتشابهات منسوخة  
ومقدمة ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمّن به ولا يعمل به.

أما الفول الأول فهو والله أعلم ما خرذ من قوله (فيسخ الله ما يلقي الشيطان  
ثم بحكم الله آياته) فقابل بين المنسوخ وبين الحكم وهو سبحانه إنما أراد نسخ  
ما ألقاه الشيطان لم يرد نسخ ما أنزله لكنهم جعلوا جنس المنسوخ متشابهاً  
لأنه يشبه غيره في التلاوة والنظام وأنه كلام الله وقرآن ومعجز وغير ذلك  
من المعنى مع أن معناه قد نسخ ومن جعل المتشابه كل ما لا يعمل به من  
المنسوخ والأقسام والأمثال فلأن ذلك متشابه ولم يؤمر الناس بتفصيله بل  
يكفيهم الإيمان الجمل به بخلاف المعمول به فإنه لابد فيه من العلم المفصل.

وهذا بيان لما يلزم كل الأمة فإنهم يلزمهم معرفة ما يعمل به مفصلاً ليعلموا  
به وما أخيروا به فليس عليهم معرفته بل عليهم الإيمان به وإن كان العلم به  
حسناً أو فرضاً على الكفاية فليس فرضاً على الأعيان بخلاف ما يعمل به  
فترض على كل إنسان معرفة ما يلزم منه العمل مفصلاً وليس عليه معرفة  
الملبيات مفصلاً وقدروي عن مجاهد وعكرمة الحكم ما فيه من الحلال والحرام  
وماسوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضه .

فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله **كتاباً متشابهاً مثاف** والحلال مخالف للحرام وهذا على قول مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله لكن تفسير المتشابه بهذا مع أن كل القرآن متشابه وهذا خص البعض به يستدل به على ضعف هذا القول وكذلك قوله يتبعون ما تشابه منه لو أريد بالتشابه تصديق بعضه ببعض لكان اتباع ذلك غير محدود وليس في كونه يصدق بعضه بهذا ما يمنع ابتعاد تأويله وقد يتحقق لهذا القول بقوله **متشابهات يجعلها أنفسها متشابهات** وهذا يقتضي أن ببعضها يشبه ببعض ليست مشابهة لغيرها ويحاجب عن هذا بأن اللفظ ذا ذكر في موضوعين معينين صار من المتشابه كقوله **إنما ونحن المذكور في سبب نزول الآية**.

وقد ذكر محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قال الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحداً والمتشابه ما احتمل في التأويل أوجها ومعنى هذا أن ذلك اللفظ الحكم لا يكون تأويله في الخارج إلا شيئاً واحداً وأما المتشابه فيكون له ناويات متعددة لكن لم يرد الله إلا واحد منها.

وسياق الآية يدل على المراد وحينئذ فالأشخاص في العلم يعلمون المراد من هذا كما يعلمون المراد من الحكم لكن نفس التأويل الذي هو الحقيقة وقت الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لأن هذا ولا من هذا وقد قيل أن أنصارى نجران احتتجوا بقوله **كلمة الله وروح منه** ولفظ **كلمة الله** يراد به الكلام ويراد به المخلوق بالكلام وروح منه يراد به ابتداء الغاية ويراد به التبعيض فعلى هذا إذا قيل تأويله لا يعلمه إلا الله المراد به الحقيقة أى لا يعلمون كيف خلق عيسى بالكلمة ولا كيف أرسل إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً وتفتح فيها من روحه .

وفي الصحيح صحيح البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

وإذا رأيتم الذين يتباهون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ،  
والملتصقون هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لامعنى له ولا يجوز أن  
يكون الرسول وجميع الأمة لا يعلوون معناه كما يقول ذلك من يقوله من  
المناخرين وهذا القول يجب القاطع بأنه خطأ سواه كان مع هذا تأويل القرآن  
لا يعلم الراسخون أو كان للتأويل معنیان يعلوون أحدهما ولا يعلوون الآخر  
ولذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن  
وبين أن يقال الراسخون في العلم يعلوون كان هذا الإثبات خيراً من ذلك النفي  
فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع  
القرآن مما يمكن عليه وفهمه وتدبره .

وهذا مما يجب القاطع به وليس معناه قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلوون  
تفسير المتشابه فإن السلف قد قال كثير منهم يعلوون تأويله منهم مجاهد  
مع جلاله قدره والريبع بن أنس ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن  
ابن عباس وأنه قال أما من الراسخين الذين يعلوون تأويله وقول أحد فيما  
كتبه في الرد على الزبادية والجممية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته  
على غير تأويله و قوله عن الجمية أنها تأولت ثلاثة آيات من المتشابه ثم  
تكلم على معناها دليلاً على أن المتشابه عند هذه تعرف العلماء معناه وأن  
المذموم تأويله على غير تأويله فأما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس  
بعذموم وهذا يقتضى أن الراسخين في العلم يعلوون التأويل الصحيح للمتشابه  
عند هذه وهو التفسير في لغة السلف .

ولهذا لم يقل أحد ولا غيره من السلف أن في القرآن آيات لا يعرف  
الرسول ولا غيره معناها بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه وهذا القول اختيار  
كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما وابن قتيبة  
من المنسبين إلى أحمد وأبي حاتم والمتصرفين لما ذهب السنة المشهورة قوله في  
ذلك مصنفات متعددة .

قال فيه صاحب كتاب التحديد بمناقب أهل الحديث وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء . والفضلاء أجر دم تصنيفها وأحسنهم ترصيفا له زمام نلاهاته مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد ولحق وكان معاصر لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزى وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الواقعة في ابن قتيبة بهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه قلت ويقال هو لأهل السنة مثل الماجحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الماجحظ خطيب المعتزلة .

وقد نقل عن ابن عباس أيضا القول الآخر ونقل ذلك عن غيره من الصحابة وطائفة من التابعين ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت مسألة نزاع فترد إلى الله والرسول وأوثيق احتجوا بأنه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله وبأن النبي صلى الله عليه وسلم ذم مبغضي المتشابه وقال إذا رأيتم الدين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم .

ولهذا ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيخ بن عمل لما سأله عن المتشابه ولأنه قال والراشدون في العلم يقولون ، ولو كانت الواو واو دطف مفرد لا او او استثناف التي تعطف جملة لقال ويقولون .

فأجاب الآخرون عن هذا بأن الله قال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوه من ديارهم وأموالهم ينتفعون فضلا من الله ورهوانا) ثم قال (والذين تبوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون) ثم قال (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) قالوا فهذا دطف مفرد على مفرد والفعل حال من المعطوف فقط وهو نظير قوله (والراشدون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) قالوا ولأنه لو كان المراد مجرد الوصف بالإيمان لم يخص الراشدين بل قال والمؤمنون يقولون آمنا به فإن كل مؤمن يحب عليه أن يؤمن به فلما خص الراشدين

فِي الْعِلْمِ بِالذِّكْرِ عِنْدَهُمْ أَنْهُمْ امْتَازُوا بِعِلْمٍ تَأْوِيلَهُ فَعَلِمُوهُ لَا نَهُمْ عَالَمُونَ وَآمَنُوا بِهِ لَا يُؤْمِنُونَ وَكَانَ لِإِيمَانِهِمْ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ أَكْمَلُ فِي الْوَصْفِ وَقَدْ قَالَ عَقْبَ ذَلِكَ وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ .

وَهَذَا يَدِلُ عَلَى أَنَّ هَذَا تَذَكِّرًا يَخْتَصُ بِأُولُو الْأَلْبَابِ فَإِنْ كَانَ مَا تَمَّ  
الْإِيمَانُ بِالْأَلْفَاظِ فَلَا يَذَكُرُ لِمَا يَدْلُمُ عَلَى مَا أُرِيدَ بِالْمُتَشَابِهِ ، وَنَظِيرُ هَذَا  
قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى (لَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَبِئْمَنُونَ  
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ) .

فَلِمَّا وَصَفَهُمْ بِالرَّسُوخِ فِي الْعِلْمِ وَأَنْهُمْ يَؤْمِنُونَ قَرْنَ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَوْ أُرِيدَ  
هُنَا بِجَرَدِ الْإِيمَانِ لِقَالُوا وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَالْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كَمَا قَالَ  
فِي تَلْكَ الآيَةِ لِمَا كَانَ مَرَادُهُ بِجَرَدِ الْإِخْبَارِ بِالْإِيمَانِ جَمْعُ بَيْنِ الطَّاغِتَيْنِ قَالُوا :  
وَأَمَّا الَّذِينَ فَإِنَّمَا وَقَعَ عَلَى مَنْ يَتَبَعُ الْمُتَشَابِهَ لِابْتِغَاءِ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهِ وَهُوَ  
حَالُ أَهْلِ الْقَصْدِ الْفَاسِدِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْقَدْحَ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يَطْلَبُونَ  
إِلَّا الْمُتَشَابِهَ لِإِفْسَادِ الْقُلُوبِ وَهِيَ فِتْنَتُهُمْ ، وَيَطْلَبُونَ تَأْوِيلَهُ وَلَيْسَ طَلَبُهُمْ  
لِتَأْوِيلِهِ لِأَجْلِ الْعِلْمِ . وَالْأَهْتِمَاءُ بِلِ لِأَجْلِ الْفَتْنَةِ وَكَذَلِكَ صَيْغَ بنُ عَصْل  
ضَرْبَهُ عَمَرُ لِأَنَّ قَصْدَهُ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمُتَشَابِهِ كَانَ لِابْتِغَاءِ الْفَتْنَةِ وَهَذَا  
كَمَنْ يَوْرُدُ أَسْئَلَةً إِشْكَالَاتٍ عَلَى كَلَامِ الْغَيْرِ وَيَقُولُ مَاذَا أُرِيدُ بِكَذَا  
وَغَرْضُهُ التَّشْكِيكُ وَالْطَّاعُنُ فِيهِ لَيْسَ غَرْضُهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ ، وَهُؤُلَاءِ مَنِ الَّذِينَ  
عَنْهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ وَهَذَا  
يَتَبَعُونَ أَيِّ يَطْلَبُونَ الْمُتَشَابِهَ وَيَقْصُدُونَهُ دُونَ الْمُحْكَمِ مُثْلَ الْمُسْتَبِعِ لِلشَّيْءِ الَّذِي  
يَتَحرَّكُ وَيَقْصُدُهُ وَهَذَا فَعْلُ مَنْ قَصْدُهُ الْفَتْنَةُ وَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَنْ مَعْنَى الْمُتَشَابِهِ  
لِيَعْرِفَهُ وَيُزِيلَ مَا عَرَضَ لَهُ مِنِ الشَّبَهَةِ وَهُوَ عَالِمٌ بِالْمُحْكَمِ مُتَبَعٌ لِهِ مُؤْمِنٌ بِالْمُتَشَابِهِ  
لَا يَقْصُدُ فَتْنَةً فَهَذَا لِمَ يَذَمِهُ اللَّهُ .

وَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُثْلُ الْأَثْرِ الْمُعْرُوفِ الَّذِي  
رَوَاهُ إِرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجِوَزِجَانِيِّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عِدْرَبٍ حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ حَدَّثَنَا

عتبة بن أبي حكيم حدثني عمارة بن راشد الكنانى عن زياد عن معاذ بن جبل قال يقرأ القرآن رجالان فرجل له فيه هوئية يفلتة فلى الرأس يتلمس أن يجد فيه أمرًا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم يعمى الله عليهم سبل الهدى ورجل يقرؤه ليس فيه هوئية يفلتة فلى الرأس فما تبين له منه عمل به وما الشتبه عليه وكله إلى الله ليتفقهن أولئك فقاها ما فقهه قوم قط حتى لو أن أحدهم مكت عشرين سنة فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه .

قال بقية استهري ابن عيينة حديث عتبة هذا فهذا معاذ يدم من اتبع التشابه لقصد الفتنة وأما من قصده الفقه فقد أخبر أن الله لا بد أن يفهمه التشابه فقاها ما فهمه— قوم قط قالوا والدليل على ذلك أن الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شهادة في آية أو حديث سأله كاسأله عمر فقال ألم تكن تخدتنا أنا نأق البيت ونطوف به وسأله أيضًا عمر ما بالنا نفهمر الصلاة وقد أمنا .

ولما نزل قوله (ولم يلبسو إيمانهم بظلم) شق عليهم وقالوا أينما لم يظلم نفسه حتى بين لهم ولما نزل قوله (ولم تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) شق عليهم حتى بين لهم الحكمة في ذلك . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم من نقش الحساب عن ذي قاتل عائشة ألم يقل الله (فسوف يحاسب حساباً يسيرآ) قال إنما ذلك العرض قالوا والدليل على ما قلناه لجماع السلف فإنهم فسروا جميع القرآن .

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمتها أتفه عند كل آية وأسأله عندهما وتلقوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو عبد الرحمن السعدي حدثنا الدين كانوا يقرءونا القرآن عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم

هُشْرُ آيَاتٍ لَمْ يَجْعَلُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مِا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا فَقَاتَلُنَا الْقُرْآنُ  
وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ جِيَعاً وَكَلَامُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ شَامِلٌ بِجُمِيعِ  
الْقُرْآنِ إِلَّا مَا قَدْ يُشَكِّلُ عَلَى بَعْضِهِمْ فِيقِفُ فِيهِ لَأَنَّهُ أَحَدُهُ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُهُ  
لَكِنْ لَأَنَّهُ هُوَ لَمْ يَعْلَمُهُ، وَأَيْضًا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ مُطْلَقاً وَلَمْ يَسْتَئِنْ  
مِنْهُ شَيْئاً لَا يَتَدْبِرُ وَلَا فَالَّذِي لَا تَدْبِرُوا الْمُتَشَابِهُ وَالْتَّدْبِيرُ بِدُونِ الْفَهْمِ عَمِيقٌ وَلَوْ كَانَ  
مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يَتَدْبِرُ لَمْ يَعْرِفْ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْيِزْ الْمُتَشَابِهَ بَعْدَ ظَاهِرٍ حَتَّى يَجْتَنِبْ

تَدْبِيرٍ .

وَهُذَا أَيْضًا مَا يَحْتَجُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ الْمُتَشَابِهُ أَمْرٌ نَسْبِيٌّ إِصْنَافٌ فَقَدْ يَشْتَبِهُ  
عَلَى هُذَا مَا لَا يَشْتَبِهُ عَلَى غَيْرِهِ قَالُوا لَأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ بِيَانِ وَهَدِيَ  
وَشَفَاءٍ وَنُورٍ وَلَمْ يَسْتَئِنْ مِنْهُ شَيْئاً عَنْ هَذَا الْوَصْفِ وَهَذَا عَمِيقٌ بِدُونِ فَهِمْ  
الْمَعْنَى قَالُوا وَلَأَنَّهُ مِنَ الْعَظِيمِ أَنْ يَقُولَ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ كَلَامًا لَمْ يَكُنْ  
يَفْهُمُ مَعْنَاهُ لَاهُو وَلَا جَرِيلُ بَلْ وَعَلَى قَوْلِ هُؤُلَاءِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَحْدُثُ بِأَحَادِيثِ الْمُصَافَاتِ وَالْقَدْرِ وَالْمَعَادِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مَا هُوَ نَظِيرُ الْمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ  
عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَى مَا يَقُولُهُ وَهَذَا لَا يَظْنُنَ بِأَقْلِ النَّاسِ .

وَأَيْضًا قَالَ كَلَامٌ إِنَّمَا المقصودُ بِهِ الْإِفَهَامُ فَإِذَا لَمْ يَقْصُدْ بِهِ ذَلِكَ كَانَ عِبَثًا  
وَبِأَطْلَالِ وَالله تَعَالَى قَدْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ فَعْلِ الْبَاطِلِ وَالْعَبْثِ فَكَيْفَ يَقُولُ الْبَاطِلُ  
وَالْعَبْثُ وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ نَزَّلَهُ عَلَى خَلْقِهِ لَا يُبَرِّيدُ بِهِ إِفَاهَمَهُمْ وَهَذَا مِنْ أَفْوَى  
حَجَجِ الْمُلْمَدِينِ .

وَأَيْضًا فَالْآيَةُ الْآيَةُ إِلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ الصَّحَابَةُ وَالْتَّابِعُونَ لِهِمْ فِي مَعْنَاهَا  
وَبَيْنُوا ذَلِكَ وَإِذَا قَبِيلَ فَقَدْ يَخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ قَبِيلَ كَمَا قَدْ يَخْتَلِفُونَ فِي  
آيَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ مَا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ مَعْنَاهَا  
وَهُذَا أَيْضًا مَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَ الْمُتَشَابِهِ إِنَّ الْمُتَشَابِهَ  
قَدْ يَكُونُ فِي آيَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ كَمَا يَكُونُ فِي آيَاتِ الْخَبْرِ وَتَلَكَ عَالَمَاتُ الْعُلَمَاءُ  
عَلَى مَعْرِفَةِ الرَّاسِخِينَ لِمَعْنَاهَا فَكَذَلِكَ الْآخِرُى، فَإِنَّهُ عَلَى قَوْلِ النَّفَاءِ لَمْ يَعْلَمْ مَعْنَى

التشابه لا إله لامك ولا رسول ولا عالم وهذا خلاف إجماع المسلمين في  
تشابه الأمر والشيء .

وأيضاً فلفظ التأويل يكون للمحکم كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنة  
وأقوال الصحابة على ذلك وهم يعلمون معنى المحکم فكذاك معنى المتشابه وأى  
فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحکم أفضل منه وقد بين معناه  
لعيادة فأى فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه وما استأثر الله بعلمه  
كوقت الساعة لم ينزل خطاباً ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة  
ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها وإنما النزاع في كلام  
أنزله وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء وأمر بتذكرة .

تم يقال أن منه ما لا يعرف معناه إلا الله ولم يبين الله ولا رسوله ذلك  
القدر الذي لا يعرف أحد معناه وهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن  
بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه .

ثم سبب نزول الآية قصة أهل نجران وقد احتجوا بقوله إنا ونحن  
وبقوله كلمة منه وروح منه وهذا قد اتفق المسلمين على معرفة معناه فكيف  
يقال أن المتشابه لا يعرف معناه لالملاك ولا الأنبياء ولا أحد من السلف  
وهو من كلام الله الذي أنزله إلينا وأمرنا أن نتدبره ونعقله وأخبر أنه بيان  
وهدى وشفاء ونور وليس المراد من الكلام إلا مما فيه ولو لا المعنى لم يجز  
التكلم بلفظ لامعنى له وقد قال الحسن ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم  
فيها ذا أزالت وما ذا عني بها ومن قال إن سبب نزول الآية سؤال اليهود عن  
حروف المعجم في ألم يحسب الجحش فهذا نقل باطل أما أولاً فلأنه من  
رواية الكلبي .

وأمانتانيا : فهذا قد قيل أنهم قالوه في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى  
المدينة وسورة آل عمران إنما نزل صدرها متأخر لما قدم وقد نجران بالنقل

المستفيض المتواتر وفيها فرض الحاج ولأنها فرض ستة تسع أو عشر لم يفرغنى  
في أول الهجرة باتفاق المسلمين .

وأما ثالثاً : فلأن حروف المعجم دلالة الحرف على بقاء هذه الأمة ليس  
هو من تأويل القرآن الذي استأثر الله بعلمه بل إنما أن يقال أنه ليس بما أراده  
الله بكلامه فلا يقال أنه انفرد بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل ،  
ولإما أن يقال بل يدل عليه وقد علم بعض الناس ما يدل عليه وحينئذ فقد علم  
الناس ذلك أما دعوى دلالة القرآن على ذلك وأن أحدا لا يعلم بهذا هو الباطل ،  
وأيضاً فإذا كانت الأمور العلمية التي أخبر الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول  
كان هذا من أعظم قبح الملاحدة فيه وكان حجة لما يقولونه من أنه كان  
لا يعرف الأمور العلمية أو أنه كان يعرفها ولم يبينها بل هذا القول يقتضى أنه  
لم يكن يعلمه فإن مالا يعلمه إلا الله لا يعلمه النبي ولا غيره .

وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول إن في  
القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره نعم قد يكون في القرآن آيات  
لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد  
يشكل على هذا ما يعرفه هذا وذلك تارة يكون لفراة الله لفظ ونارة لاشبهاء  
المعنى بغيره وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق وتارة لعدم  
التدارك التام ونارة لنفي ذلك من الأسباب فيجب القطع بأن قوله ( وما يعلم  
تأويله إلا الله والراشدين في العلم يقولون آمنا به ) .

إن الصواب قول من يجعل له معطوفاً ويجعل الواو لم Griffin مفرد  
على مفرد أو يكون كلام القولين حقاً وهي قراءة ان والتأويل المنفي غير  
التأويل المثبت وإن كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف فيكون  
التأويل المنفي علىه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه  
نظر وابن عباس جاء عنه أنه قال إنما من الراشدين الذين يعلمون تأويله وجاء  
عنه أن الراشدين لا يعلمون تأويله .

ووجه عنه أنه قال : التفسير على أربعة أوجه تفسير نوره العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسیر يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القواين ويبيّن أن العلماء يعلون من تفسيره مالا يعلمه غيرهم وأن فيه مالا يعلمه إلا الله فاما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله إلا الله وجعل التأويل بمعنى التفسير فهذا خطأ قطعا وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الأربع ولا كان التسلّم بهذا الاصطلاح معروفا في القرون الثلاثة بل ولا علمت أحدا فيهم خص لفظ التأويل بهذا .

ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعا في عرف كثير من المتأخرین فظموا أن التأويل في الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن لتشابه القرآن معانٍ تختلف ما يفهم منه وفرقوا بينهم بعد ذلك وصاروا شيئاً و التشابة المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وإنما الخطأ في فهم السامع نعم قد يقال أن مجرد هذا الخطأ لا يبين كمال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالته على المطلوب وبين دلالته على تقدير المطلوب فهذا الثاني هو المنفي بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل البينة كما قد يسط في موضعه .

ولكن كثير من الناس يزعم أن ظاهر الآية معنى إما معنى يعتقده وإما معنى باطلًا فيحتاج إلى تأويله ويكون ما قاله باطلًا لاتدل الآية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير جداً ومؤلم لهم الذين يحملون القرآن كثيراً ما يحتاج إلى التأويل الحدث وهو صرف اللفظ عن مدلوله إلى خلاف مدلوله .

وما يحتاج به من قال الراشدون في العلم يملئون التأويل مائنت في صحيح

البخاري وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له وقال : اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل . فقد دعا له بعلم التأويل مطلقاً وابن عباس فسر القرآن كله ، قال مجاهد عرضاً المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أفقه عند كل آية وأسأله عنها وكان يقول إنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلاً .

وأيضاً فالنقول متواترة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تكلم في جميع معانى القرآن من الأمر والخبر فله من الكلام في الأسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ومن الكلام في الأمر والنفي والأحكام ما يبين أنه كان يتكلم في جميع معانى القرآن ، وأيضاً قد قال ابن مسعود مامن آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما ذا أنزلت ، وأيضاً فإنهم متفقون على أن آيات الأحكام يعلم تأويلاً وهى نحو خمسين آية وسائر القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته أو عن اليوم الآخر والجنة والنار أو عن القصاص وعاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر فإن كان هذا هو المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله فهم يور القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة ومعلوم أن هذا مكابرة ظاهرة .

وأيضاً فعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي ينبع به فإن دلالة الرؤيا على تأويلاً دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جهود الناس بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه فإذا كان الله قد علم عباده تأويل الأحاديث التي يرونها في المنام فلأنهم يعلمون تأويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والآخر قال يعقوب يوسف ( وكذلك يختنيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ) وقال يوسف ( رب قد آتيني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ) وقال ( لا يأتيكما طعام ترزقاته إلا نائماً بتأويله قبل أن يأتيكما ) .

وأيضاً فقد ذم الله المكفار بقوله ( ألم يقولوا افتراء قل فأنوا بسورة

مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا  
بعلمه ولما يأتهم تأويله ) وقال ( ويوم نحشر من كل أمة فوجاً من يكذب  
بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تخيطوا بها دليلاً  
أما إذا كنتم تعلمون ) وهذا ذم من كذب بما لم يحيط به عالمه فما قاله الناس من  
الأقوال المختلفة في تفسير القرآن وتأويله ليس لأحد أن يصدق بقول دون  
قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها إلا أن يحيط بعلمه .

وهذا لا يمكن إلا إذا عرف الحق الذي أريد بالآية فيعلم أن مساواه  
باطل فيكذب بالباطل الذي أحاط بعلمه وأما إذا لم يعرف معناها ولم يحيط  
بشيء منها عملاً فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع أن الأقوال المتناهضة  
بعضها باطل قطعاً ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالمكذب بالأقوال  
المتناهضة والمكذب بالحق كالمكذب بالباطل وفساد اللازم يدل على  
فساد المزوم .

وأيضاً فإنه إن بني على ما يعتقد من أنه لا يعلم معانى الآيات الخبرية إلا  
الله لزمه أن يكذب كل من احتاج بآية من القرآن خبرية على شيء من أمور  
الإيمان بالله واليوم الآخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم مثل ذلك  
في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وإن قال المتشابه هو بعض الخبريات  
لزمه أن يبين فصلاً يتبين به ما يجوز أن يعلم معناه من آيات القرآن  
وما لا يجوز أن يعلم معناه بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لأملك مقرب ولا بني مرسل  
ولا أحد من الصحابة ولا غيرهم ومعلوم أنه لا يمكن أحداً ذكر حد فاصل  
بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس وبين ما لا يجوز أن يعلم معناه أحد  
ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه فعلم أن المتشابه ليس هو الذي لا يمكن أحد  
معرفته معناه وهذا دليل مستقل في المسألة .

وأيضاً قوله لم يحيطوا بعلمه وكذبتم بآياتي ولم تخيطوا بها دليلاً ذم لهم

على عدم الإحاطة مع التكذيب ولو كان الناس كاهم مشتركون في عدم الإحاطة بعلم المتشابه لم يكن في ذمهم بهذا الوصف فائدة ولكن النم على مجرد التكذيب فإن هذا بمنزلة أن يقال أكذبتم بما لم تحيطوا به علما ولا يحيط به علما إلا الله ومن كذب بما لا يعلمه إلا الله كان أقرب إلى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس فلو لم يحيط به علما الآخرون كان ترك هذا الوصف أقرب في ذمهم من ذكره.

ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل في المسألة وهو أن الله ذم الراشدين بالجمل وسوء القصد فإنهما يقصدون المتشابه يتبعون تأويله ولا يعلم تأويله إلا الآخرون في العلم وليسوا منهم وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق وهذا كقوله تعالى (ولو علم الله بهم خيراً لاستعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فإن المعنى بقوله أسمعهم أفهمهم القرآن يقول لو علم الله بهم حسن قصد وقبول للحق لأفهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الإيمان وقبول الحق لسوء قصدهم فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قوله زين هم مذمومون بسوء القصد مع طلب علم ما ليسوا من أهله وليس إذا عيب هؤلاء على العلم ومحروم بتعاب من حسن قصده وجعله الله من الراشدين في العلم .

فإن قيل : فأكثر السلف على أن الراشدين في العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعروفة وقناة وعمر بن عبد العزيز والفراء وأبي عبيد وثعاب وابن الأباري قال ابن الأباري في قراءة عبد الله أن تأويله إلا عند الله والراشدون في العلم وفي قراءة أبي وابن عباس ويقول الراشدون في العلم قال وقد أنزل في كتابه أشياء استثار بها كقوله تعالى (قل إِنَّمَا عَلِيهَا عِنْدُ اللَّهِ) وقوله (وَقَرَوْنَا

بِيَنْ ذَلِكَ كُثِيرًا) فَأَنْزَلَ الْحَكْمَ لِيُؤْمِنَ بِهِ الْمُؤْمِنُ فَيُسْعِدُ وَيُكَفِّرُ بِهِ  
الْكَافِرُ فَيُشْتَقِّ .

قال ابن البارى : والذى يروى القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجح ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد فيقال قول القائل أن أكثر السلف على هذا قول بلا علم فإنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال أن الراسخين في العلم لا يملئون تأويلاً المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون وما ذكر من فرامة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها إسناد يعرف حتى يحتاج بها والمعروف عن ابن مسعود أنه كان يقول ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما إذا أنزلت و قال أبو عبد الرحمن السعدي .

حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عمدة أهل الحديث والتفسير وله إسناد معروف بخلاف ما ذكر من فرائتهما وكذلك ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويلا .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بعلم تأويل الكتاب فكيف لا يعلم النّاؤيل مع أن قرامة عبد الله أَن تأويلاه إلا عند الله لاتناقض هذا القول فإن نفس النّاؤيل لا يأتى به إلا الله كما قال تعالى: (هو ينظرون إلا تأويلاه) وقال (بل تذربوا بالعالم يحيطوا بهمه وما يأنهم تأويلاه).

وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه، وتأويل ذلك هو بحسب الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو وليس في القرآن أن علم تأويله إلا عند الله كما قال في الساعة (يسألونك عن الساعة أيان مرساها كل هنا عليها عند ربي لا يجيئها لوقتها إلا هو نقلت في السموات والأرض لأت Aliciaكم

إلا بفتحة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمناها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضررا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما سئني السوء ) وكذلك لما قال فرعون لموسى ( فما بال الفرون الأولى قال عليها عند رب في كتاب لا يضل رب ولا ينسى ) .

فلو كانت قراءة ابن مسعود نقلاً عن الراسخين ل كانت أن علم تأويه إلا عند الله لم يقرأ أن تأويه إلا عند الله فإن هذا حق بلا زاغ واما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ما ينافقه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد ، وعلى تفسير مجاهد ، يعتمد أكثر الأمة كالشوري والشافعى وأحمد بن حنبل والبخارى .

قال الثورى : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به والشافعى فيكتبه أكثر الذى ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخارى في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لاتصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا أن يكون نظيره في الصحة ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرضت المصحف على ابن عباس أقهه عند كل آية وأسئلته عنها .

وأيضاً فأبي بن كعب رضى الله عنه قد عرف أنه كان يضر ما تشابه من القرآن كافر قوله ( فأرسلنا إليها روحنا ) وضر قوله ( الله نور السموات والأرض ) قوله ( وإذ أخذ ربك ) ونقل ذلك معروف عنه بالإسناد أثبت من نقل هذه القراءة التي لا يعرف لها إسناد وقد كان يسأل عن المتشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمر ، وسئل عن ليلة القدر .

وما قوله إن الله أنزل الجمل ليؤمن به المؤمن فيقال هذا حق لكن هل في الكتاب والبينة أو قول أحد من السلف أن الأنبياء والملائكة

والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام الجمل أم العلماء متفقون على أن الجمل في القرآن يفهم معناه ويعرف ما فيه من الإجحاف كامثل به من وقت الساعة فقد علم المسلمون كلام معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة وأنها آتية لاعماله وأن الله انفرد بعلم وقتها فلم يطلع عن ذلك أحداً ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله السائل عن الساعة وهو في الظاهر أعرابي لا يعرف قال له متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولم يقل أن الكلام الذي نزل في ذكرها لا يفهمه أحد بل هذا خلاف إجماع المسلمين بل والمقلاه فإن لأخبار الله عن الساعة وأشراطها كلام بين واضح يفهم معناه وكذلك قوله ( وقرونًا بين ذلك كثيراً ).

قد علم المراد بهذا الخطاب وأن الله خلق قروناً كثيرة لا يعلم عددهم إلا الله كما قال ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) فما شئ من هذا مما يدل على أن ما أخبر الله به من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لامن الملائكة والأنبياء ولا الصحابة ولا غيرهم؛ وأما ما ذكر عن عروة فعروة قد عرف من طريقه أنه كان لا يفسر عامة آيات القرآن إلا آيات قليلة رواها عن عائشة ومعلوم أنه إذا لم يعرف عروة التفسير لم يلزم أنه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة كابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وغيرهم .

وأما اللغويون الذين يقولون إن الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه فهم متفاقضون في ذلك فإن هؤلاء كلهم يتكلمون في تفسير كل شيء في القرآن ويتوسعون في القول في ذلك حتى مامنهم أحد إلا وقد قال في ذلك أقوالاً لم يسبق لها وحي خطأ، وإن الأنباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاماً في معانٍ الآتى المتشابهات يذكر فيها من الأقوال مالم ينقل عن أحد من السلف ويحتاج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعانٍ القرآن والحديث واتبع لسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة .

لَكُنْ بَابَ فَقِهِ النَّصوصِ غَيْرَ بَابِ حَفْظِ الْأَفْاظِ الْلَّغَةِ وَقَدْ نَقَمْتُ هُوَ وَغَيْرِهِ عَلَى ابْنِ قَتِيْبَةَ كَوْنِهِ رَدَ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَفْسِيرَ غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَابْنِ قَتِيْبَةَ قَدْ اعْتَذَرَ عَنِ ذَلِكَ وَسَلَكَ فِي ذَلِكَ مَسْلَكَ أَمْثَالَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ وَأَمْثَالُهُ يُصِيبُونَ ثَارَةً وَيُخْطِلُونَ أَخْرَى فَإِنْ كَانَ الْمُتَشَابِهُ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا اللَّهُ فَهُمْ كَلِمَهُمْ يُجْتَهِدُونَ عَلَى اللَّهِ يَتَسَلَّمُونَ فِي شَيْءٍ لَا سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَإِنْ كَانَ مَا يَنْبُوْهُ مِنْ مَعْنَى الْمُتَشَابِهِ قَدْ أَصَابُوا فِيهِ وَلَوْ فِي كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ ظَاهِرٌ خَطَاْمٌ فِي قَوْلِهِمْ إِنْ الْمُتَشَابِهُ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُخْلُوقِينَ فَلَيَخْتَرْ مِنْ يَنْعَزُ قَوْلَهُمْ هَذَا أَوْ هَذَا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ أَصَابُوا فِي شَيْءٍ كَثِيرًا مَا يَنْصُرُونَ بِهِ الْمُتَشَابِهِ وَأَخْطَلُوا فِي بَعْضِ ذَلِكَ فِي كُونِ تَفْسِيرِهِمْ هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا أَخْطَلُوا فِي الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ فَإِنَّهُمْ أَصَابُوا فِي كَثِيرٍ مِنْ تَفْسِيرِ الْمُتَشَابِهِ ، وَكَمْ ذَلِكَ مَا نَقَلَ عَنْ قَنَادِهِ مِنْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ فَكَتَبَهُ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ أَشْهَرِ الْكُتُبِ وَنَقَلَهُ ثَابَتْ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ مُعْمَرِ عَنْهُ وَرِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَوْرَةِ عَنْهُ .

وَلَهُذَا كَانَ الْمُصْنَفُونَ فِي التَّفْسِيرِ عَامِتُهُمْ يَذَكُرُونَ قَوْلَهُ لِصَحَّةِ التَّقْلِيْدِ وَمَعْهُ هَذَا يَفْسِرُ الْقُرْآنَ كَمَا مَحْكُمَهُ وَمُتَشَابِهُ ، وَالَّذِي اتَّقْضَى شَهَرَةَ الْقَوْلِ عَنِ أَهْلِ السَّنَةِ بِأَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ظَاهِرُ التَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْقَدْرِيَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ فَصَارَ أَوْلَئِكَ يَتَسَلَّمُونَ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِمْ الْفَاسِدِ .

وَهَذَا أَصْلُ مَعْرُوفِ لِأَهْلِ الْبَدْعِ أَنَّهُمْ يَفْسُرُونَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِمُ الْعَقْلِيِّ وَتَأْوِيلِهِمُ الْلَّغْوِيِّ فَتَفَاسِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ تَمْلَأُهُ تَأْوِيلَ النَّصوصِ الْمُبَتَّةِ لِلصَّفَاتِ وَالْقَدْرِ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنْ كَارَ السَّلْفُ وَالْأَنْفَهُ لِهَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَا كَتَبَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَبَتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ وَتَأْوِلَتِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ السَّلْفُ

والآئمة من التأویل لجاء بعدم قوم انتسبوا إلى السنة بغير خبرة تامة بها وبما يخالفها وظنوا أن المشابه لا يعلم معناه إلا الله فظنوا أن معنى التأویل هو معناه في اصطلاح الآخرين وهو صرف اللفظ عن الاحتفال الراجح إلى المرجوح فصاروا في موضع يقولون وينصرون أن المشابه لا يعلم معناه إلا الله ثم يتناقضون في ذلك من وجوه :

أحدها : أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ولهذا يبطلون كل تأویل يخالف الظاهر ويقررون المعنى الظاهر ويقولون مع هذا أن له تأویلا لا يعلمه إلا الله والتأویل عندهم ما يتناقض الظاهر فكيف يكون له تأویل يخالف الظاهر وقد قرر معناه الظاهر وهذا ما أنكره عليهم مناظروهم حتى أنكر ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يملي .

ومنها أنا وجدنا هؤلاء كلام لا يحتاج عليهم بنص يخالف قولهم لافي مسألة أصلية ولا فرعية إلا تأولوا ذلك النص بتأويلاً متعددة مستخرجون من جنس تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلاًات الجهمية والقدرية التي تخالففهم ، فأين هذا من قولهم لا يعلم معنى النصوص المشابهة إلا الله واعتبر هذا مما نتجده في كتبهم من مناظر لهم للمعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض قول هؤلاء مثل أن يتحجروا بقوله (والله لا يحب الفساد) (ولا يرضي عباده الكفر) (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (لاتدرك الأ بصار) (إما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (ولما قال ربك الملائكة) ونحو ذلك كيف تجرد من يتأولون هذه النصوص بتأويلاًات غالباً فاسدة وإن كان في بعضها حق فإن كان ماتأولوه حقاً دل على أن الراسخين في العلم يعلمون تأویل المشابه فظاهر تناقضهم وإن كان باطلاً فذلك أبعد لهم .

وهذا أحمد بن حنبل إمام أهل السنة الصابر في المحنـة الذي قد صار المسلمين معياراً يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيها شكت فيه من مشابه القرآن وتأولته على غير تأويله . تكلم

في معانى المتشابه الذى اتبעהه الزائرون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلاً آية آية وبين  
معناها وفسرها ليبين فساد تأويلاً الزائرين واحتاج على أن الله يرى وأن القرآن  
غير خلوق وأن الله فوق العرش بالحجج العقلية والسمعية ورد ما احتاج  
به النقاوة من الحجج العقلية والسمعية وبين معانى الآيات التي سماها هو  
متشابهة وفسرها آية آية وكذلك لما ناظروه واحتجوه عليه بالنصوص  
جعل يفسرها آية آية وحديثاً حديثاً وبين فساد ماتأولها عليه الزائرون  
ويبين هو معناها .

ولم يقل أحد أن هذه الآيات والأحاديث لا يفهم معناها إلا الله ولا قال  
أحد له ذلك بل الطوائف كلها مجتمعة على إمكان معرفة معناها لكن يتنازعون  
في المراد كما يتنازعون في آيات الأسر والنفي وكذلك تفسير المتشابه من  
الآيات والأحاديث التي يحتاج بها الزائرون من الخارج وغيرهم كقوله لا يزني  
الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن  
ولا يشرب الشارب الخر حين يشرب وهو مؤمن وأمثال ذلك .

ويبطل قول المرجئة والجهمية وقول الخارج والمعزلة وكل هذه  
الطوائف تحتاج بنصوص المتشابه على قولها ولم يقل أحد لامن أهل السنة  
ولا من هؤلاء لما يستدل به هو أو يستدل به عليه منازعة هذه آيات  
وأحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر فأمسكوا عن الاستدلال بها وكان  
الإمام أحمد يشكك طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأن عليهم  
من غير استدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة  
والتابعين الذين بلغتهم الصحابة معانى القرآن كما بلغوهم ألفاظه ونقلوا هذا  
كما قلوا هذا .

لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأنيات تختلف مراد الله ورسوله  
ويدعون أن هذا هو التأويل الذى يعلمه الراسخون وهم مبطلون في ذلك لاسيما  
تأنيات القراءمة والباطنية الملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية

والقدرة وغيرهم ولكن هؤلاء يعترفون بأنهم لا يعلمون التأويل وإنما غايتهم أن يقولوا ظاهر هذه الآية غير مراد ولكن يحتمل أن يراد كذا وأن يراد كذا ولو تأولها الواحد منهم بتأويل معين فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله بل يجوز أن يكون مراد الله ورسوله عندهم غير ذلك كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كايزد كرونه في قوله (وجاء ربكم والملك صفا صفا) وينزل ربنا (والرحمن على العرش استوى) (وكلم الله موسى تكليماً) وغضب الله عليهم (ولئن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وأمثال ذلك من النصوص فإن غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك وليس هذا علماً بالتأويل.

وكذلك كل من ذكر في نص أوالا واحتمالات ولم يعرف المراد فإنه لم يعرف تفسير ذلك وتأويله وإنما يعرف ذلك من عرف المراد ومن ذمم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تقيد العلم فضمنون مدلولاته لا يعلم أحد تفسير الحكم ولا تفسير المتشابه ولا تأويل ذلك وهذا إقرار منه على نفسه بأنه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه فضلاً عن تأويل الحكم فإذا انضم إلى ذلك أن يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتلبيس ما لا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لامعقة بالسمعيات ولا بالعقليات وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا (لو كنا نسمع أو نقل ما كنا في أصحاب السعير).

ومدح الذين إذا ذكروا بما يأبه لهم يخروا علينا صرا وعمانا والذين يفهمون ويعلمون وذم الذين لا يفهمون ولا يعلمون في غير موضع من كتابه وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنّة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجعلون الفاظا لهم بجملة متشابهة تتضمن حقا وباطلا يجعلونها هي الأصول المحكمة ويجعلون معارضها من نصوص الكتاب والسنّة من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندم إلا الله

وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد فيجعلون البراهين شبهات والشبهات ببراهين  
كما قد بسط ذلك في موضع آخر .

وقد نقل القاضي أبو يعل عن الإمام أحمد أنه قال الحكم ما المستقل بنفسه  
ولم يحتاج إلى بيان والتشابه ما يحتاج إلى بيان ، وكذلك قال الإمام أحمد في  
رواية وعن الشافعى قال الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحداً  
والتشابه ما احتمل من التأويل وجوها وكذلك قال الإمام أحمد وكذلك قال  
ابن الأبارى الحكم مالم يحتمل من التأويل إلا وجها واحداً والتشابه الذى  
تعتبره التأويلات فيقال حينئذ بجميع الأمة سلفها أو خلفها يتكلمون في معانى  
القرآن التي تحتمل التأويلات وهو لاء الذين ينصرون أن الراسخين في العلم  
لا يعلمون معنى التشابة هم من أكثر الناس كلاماً فيه .

والآئمة كالشافعى وأحمد ومن قبلهم كاهم يتكلمون فيها يحتمل معانى  
ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة في جميع مسائل العلم الأصولية والفروعية  
لا يعرف عن عالم من علماء المسلمين أنه قال عن نص احتاج به محتاج في مسألة  
أن هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتاج به ولو قال أحد ذلك لقيل له مثل ذلك  
وإذا أدعى في مسائل الزاع المشهورة بين الآئمة أن نصه حكم يعلم معناه وأن  
النص الآخر مشابه لا يعلم أحد معناه قobil بمثل هذه الدعوى وهذا بخلاف  
قول القائل إن من النصوص ما معناه جلى واضح ظاهر لا يحتمل إلا وجها  
واحداً لا يقع فيه اشتباه .

ومنها ما فيه خفاء واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم فإن هذا مستقيم  
صحيح ، وحينئذ فالخلاف في التشابة يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال أنه  
يعرف معناه يبين حجة على ذلك ، وأيضاً فما ذكره السلف والخلف في التشابة  
يدل على أنه كله يعرف معناه فمن قال : إن التشابة هو المنسوخ فمعنى  
المنسوخ معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود ، وابن عباس وقتادة و  
وأسدى وغيرهم .

وأبن مسعود وابن عباس وفتادة هم الذين نقل عنهم أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله .

ومعلوم قطعاً باتفاق المسلمين أن الراسخين يعلمون معنى المنسوخ فكان هذا النقل عنهم ينافي ذلك التقل ويدل على أنه كذب إن كان هذا صدقاً وإلا تعارض النقلان عنهم والمتواتر عنهم أن الراسخين يعلمون معنى المتشابه .

والقول الثاني : مأثورٌ عن جابر بن عبد الله أنه قال الحكم ماعلم العلماء تأويله والتشابه مالم يكن للعلماء إلى معرفته سهل كقيام الساعة ، ومعلوم أن وقت قيام الساعة مما اتفق المسلمين على أنه لا يعلمه إلا الله فإذا أريد باللفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله إلا الله وهذا حقيقة ولا يدل بذلك على أنه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك إن أريد بالتأويل حفاظ ما يوجد وقيل لا يعلم كيفية ذلك إلا الله .

فهذا قد قدمناه وذكر أنه على قول هؤلاء من وقف عند قوله ( وما يعلم تأويله إلا الله ) هو الذي يجب أن يراد بالتأويل وأما أن يراد بالتأويل التفسير ومعرفة المعنى ويقف على قوله إلا الله فهذا خطأ قطعاً خالف للكتاب والسنة وإنجاح المسلمين .

ومن قال ذلك من المؤخرین فإنه متناقض يقول ذلك ويقول ما ينافي منه وهذا القول ينافي الإيمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ويوجب القدر في الرسالة ولا ريب أن الذي قالوه لم يتذروا الوازمه وحقيقة ما أطلقواه وكان أكبر قصدتهم دفع تأويلات أهل البدع المتشابهة وهذا الذي قصده حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لأندفع باطلًا ياطل آخر ولا نرد بدعة ببدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بأن يقال للرسول والصحابه كانوا لا يعرفون تفسير ماتشابه من القرآن ففي هذا من الظن في الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفه في تفسير بعض الآيات والماقل لا يبني فصراً وبهدم مصرًا .

والقول الثالث : أن المتشابه الحروف المقاطعة في أوائل السور يروى  
هذا عن ابن عباس ، وعلى هذا القول فالحروف المقاطعة ليست كلاماً تاماً  
من الجل الإسمية والفعلية وإنما هي أسماء موقوفة وهذا لم تعرب فain  
الإعراب إنما يكون بعد العقد والتركيب وإنما نطق بها موقوفة كما  
يقال : اب ت ، وهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الإسم الذي ينطق  
به فإنها في النطق أسماء .

ولهذا المأسأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا زا قال نطق ثم  
بالإسم وإنما النطق بالحرف زه في في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقاطعة  
الم لا تكتب ألف لام ميم كـ يـ كـ تـ بـ قول النبي صـ الله عليه وسلم من قرأ  
القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسـنـاتـ أما إنـ لاـ قولـ المـ حـ رـ فـ  
ولـكـنـ الـ فـ حـ رـ وـ لـ اـمـ حـ رـ وـ مـ يـ حـ رـ ،ـ والـ حـ رـ فـ فيـ لـغـةـ الرـ سـوـلـ  
وـ أـصـحـابـهـ يـتـناـوـلـ الـذـىـ يـسـمـيـ النـحـاـةـ اـسـمـاـ وـ فـلاـ وـ حـ رـاـ .

ولهذا قال سيدويه في تقسيم الكلام اسم و فعل و حرف جاء معنى ليس  
باسم ولا فعل فإنه لما كان معرفة من اللغة أن الاسم حرف والفعل حرف  
خصوص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحو عليه الحرف إنه جاء معنى ليس  
باسم ولا فعل ، وهذه حروف المعاني التي يتتألف منها الكلام وأما حروف  
المجاه فتلك إنما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة  
ولا يقال فيها معرب ولا مبني لأن ذلك إنما يقال في المؤلف ، فإذا كان على هذا  
الفول كل ماسوى هذه حكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة  
كلام الله وكلام رسوله ، ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر  
الناس فإن كان معناها معرفة فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معرفة  
وهو المتشابه كان ماسوها ملوم المعنى وهذا المطلوب ، وأيضاً فإن الله تعالى  
قال (منه آيات حكمات هن ألم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه الحروف  
ليست آيات عند جهور العلماء وإنما يعدها آيات المكتوفيون .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضاً مشابه ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء ، والرابع أن المشابه ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول أكثر العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المشابه وبين معناه الخامس أن المشابه ما نكررت ألفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الحكم ما ذكر الله في كتابه من أصص الأنبياء ففصله وبينه المشابه هو ما اختلف ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع في قصة نوح (احمل فيها) وقال في موضع آخر (اسلك فيها) وقال في عصا ووسى (فإذا هي حبة تسوى) وفي موضع (فإذا هي ثعبان مبين) .

صاحب هذا القول جعل المشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى كاشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذلك اللفظ وقد صنف بعضهم في هذا المشابه لأن القصة الواحدة يتشارب معناها في الموضعين فاشتبه على القارئ أحد اللفظين بالأخر وهذا المشابه لا ينفي معرفة المعنى بلا ريب ولا يقال في مثل هذا أن الرائيين يختصون بعلم تأويله فهذا القول إن كان صحيحاً كان سجدة لنا وإن كان ضعيفاً لم يضرنا ، والسادس أنه ما احتاج إلى بيان كما نقل عن أحمد ، والسابع أنه ما أحتمل وجوهاً كما نقل عن الشافعي وأحمد .

وقد نقل عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال إنك لا تتفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وقد صنف الناس كتب الوجوه والمظاير فالنظائر للفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر ، والوجود الذي اختلف معناه كما يقال الأسماء المتواطئة والمشتركة وإن كان بينهما فرق ليس بسطه موضع آخر وقد قيل : هي نظائر في اللفظ ومعانها مختلفة فتكون كالمشتركة وليس كذلك هل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الأول .

وقد تكلم المسلمين سلفهم وخلفهم في معانى الوجوه وفيها يحتاج إلى بيان وما يحتمل وجوهاً فعلم يقيناً أن المسلمين متفرقون على أن جميع القرآن

لما يمكن للعلماء معرفة معانيه واعلم أن من قال أن من القرآن كلاما لا يفهم أحد معناه ولا يعرف معناه إلا الله فإنه مختلف لاجماع الأمة مع مختلفه للكتاب والسنّة ، والثامن أن المتشابه هو القصص والأمثال وهذا أيضاً يعرف معناه ، والتاسع أنه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضاً مما يعرف معناه ، والعشر قول بعض المتأخرین أن المتشابه آيات الصفات وأحادیث الصفات وهذا أيضاً مما يعلم معناه .

فإن أكثر آيات الصفات إنفاق المسلمين على أنه يعرف معناها والبعض الذي تعارض الناس في معناه إنما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ونقوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وكذلك قال سائر أئمة السنّة وحيثند فرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول فإن سبب الكيف تأويلا ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه إلا الله كما قدمناه أولاً ، وأما إذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلاً كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلاً .

وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله ( الرحمن على العرش أستوى ) ولا يعرفون معنى قوله : ( ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ) ولا معنى قوله : ( غضب الله عليهم ) بل هذا عندهم بمنزلة السلام العجمي الذي لا يفهمه العربي وكذلك إذا قيل كان عندم قوله تعالى ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جيئاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بييمينه ) وقوله ( لا تدرك الأ بصار وهو يدرك الأ بصار ) وقوله ( وكان سبيعاً بصيراً ) وقوله ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ) وقوله : ( ذلك بأنهم اتبعوا ما أنسخ الله وكرهوا رضاوه ) وقوله : ( وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ) وقوله : ( وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) وقوله : ( إنا جعلناه قرآننا عربياً ) وقوله : فأجره حتى يسمع كلام الله ) وقوله : ( فلما أنها نودي أن بورك من في النار ومن

حولها ) وقوله : ( هل ينظرون إلا أن يأتهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ) وقوله : ( وجاء ربك والملائكة صفا صفا هل ينظرون إلا أن تأتهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) إلى أمثل هذه الآيات .

فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات الله عليهمما وعن الصحابة والتاليين لهم يا حسان وأئمة المسلمين والجماعة أنهم كانوا لا يعرفون شيئاً من معانى هذه الآيات بل استأثر الله بعلم معناها كما استأثر بعلم وقت الساعة وإنما كانوا يقرءون ألفاظاً لا يفهمون لها معنى كما يقرأ الإنسان كلاماً لا يفهم منه شيئاً فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم ندل على تقييض هذا وأئمهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن وإن كان كنهه الرب عز وجل لا يحيط به العباد ولا يحصون ثناء عليه فذاك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما عليهم سبحانه وتعالى كما أنهم إذا علموا أنه بكل شيء عالم وأنه على كل شيء قادر لم يلزم أن يعرفوا كيفية علمه وقدرته وإذا عرفوا أنه حتى موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته .

وهذا مما يستدل به على أن الراسخين يملعون التأويل فإن الناس متفقون على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكّات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يملعون تأويل المحكم والمتشاربه ولا يعرفون كيفية الرب لافي هذا ولا في هذا . فإن قيل هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى قيل لا يقدح في ذلك فإن معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجدة في الخارج المرادة بذلك الكلام فإن الشيء له وجود في الأعيان وجود في الأذهان وجود في اللسان وجود في البيان .

فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فإذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجدة في الخارج وليس كل من عرف الأول عرف عين الثاني مثال ذلك أن أهل الكتاب يعلّبون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث لمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك الإنسان قد يعرف الحاج والمشاعر كالبيت والمسجد ومني وعمره ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف الأمكانية حتى يشاهدها فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله (ولله على الناس حج البيت) .

وكذلك أرض عرقات هي المذكورة في قوله : (إذا أفضتم من عرقات فاذكروا الله) وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مأربى عرفة ووادي حسر يعرف أنها المذكورة في قوله : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وكذلك الرؤيا بما فيها الرجل ويدرك أن العابر تأويلها فيفهمه ويتصوره مثل أن يقول هذا يدل على أنه كان كذا ويكون وكذا وكذا ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه .

ولهذا قال يوسف الصديق (هذا تأويل رؤيا من قبل) وقال : (لا يأتيك طعام ترزق به إلا نباتك بتأويله قبل أن يأتيك) فقد أبأها بتأويل قبل أن يأفي التأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وإن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) الآية ، وقال تعالى : (لكل نبا مستقر) .

فنحن نعلم مستقر نبا الله وهو الحقيقة التي أخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفية وقدرها وسواء في هذا تأويل المحكم والتشابه كما

قال الله تعالى : ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويدقق بعضكم بأس بعض ) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها كائنات لم يأت تأويلا لها بعد فقد عرف تأويلا لها وهو وقوع الاختلاف والفتنة وإن لم يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفتة ولا حقيقته فإذا وقع عرف المارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان هرفة فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فإنه لما نزل قوله تعالى : ( وانقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها وإذا نحن المعنيون بها ( وانقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) .

وأيضا فإن الله قد ذم في كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه وذم من لم يتداربه و مدح من يسمعه ويفهمه فقال تعالى : ( ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ) الآية فأخبر أنهم كانوا يقولون لأهل العلم ماذا قال الرسول في هذا الوقت المتقدم فدل على أن أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يعرفه غيرهم وهؤلاء هم الراسخون في العلم الذين يعلون معنى القرآن محكمة ومتباينة وهذا كقوله تعالى : ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون ) فدل على أن العاملين يعقلونها وإن كان غيرهم لا يعقلها .

والآمثال هي ما يمثل به من المتشابه وعقل منهاها هو معرفة تأويلا الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم ويشبه هذا قوله تعالى : ( ويرى الذين أنوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويمد إلى صراط العزيز الحميد ) فلولا أنهم عرروا معنى ما أنزل كيف عرفوا أنه حق أو باطل وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه أنه حق أو باطل ، وقال تعالى : ( أهلا يتذربون القرآن أم على قلوب أففاحها ) .

وقال : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا إِلَيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) وقال تعالى : (أَفَمِنْ يَدِرُّوا الْقَوْلَ أَمْ جَاهَمْ مَالَ يَأْتِ آيَاتُهُمْ الْأَوَّلِينَ) وقال تعالى (فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ ) وقال (إِنَّا وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صَدًا وَعَيْنَانَا) وقال (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّمَلِكِكُمْ تَعْقِلُونَ) وقال : (كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَاتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) وقال : (كِتَابٌ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) إِلَى قَوْلِهِ : (وَمَنْ يَفْتَنَنَا وَيَنْكِحْ حَجَابَ).

فَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنَ أَوْ أَكْثَرُهُ مَا لَا يَفْهَمُ أَحَدٌ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ الْمُتَدَبِّرُ الْمَعْقُولُ إِلَّا بِعِصْمِهِ وَهَذَا خَلَافٌ مَادِلٌ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَا سَبَبًا عَامَةً مَا كَانَ الْمُشَرِّكُونَ يَنْكِرُونَهُ الْآيَاتُ الْحَبْرِيَّةُ وَالْإِخْبَارُ : نَبَأُ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَوِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَنِ نَفْ الشَّرَكَةِ وَالْأَوْلَادِ عَنِ اللَّهِ وَتَسْمِيَتِهِ بِالرَّحْمَنِ فَكَانَ عَامَةً إِنْكَارُهُمْ لَمَا يَخْبُرُهُمْ بِهِنَّ صَفَاتُ اللَّهِ نَفِيَّاً وَلِأَثْبَاتِهَا وَمَا يَخْبُرُهُمْ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مِنْ لَا يَعْقُلُ ذَلِكَ وَلَا يَفْقَهُهُ وَلَا يَتَدَبَّرُهُ .

فَهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِعِقْلِ ذَلِكَ وَتَدْبِرِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكُمْ أَمَّا تُسْمِعُ الصُّمُومِ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقُلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظَرُ إِلَيْكُمْ أَفَأَنْتُمْ نَهْدِي الْعَدِيِّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْصِرُونَ) وَقَالَ (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكُمْ وَجَعَانَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأُوا الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى (وَإِذَا فَرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلَنَا بِيَنْكِحْ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حَجَابًا مَسْتَورًا وَجَعَلَنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأُوا الْآيَةَ).

وَقَدْ اسْتَدَلَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْفِ عَنِ غَيْرِهِ حِلْمَ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ مُنْفَرِدًا بِهِ كَقَوْلِهِ : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ) وَقَوْلِهِ : (لَا يَنْهَا لَوْقَهَا إِلَّا هُوَ) وَقَوْلِهِ : (وَمَا يَعْلَمُ جِنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) فَيُقَالُ لِيَسْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا بِحَسْبِ الْعِلْمِ الْمُنْقَى فَإِنْ كَانَ مَا اسْتَأْمَرَ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ فِيهِ

ذلك وإن كان مما عليه بعض عباده ذكر ذلك كقوله : ( ولا يحيطون بشيء من عليه إلا بما شاء ) و قوله : ( عالم الغيب فلا يظهر على غيه أحدا ) إلى قوله : ( رصدا ) .

وقوله : ( قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ) و قوله : ( شهد الله أنه لا إله إلا هو وإنما نحن نشهد وأولو العلم فاعلموا بالقسط ) و قوله : ( لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ) إلى قوله : ( شهيدا ) و قوله : ( قل ربى أعلم بعدهم ما يعلمهم إلا قليل ) وقال للملائكة ( إني أعلم مالا تعلمو ) وقالت الملائكة ( لا علم لنا إلا ما علمنا ) .

وفي كثير من كلام الصحابة الله ورسوله أعلم وفي الحديث المشهور أسؤالك بكل امم هو لك سبب في نفسك وأنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى : ( فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ) وأول النزاع النزاع في معانى القرآن فإن لم يكن الرسول عالماً بما عانياه امتنع الرد إليه وقد اتفق الصحابة والتبعون لهم بإحسان وسائر أمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبيّنه وتدل عليه وتعبر عن بحثه وأنها تفسر بحمل القرآن من الأمر والخبر ، وقال تعالى : ( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ) إلى قوله ( فيما اختلفوا فيه ) .

ومن أعظم الاختلاف الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المختلفة بالإيمان بالله واليوم الآخر فلابد أن يكون الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه من ذلك ويكتنف أن يكون حاكماً إن لم يكن معرفة معناه مكتملاً وقد نصب الله عليه دليلاً ولا فالحاكم الذي لا يتبيّن مافي نفسه لا يحكم بشيء وكذلك إذا قبل هو الحاكم بالكتاب فإن حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل وهذا إنما يكون بالبيان وقد قال تعالى في آخر آن : ( إنه أقول فصل ) أي فاصل يفصل بين الحق والباطل فكيف يكون فصلاً إذا لم يكن إلى معرفة معناه سبيل .

وأيضاً فإن الله قال ( ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإنهم إلا يظفرون ) فلزم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى كما ذم الدين بمحروم معناه ويكتذبون فقال تعالى ( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفو نه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) إلى قوله : ( أفلأ تعقلون ) فهذا أحد الصنفين ثم قال تعالى : ( ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى أى تلاوة وإنهم إلا يظفرون ) ثم ذم الدين يفترهن كذلك يقولون هى من عند الله وما هي من عند الله فقال : ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ) إلى قوله : ( يكسبون ) .

وهذه الأصناف الثلاثة تستوعب أهل الضلال والبدع ، فإن أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله نوعان :

أحدما : عالم بالحق يتعمد خلافه ، والثاني جامل متبع لغيره . فالآولون يبتدعون ما يخالف كتاب الله ويقولون هو من عند الله إما أحاديث مفتريات وإما فسیر وتأویل للنصوص باطل ويهضدون ذلك بما يدعون من الرأى والعقل وقصدهم بذلك الرياسة والمال كل هؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك وهؤلاء إذا عورضوا بنصوص الكتاب الإلهية وقيل لهم هذه تخالفكم حرفاً الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة قال الله تعالى : ( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفو نه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ) .

وأما النوع الثاني فهو : هؤلاء الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإنهم إلا يظفرون فعن ابن عباس وقادة في قوله ( ومنهم أميون ) أى غير عارفين بمعانى الكتاب يعلموها حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدركون مافيته وقوله إلا أمانى أى تلاوة فهم لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمونه بـ

عليهم قال السكافي والزجاج وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتبته إلا أمانى إلا ما يحدهم به علماؤهم .

وقال أبو روق وأبو عبيدة أى تلاوة وقراءة عن ظهر القلب ولا يقرؤنها في الكتاب ، ففي هذا القول جعل الأمانى التي هي التلاوة تلاوة الأميين أنفسهم وفي ذلك جعله ما يسمعونه من تلاوة علمائهم وكلا القولين حق والأية تعمم ، ما في أنه سبحانه وتعالى قال : لا يعلمون الكتاب لم يقل لا يقرؤون ولا يسمعون ثم قال : إلا أمانى وهذا استثناء منهقطع لكن يعلمون أمانى إما بقراءتهم لها ولاما بسماعهم قراءة غيرهم وإن جعل الاستثناء متصلة كان التقدير لا يعلمون الكتاب إلا علم أمانى لاعلم تلاوة فقط بلا فهم ، والأمانى جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تفتق الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله علیم حكيم ) قال الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليلة      وآخرها لاقى حام المقادير

والأميون نسبة إلى الأمة قال بعضهم إلى الأمة وما عليه العامة فعنى الأمى العاى الذى لا تمييز له ، وقد قال الزجاج هو على خلق الأمة الذى لم تتعلم فهو على جبلته ، وقال غيره هو نسبة إلى الأمة لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء ولأنه على مأولداته أمه والصواب أنه نسبة إلى أمة كما يقال عامى نسبة إلى العامة التى لم تتميز عن عامة بما يمتاز به الخاصة وكذلك هذا لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ويقال الأمى من لا يقرأ ولا يكتب كتابا ثم يقال ان ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ مالم ينزل وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين فإنه لم يكن عندهم أسلتم فإن أسلمو فقد اهتدوا ) وقال ( هو الذى بعث الكتاب والأميون أسلتم في الأميون رسوله منهم ) .

وقد كان في العرب كثيرون يكتب ويقرأ المكتوب وكلهم أميون فلما نزل القرآن عليهم لم يقو أميين باعتبار أنهم لا يقرؤون كتاباً من حفظهم بل هم يقرؤون القرآن من حفظهم وأناجيلهم في صدورهم لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يجتنا جون إلى كتابة دينهم بل قرآم محفوظاً في قلوبهم كافى الصحيح عن عياض بن حمار المعاشعى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال خلقت عبادى حنفاء - وقال فيه - إنى مبتلىك ومبتلى بك وأنزات عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه ناماً وبقطاناً ، فآمننا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم بل لو عدلت المصاحف كلها كان القرآن محفوظاً في قلوب الأمة .

وبهذا الاعتبار فال المسلمين أمة أمية بعد نزول القرآن وحفظه كافى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنا أمة أمية لأن حسب ولا نكتب شهر هكذا وهكذا» ، فلم يقل لأنقرأ كتاباً ولا نحفظ بل قال لأنكتب ولا نحسب فدينا لا يحتاج أن يكتب وبحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون موافقة صورهم ونظرهم بكتاب وحساب وذينهم متعلق بالكتب لو عدلت لم يعرفوا دينهم ولهذا يوجد أهل السنة يحفظون القرآن والحديث أكثر من أهل البدع وأهل البدع فيهم شبه بأهل الكتاب من بعض الوجوه .

وقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى) هو أى بهذا الاعتبار لأنَّه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ ، والأمى في اصطلاح الفقهاء خلاف القارئ ليس هو خلاف الكاتب بمعنى الأول ويعنون به في العالب من لا يحسن الفاتحة فقوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا آمن) (أى لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة لا يفهمون معناها وهذا ينطوي على لا يحسن الكتابة ولا القراءة )

من قبّله وإنما يسمع أمانى حلا كذا قال ابن السائب ويتناول من يقرأه عن ظهر قلبه ولا يقرأه من الكتاب كذا قال أبو روق وأبو عبيدة.

وقد يقال إن قوله لا يعلمون الكتاب أى الخطأى لا يحسنون الخط وإنما يحسنون التلاوة، ويتناول أيضاً من يحسن الخط ولا يفهم ما يقرأه ويكتبه كذا قال ابن عباس وفتادة غير عارفين معانى الكتاب يملونها حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدرؤن مافيه ، والكتاب هذا المراد به الكتاب المزدوج وهو التوراة ليس المراد به الخط فإنه قال وإن هم لا يظنون فهذا يدل على أنه نفي عنهم العلم بمعانى الكتاب وإلا فكون الرجل لا يكتب بيده لا يستلزم أن يكون لاعلم عنده بل كثير من يكتب بيده لا يفهم ما يكتب وكثير من لا يكتب يكون عالماً يعلم ما يكتب غيره .

وأيضاً فإن الله ذكر هذا في سياق الندم لهم وليس في كون الرجل لا يخطئ ذم إذا قام بالواجب وإنما الندم على كونه لا يعقل الكتاب الذي أنزل إليه سواء كتبه وقرأه أو لم يكتبه ولم يقرأه كذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أو أن يرفع العلم فقال له زياد بن لبيد كيف يرفع العلم وقد قرأ أنا القرآن فوالله لنقرأه ولنفترته نسا .نا فقال له إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فإذا تغنى عنهم، وهو حديث معروف رواه الترمذى وغيره ، ولأنه قال تعالى قبل هذا (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفوه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) فأولئك عقلوه ثم حرفوه وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقولهم ويتبعونه ويقررونـونـهـ حفظـاـ وـكتـابـةـ أوـ لمـ يـكـونـواـ كـذـاكـ فـكـانـ منـ المـنـاسـبـ أنـ يـذـكـرـ الذـينـ لاـ يـعـلـمـونـهـ إـلاـ أـمـانـىـ فـإـنـ الـقـرـآنـ أـنـزلـهـ اللـهـ كـتـابـاـ مـتـشـابـهاـ لـاـ يـعـلـمـونـهـ وـهـمـ الـذـينـ لـاـ يـعـلـمـونـهـ إـلاـ أـمـانـىـ فـإـنـ الـقـرـآنـ أـنـزلـهـ اللـهـ كـتـابـاـ مـتـشـابـهاـ مـثـانـىـ وـيـذـكـرـ فـيـهـ الـأـفـاسـاـمـ وـالـأـمـيـالـ فـيـسـتوـعـ الـأـقـاسـاـمـ فـيـكـونـ مـثـانـىـ وـيـذـكـرـ الـأـمـيـالـ فـيـكـونـ مـتـشـابـهاـ وـهـنـاـ مـاـ كـانـواـ يـكـتـبـونـ وـهـيـ قـرـآنـ وـهـمـ أـمـيـونـ مـنـ أـهـلـ

الكتاب كما نقول نحن لمن كان كذلك هو أى وساذج وعائم وإن كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب إذا كان لا يعرف معناه .

وإذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب إلا تلاوة دون فهم معانيه كاذب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون دل على أن كلا النوعين مذموم، الجاحد الذي لا يفهم معانى النصوص والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه ويتكلم برأيه ويؤله بما يضفيه إلى الله فهو لام يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله ويجعلون تلك المقالات التي ابتدعواها هي مقالة الحق وهي التي جاء بها الرسول والتي كان عليها السلف ونحو ذلك ثم يعرفون النصوص التي تعارضها فهو لام إذا تعمدوا ذلك وعلموا أن الذي يفعلونه مختلف للرسول فيهم من جنس هؤلاء اليهود وهذا يوجد في كثير من الملاحة ويوجد في بعض الأشياء في غيرهم .

وأما الذين قصدوا أتباع الرسول باطننا وظاهراً وغلطوا فيها كتبواه وتأولوه فهو لام ليسوا من جنسهم لكن وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل كاً قيل إذا زل بزلته عالم وهذا حال المتأولين من هذه الأمة وإما رجل مقلد أى لا يعرف من الكتاب إلا ما يسمعه منهم أو ما يتلوه هو ولا يعرف إلا أمانى وقد ذمه الله على ذلك فعلم أن ذم الله الذين لا يعرفون معانى القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه كما صرخ القرآن بذمهم في غير موضع فيمتصع مع هذا أن يقال أن أكثر القرآن أو كثيراً منه لا يعلمه أحد من الخلق إلا أمانى لا جهيل ولا محمد ولا الصحابة ولا أحد من المسلمين فإن هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيها ذمهم الله به .

فإن قيل : فلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية قيل نعم لكن معرفة معانى الجميع فرض على الكفاية وعلى كل مسلم معرفة ما لا بد منه وهو لام ذمهم الله لأنهم لا يعلمون معانى الكتاب إلا تلاوة وليس عندهم إلاظن وهذا

يشبه قوله : (وأنهم لف شك منه مرير ) فإن قيل فقد قال بعض المفسرين  
لأنه لا يقالونه بأفواههم كذباً وباطلاً وروى هذا عن بعض السلف  
واختاره الفراء ، وقال الأمان الأكاذيب المفتعلة قال بعض العرب لأن  
ذهب - وهو يحدث - أهذا شيء رويته أم تمنيته أى افتعلته فأراد بالأمانى  
الأشياء التي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله من تغيير صفة  
محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم الأمانى يتمشون على الله الباطل والكذب كقولهم : (لن  
تمعننا النار إلا أيام معدودة ) وقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان موداً  
أو نصاري ) وقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) وهذا أيضاً يروى عن بعض  
السلف قيل كلام القولين ضعيف والصواب الأول لأنه سبحانه قال (ومنهم  
أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمان) وهذا الاستثناء لما أن يكون متصلًا  
أو منقطعًا فإن كان متصلًا بجز استثناء الكذب ولا أمانى القلب من الكتاب  
 وإن كان منقطعاً فالاستثناء المنقطع إنما يكون فيما كان نظير المذكور وشبها  
له من بعض الوجوه فهو من جنسه الذي لم يذكر في اللفظ ليس من جنس  
المذكور وهذا يصلح المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ وذلك كقوله :  
(لا يذوقون فيها الموت) ثم قال : (إلا الموتة الأولى) .

فهذا منقطع لأنه يحسن أن يقال (لا يذوقون إلا الموتة الأولى) وكذلك  
قوله تعالى (ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض  
منكم) لأنه يحسن أن يقال لاتأكلوا أموالكم بينكم إلا أن تكون تجارة ، وقوله  
(وما هم به من علم إلا اتباع الظن) يصلح أن يقال وما هم إلا اتباع الظن  
فهنا لما قال (لا يعلمون الكتاب إلا أمان) يحسن أن يقال لا يعلمه إلا أمانى  
فيهم يعلموه تلاوة ويقرؤونها ويسمعونها ولا يحسن أن يقال لا يعلموه  
إلا ما تمناه قلوبهم أولاً يعلموه إلا الكذب فإنهن قد كانوا يعلموه ما هو  
صدق أيضاً فليس كل ما علموه من علمائهم كان كذباً بخلاف الذي لا يعقل  
معنى الكتاب فإنه لا يعلم إلا تلاوة .

وأيضاً فهذه للأماني الباطلة التي تمنوها بقولهم وقالوا بالستهم كقوله تعالى ( تلك أمانهم قد اشتراكوا فيها كلام ) لا يخص بالذم الأميون منهم وليس لكونهم أميين مدخل في الذم بهذه ولا لنفي العلم بالكتاب مدخل في الذم بهذه بل الذم بهذه مما يعلم أنها باطل أعظم من ذم من لا يعلم أنها باطل ، وهذا لما ذم الله بها عم و لم يخص فقال تعالى ( وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري تلك أمانهم ) الآية ، وأيضاً فإنه قال ( وإنهم إلا يظفرون ) .

فدل على أنه ذمم على نفي العلم وعلى أنه ليس معهم إلا الظن وهذا حال الجاهل بمعانى الكتاب لا حال من يعلم أنه يكذب ، فظاهر أن هذا الصنف ليس هم الذين يقولون بأفواههم الكذب والباطل ولو أريد ذلك لقليل لا يقولون إلا الأماني لم يقل لا يعلمون الكتاب إلا الأماني بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمناً قليلاً فهم يحرفون معانى الكتاب وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه ويكتبون في لفظيه وخطفهم .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لتبعدن سenn من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتهموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فن » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتأخذن أمتي ما أخذ الأمم قبلها شعباً شيراً وذراعاً بذراع قالوا يا رسول الله فارس ولاروم ؟ قال ومن الناس إلا أولئك » .

فهذا دليل على أن ماذم الله به أهل الكتاب في هذه الآية يكون في هذه الأمة من يشبههم فيه وهذا حق قد شوهد قال تعالى ( سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على

كل شيء شهيد ) فن تدبر ما أخبر الله به ورسوله رأى أنه قد وقع من ذلك أمور كثيرة بل أكثر الأمور ودلل ذلك على وقوع الباقي .

### (فصل)

فقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم يا حسان ومن سلك سبيلهم فكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم فقد ينهيه الله ورسوله بياناً شافياً فكيف بأصول التوحيد والإيمان ثم إذا عرف ما ينهيه الرسول نظر في آقوال الناس وما أرادوه بها فعوضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح دائماً موافق للرسول لا يخالفه نظير فإن الميزان مع الكتاب والله أنزل الكتاب بالحق والميزان لكن قد تقصّر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأنهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحارروا فيه لما بعلموه بعقولهم بطلاً .

فائرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول لاتخbir به حالات العقول فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم وأما سبيل الضلال والبدعة والجهل فعكس ذلك أن يبتدع بدعة برأي رجال وتأویلاتهم ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لها ويحرف ألفاظه ويتأول على وفق ما أصلوه وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ولا يتلقون الهدى منه ولو لكن ما وافقهم منه قبلوه وجعلوه حجة لاعادة وما خالفهم تأولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ، وهؤلاء قد لا يعروفون ما جاء به الرسول إما عجزاً وإما تغريطاً فإنه يحتاج إلى مقدمتين أن الرسول قال كذا وأنه أراد به كذا .

أما الأولى فعامتهم لا يرتابون في أنه جاء بالقرآن وإن كان من غلة أهل البدع من يرتاب في بعضه لكن الأحاديث عامة أهل البدع جهال بها وعم يظنون أن هذه رواها أحد يجوزون عليهم الكذب والخطأ ولا يعرفون من كثرة طرقها وصفاتها رجالها والأسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه أهل

العلم بالحديث فإن هؤلاء يقطعون قطعاً يقيناً بعامة المتن الصحيحه التي في  
الصحيحين كما قد يسعدهم في غير هذا الموضع .

وأما المقدمة الثانية فإنهم قد لا يدركون معانى القرآن والحديث ومنهم من يقول الأدلة اللغوية لتنفيذ اليقين بمراد المتكلم وقد يسلطنا على فساد ذلك في غير هذا الموضع ، وكثير منهم إنما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيها يقوله موافقه على المذهب فيتاول تأويلاً لهم فالنصوص التي توافقهم يتحجرون بها والتي تخالفهم يتاؤلونها ، وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الأمر اتباع نص أصلاً وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتدأ بعمل الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون .

ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افت loro أولئك وهم في شك منه كما قال تعالى : ( وإن الذين أتوا العلم من بعدهم لفي شك منه مریب ) وكذلك الجمية ليس معهم على نق الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً لا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة بل الذي ابتدأ بذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء بل وضع ذلك كاو ضعف عبادة الأوئل وغير ذلك من أديان الكفار مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسول كما ذكر عن مبدلة اليهود ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك وهذا بخلاف بدعة الخوارج فإن أصلها ما فهموه من القرآن فغلظوا في فهمه ومقصودهم اتباع القرآن باطننا وظاهراً ليسوا زنادقة .

وكذلك القدرة أصل مقصودهم تعظيم الأمر والنهى والوعد والوعيد والذى جعلت به الرسل ويتبعون من القرآن مادل على ذلك فعمرو بن عبيد وأمثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول كالذى ابتدع الرفض وكذلك الأرجاء إنما أحدهنـ قوم قصدتهم جعل أهل القبلة كالمؤمنين ليسوا كفاراً

فأبوا الخوارج والمعزلة فصاروا في طرف آخر وكذلك التشيع المتوسط الذي مضمونه تفضيل على وتقديمه على غيره ونحو ذلك لم يكن هذا من إحداث الزنادقة بخلاف دعوى النص فيه والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منه افتقاراً فديقاً ولهذا قال : عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما أصول البدعة أربعة : الشيعة ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجئة . قالوا : والجهادية ، ليسوا من الثنين وبسبعين فرقة .

وكذلك ذكر أبو عبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد في ذلك قولين هذا أحدهما وهذا أرادوا به التجميم المغض الذى كان عليه جهم نفسه ومتبعوه عليه وهو نفي الأسماء مع نفي الصفات بحيث لا يسمى الله بشيء من أسمائه الحسنى ولا يسميه شيئاً ولا موجوداً ولا غير ذلك وإنما نقل عنه إنه كان يسميه قادرآ لأن جميع الأسماء يسمى بها الخلق فزعم أنه يلزم منها التشبيه بخلاف القادر فإنه كان رأس الجبرية وعنه ليس للعبد قدرة ولا فعل ولا يسمى غير الله قادرآ فلهمذا نقل عنه أنه سمي الله قادرآ وشر منه نفاة الأسماء والصفات وهم الملاحدة من الفلاسفة والقراطمة .

ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين بل فيهم من المكفر الباطن ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من الثنين وبسبعين فرقة وإذا أظهروا الإسلام فنادتهم أن يكونوا من المنافقين كما أنها فرق الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك كانوا أقرب إلى الإسلام من هؤلاء فإنهما كانوا يتذمرون شرائع الإسلام الظاهرة وهؤلاء قد يقولون برأفتها فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال أن أولئك كانوا قد قاتلوا عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء وأما من يقول ببعض التجميم كالمغزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الإسلام باطنآ وظاهرآ فهو لام من أممـة محمد صلى الله عليه وسلم بلا ريب .

وكذلك من هو خير منهم كالكلامية والكرامية وكذلك الشيعة المفضلين

لعلى ومن كان منهم من يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً وظنه أن ما هو عليه هو دين السلام هؤلاء أهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً ، وعامة هؤلاء من يتبع ماتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أن من المنافقين والكافر من يفعل ذلك .

ولهذا قال طائفة من المفسرين كالربيع بن أنس هم النصارى كنصارى نجران وقالت طائفة كالكلبي هم اليهود وقالت طائفة كابن جريج هم المنافقون وقالت طائفة كالحسن هم الخوارج وقالت طائفة كقتادة هم الخوارج والشيعة وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية (فاما الذين في قلوبهم زيف) يقول إن لم يكونوا الحزورية والسبانية فلا أدرى من هم ، والسبانية نسبة إلى عبد الله ابن سبارأس الرافضة .

### (فصل)

والمعنى الصحيح الذي هو نفي المثل والشريك والذن قد دل عليه قوله سبحانه أنه أحد قوله ( ولم يكن له كفوا أحد ) وقوله ( هل تعلم له سبيلاً ) وأمثال ذلك فالمعنى الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة والعقل يدل على ذلك وقوله القائل : الأحد أو الصمد - أو غير ذلك هو الذي لا ينقسم ولا يتفرق أو ليس بمركب ونحو ذلك هذه العبارات إذا عني بها أنه لا يقبل التفرق والافتراض فهذا حق وأما إن عني أنه لا يشار إليه بحال أو من جنس ما يعنون بالجوهر الفرد أنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء فهذا عند أكثر العقلاة يمتنع وجوده وإنما يقدر في الذهن تقديرًا وقد علمنا أن العرب حيث أطلقوا لفظ الواحد والأحد نفيا وإثباتا لم ترد هذا المعنى فقوله تعالى : ( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ) لم يرد بهذا المعنى الذي فسره وبه الواحد الأحد .

وكذلك قوله ( وإن كانت واحدة فلها النصف ) وكذلك قوله ( ولم يكن له كفراً أحد ) فإن المعنى لم يكن له أحد من الآحاد كفراً له فإن كان

الواحد عبارة عما لا يتميز منه شيء عن شيء ولا يشار إلى شيء منه دون شيء فليس في الموجودات ما هو أحد إلا ما يدعونه من الجوهر الفرد ومن رب العالمين وحيث لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات أن يكون كفواً للرب لأنَّه لم يدخل في مسمى أحد.

وقد بسطنا الكلام على هذا بسراً كثيراً في المباحث المقلية والسمعية التي يذكرها نفأة الصفات من الجهمية وأتباعهم في كتابنا المسمى بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ولذا لما احتجت الجهمية على السلف كإمام أحمد وغيره على نفي الصفات باسم الواحد قال أَحْمَدُ قَالُوا لَا تَكُونُوا مُوْحِدِينَ أَبْدَأْ حَتَّى نَقُولُوا قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ فَلَمَّا نَحْنُ نَقُولُ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ وَلَكِنْ إِذَا قَلْنَا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزِلْ بِصَفَاتِهِ كَلَّا أَلِيسَ إِنَّمَا نَصَفُ إِلَهًا وَاحِدًا وَضَرَبَنَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلًا فَقَلْنَا أَخْبَرُونَا عَنْ هَذِهِ النِّتْلَةِ أَلِيسَ لَهَا جَنْدُعٌ وَكَرْبَلَى وَسَعْفٌ وَخَوْصٌ وَجَارٌ وَاسْمُهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَسَمِيتَ نَخْلَةً بِجَمِيعِ صَفَاتِهِ فَكَذَلِكَ اللَّهُ وَلِهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ صَفَاتِهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا نَقُولُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلَا يَعْلَمُ حَتَّى خَلَقَ لَهُ عَلْمًا وَلَكِنْ نَقُولُ لَمْ يَزِلْ عَالَمًا قَادِرًا مَالِكًا لِأَمْمَى وَلَا كَيْفَ وَمَا يَبْيَنُ هَذَا أَنْ سَبَبَ تَنْزُولَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّذِي ذَكَرُهُ الْمُفْسِرُونَ يَدْلِلُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا ذَكَرُوا أَسْبَابًا :

أَحَدُهَا : مَا نَقَدَمْ عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا الرَّسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ لَنَا رَبُّكَ فَنَزَّلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ .

وَالثَّانِي : أَنَّ عَامِرَ بْنَ الْطَّفِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَامٌ تَدْعُونَا إِلَيْهِ يَأْمُدُ ؟ قَالَ إِلَيْهِ اللَّهُ قَالَ فَصَفَهُ لِي أَمْنٌ ذَهَبٌ هُوَ أَمْ مِنْ فَضْلَةِ أَمْ مِنْ حَدِيدٍ فَنَزَّلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي ظَبِيَّانَ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْهُ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودَ قَالُوا مِنْ أَيِّ جَنْسٍ هُوَ وَمِنْ وَرَثَ

الدنيا ولمن يورثها فنزلت هذه السورة فالهفتادة والضحاك قال الضحاك وفادة  
ومقاتل : جاء من أحبّار اليهود إلى النبي صلّى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف  
لنا ربّك لعلنا نؤمن بك فإنّ الله أنزل نعمته في التوراة فأخبرنا به من أى شيء  
هو ومن أى جنس هو أمن ذهب أم من نحاس هو أم من صفر أم من حديد  
أم من فضة وهل يأكل ويشرب وينورث الدنيا ولمن يورثها فأنزل الله هذه  
السورة وهي نسبة الله خاصة .

والرابع : ماروى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على  
النبي صلّى الله عليه وسلم بسبعة أساقفة من بنى الحمرث بن كعب منهم السيد  
والعاقب فقالوا للنبي صلّى الله عليه وسلم : صف لما بك من أى شيء هو ؟ قال  
النبي صلّى الله عليه وسلم : إنّ ربّي ليس من شيء وهو باطن من الأشياء فأنزل  
الله تعالى (قل هو الله أحد) فهموا له سألاه سألاه هل هو من جنس من أجناس  
المخلوقات وهل هو من مادة في بين الله تعالى أنه أحد ليس من جنس شيء من  
المخلوقات وأنه صمد من مادة بل هو صمد لم يلد ولم يولد وإذا نقى عنه أن يكون  
مولوداً من مادة الوالد فلأنّ ينقى عنه أن يكون من سائر الموارد أولى وأحرى  
فإن المولود من نظير مادته أكمل من مادة مالحق من مادة أخرى كما خلق آدم  
من الطين فالمادة التي خلق منها أولاده أفضل من المادة التي خلق منها هو وهذه  
كان خلقه أعجب ، فإذا نزعه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلية أعظم  
تنزيهاً وهذا كما أنه إذا كان منها عن أن يكون أحد كفوا له لأنّ يكون  
منها عن أن يكون أحد أفضل منه أولى وأحرى .

وهذا مما يبين أن هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتحميد  
على النفي والإثبات ولهذا كانت تعديل تلك القرآن فالصدمة ثبت الكمال  
المنافي للنفائص والأحادية ثبت الأفراد بذلك ، وكذلك إذا نزعه نفسه عن  
أن يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي أشرف الموارد فلأنّ ينزعه نفسه عن أن  
يخرج منه مادة غير الولد بالطريق الأولى والأخرى وإذا نزعه نفسه عن أن

يخرج منه مواد للخلوقات فلأن ينزعه عن أن يخرج منه فضلات لانصالح  
أن تكون مادة بطريق الأولى والأخرى والإنسان يخرج منه مادة الولد  
ويخرج منه مادة غير الولد كأن يخلق من عرقه ورطوبته القمل والدود وغير  
ذلك ، ويخرج منه المخاط والبصاق وغير ذلك .

وقد نزعه الله أهل الجنة عن أن يخرج منهم شيء من ذلك وأخبر الرسول  
صلى الله عليه وسلم أنهم لا يرون ولا يتغوطون ولا يتصقون ولا يتمخطون ،  
 وأنه يخرج منهم مثل رشح المسك وأنهم يجتمعون بذكر لا يخمني وشموة  
لا تقطع ولا مني وإذا اشتئى أحدم الولد كان حمله ووضمه في زمن يسير  
فقد تضمن تزييه نفسه عن أن يكون له ولد يخرج منه شيء من الأشياء كما  
يخرج من غيره من المخلوقات وهذا أيضا من تمام معنى الصمد كما سبق في تفسيره  
أنه الذي لا يخرج منه شيء وكذلك تزييه نفسه عن أن يولد فلا يكون من مثله  
تزييه له أن يكون من سائر المواد بطريق الأولى والأخرى وقد تقدم في  
حديث أبي بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا سموم وليس شيء بموت  
إلا يورث ، والله تعالى لا يموت ولا يورث وهذا رد لقول اليهود من ورث  
الدنيا ولمن يورثها .

وكذلك ما نقل من سؤال النصارى صف لذا ربك من أي شيء هو فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم : إن رب ليس من شيء وهو باطن من الأشياء ،  
وكذلك سؤال المشركين واليهود أمن فضة هو أم من ذهب هو أم من حديد ؟  
وذلك لأن هؤلاء عباد الآلهة التي يعبدونها من دون الله يسكون لها مواد  
صارت منها عباد الآوثان تكون أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وغير  
ذلك وعباد البشر سواء كان البشر لم يأمرهم بعبادتهم أو أمرهم بعبادتهم  
كالذين يعبدون المسيح وعزيز أو كفوم فرعون الذين قال لهم أنا ربكم الأعلى  
وما عملت لكم من إله غيري وقال لموسى لئن اخذت إلهًا غيري لأجعلنك  
من المسجونين .

وَكَالذِّي أَنْهَا اللَّهُ نَصِيبًا مِّنَ الْمَلَكِ الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّنِي يَحْيِي وَيَمْتَدِّ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأَمْتَدِّ، وَكَالرَّجُلِ الَّذِي يَدْعُ إِلَهِي وَمَانَ  
خَلْقَ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ فَتَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ فَتَنَّةِ الدِّجَالِ، وَكَالذِّينَ قَالُوا (لَا تَذَرُنَّ  
آهْتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثُ وَلَا يَعُوقُ وَنَسْرًا) وَقَدْ قَالَ غَيْرُ  
وَاحِدٍ مِّنَ السَّلْفِ إِنَّ هَذِهِ أَمْهَانَ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا فِيهِمْ فَلِمَا مَاتُوا عَكَفُوا  
عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَرُوا تَمَاثِيلَهُمْ فَعَبَدُوهُمْ وَذَلِكَ أُولَئِكَ مَنْ أَعْبَدُوا الْأَصْنَامَ وَأَنَّ هَذِهِ  
الْأَصْنَامَ صَارَتْ إِلَى الْعَرَبِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ صَارَتِ الْأَوْثَانُ  
الَّتِي فِي قَوْمٍ نُوحَ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ، أَمَّا وَدُفَّكَانُتُ لَكَبُ بِدُومَةِ الْجَنَدُلِ وَأَمَّا  
سَوَاعُ فَكَانَتْ لَهُذِيلُ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لَرَادُمُ لَبِنِي غَطِيفِ الْجَرْفِ عِنْدَ  
سَبَا وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمَدَانُ وَأَمَّا نَسْرُ فَكَانَتْ لَهُيرُ لَآلِ ذِي السَّلَاعِ  
أَمْهَانَ رِجَالَ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمٍ نُوحَ فَلِمَا هَلَكُوكُوا أُوحِيَ الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنَّ  
أَنْصَبُوا إِلَى بَجَالِسِمِ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسُوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تَعْبُدْ  
هُنَّ إِذَا هَلَكُوكُوا أُولَئِكَ وَنَسْخَ الْعِلْمِ عَبَدُتْ، وَنُوحُ أَقَامَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ  
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعْثَةَ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ  
كَمَا نَبَّتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيفَةِ وَمُحَمَّدُ خَاتَمُ الرَّسُولِ وَكُلُّ الْمَرْسُلِينَ بَعَثَ إِلَى مُشَرِّكِينَ  
يَعْبُدُونَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الَّتِي صَوَرُتْ عَلَى صُورَةِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْبَشَرِ وَالْمَقْصُودُ  
بِعِبَادَتِهَا عِبَادَةُ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ .

وَكَذَلِكَ الْمُشَرِّكِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنْ مُبْتَدِعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَضَلَالُهُمْ  
هُذَا غَايَةُ شَرِّكُومْ فَإِنَّ النَّصَارَى يَصُورُونَ فِي الْكَنَائِسِ صُورَ مِنْ يَعْظُمُونَهُ  
مِنَ الْإِنْسَانِ غَيْرِ عِيسَى وَأَمْهَمُهُ مِثْلُ مَارِيَ جَرْجَسِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقَدَادِيسِ وَيَعْبُدُونَ  
هَذِهِ الْصُّورَ وَيَسْأَلُونَهَا وَيَدْعُونَهَا وَيَقْرَبُونَ لَهَا الْقَرَابَيْنَ وَيَنْدَرُونَ لَهَا النَّدَورَ  
وَيَقُولُونَ هَذِهِ تَذَكِّرَنَا بِأُولَئِكَ الصَّالِحِينَ وَالشَّيَاطِينَ تَفْنِيْلُهُمْ كَمَا كَانَتْ تَضَلُّ  
الْمُشَرِّكِينَ تَارَةً بَأْنَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي يَدْعُونَ وَيَبْعَدُهُ

لِيَظْنَ دَاعِيهُ أَنَّهُ قَدْ أَتَى وَيُظَنُ أَنَّ اللَّهَ صُورَةً مُلْكًا عَلَى صُورَتِهِ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنْ  
مَثْلًا يَدْعُونَ فِي الْأَسْرِ وَغَيْرِهِ مَارِي جَرْجَسْ أَوْ غَيْرِهِ فَيَرَاهُ قَدْ أَتَاهُ فِي الْهُوَاءِ  
وَكَذَلِكَ غَيْرِهِ وَقَدْ سَأَلُوا بِعَضَ بَطَارِقَتِهِمْ عَنْ هَذَا كَيْفَ يَوْجِدُ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنْ  
فَقَالُوا هَذِهِ مَلَائِكَةٌ يَخْلُقُهُمُ اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ تَغْيِيْثًا مِنْ يَدِهِمْ وَإِنَّا نَلَكُ شَيَاطِينَ  
أَضْلَلَتُ الْمُشْرِكِينَ .

وَهَكَذَا يَحْسَبُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْأَضْلَالِ وَالشَّرِكِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى هَذِهِ  
الْأُمَّةِ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَدْعُو وَيَسْتَغْيِثُ بِشَيْخِهِ الَّذِي يَعْظِمُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ أَوْ يَسْتَغْيِثُ  
بِهِ عَنْدَ قَبْرِهِ وَيَسْأَلُهُ وَقَدْ يَنْذِرُهُ نَذْرًا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيَرَى ذَلِكَ الشَّخْصُ قَدْ أَمَّهُ  
فِي الْهُوَاءِ وَدَفَعَ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ أَوْ كَلَهُ بَعْضَ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَيَظْنُهُ  
الشَّيْخُ نَفْسَهُ أَتَى إِنْ كَانَ حَيًا حَتَّى إِنْ أَعْرَفَ مِنْ هُؤُلَاءِ جَمَاعَاتِ يَأْتُونَ إِلَى  
الشَّيْخِ نَفْسَهُ الَّذِي اسْتَغْاثُوا بِهِ وَقَدْ رَأَوْهُ أَنَّهُ فِي الْهُوَاءِ فَبَذَّكُرُونَ ذَلِكَ لَهُ  
هُؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ وَهُؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ .

فَتَارَةً يَكُونُ الشَّيْخُ نَفْسَهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ كَمْ يَحْبِبُ الرِّئَاسَةَ سَكَتَ  
وَأَوْمَمَ أَنَّهُ نَفْسَهُ أَنَّهُمْ وَأَغَاثُهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِ صَدْقٌ مَعْ جَهْلٍ وَضَلَالٍ قَالَ : هَذَا  
مَلَكُ صُورَهُ اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ وَجَعَلَ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَجَعَلَهُ عَدْدَهُ  
لِمَنْ يَسْتَغْيِثُ بِالصَّالِحِينَ وَمَتَّخِذَهُمْ أَرْبَابًا وَأَنْهُمْ إِذَا اسْتَغْاثُوا بِهِمْ بَعْثَ اللَّهِ  
مَلَائِكَةٌ عَلَى صُورِهِمْ تَغْيِيْثًا لِمَسْتَغْيِثِهِمْ وَلَهُذَا عَرَفَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشَّيوخِ  
الْأَكَابِرِ الَّذِينَ فِيهِمْ صَدْقٌ وَزَهْدٌ وَعِبَادٌ لَمَا ظَنُوا هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ صَارَ  
أَحَدُهُمْ يَوْصِي مَرِيدِيهِ يَقُولُ إِذَا كَانَتْ لَأَحَدَكُمْ حَاجَةٌ فَلِيَسْتَغْثِبُنِي وَيَسْتَنْجِدُنِي  
وَيَسْتَوْصِي وَيَقُولُ : أَنَا أَفْعَلُ بَعْدَ مَوْقِي مَا كَنْتُ أَفْعَلُ فِي حَيَاةِي وَهُوَ لَا يَعْرِفُ  
أَنَّهُمْ كَمْ يَحْبِبُونَهُمْ تَصْوِيرَتِهِ لَتَضْلِيلِهِ وَتَضْلِيلِ أَتَبَاعِهِ فَتَحْسِنُ لَهُمُ الْإِشْرَاكُ  
بِاللَّهِ وَدُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ وَالْأَسْتَغْاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ وَأَنَّهَا قَدْ تَلَقَّى فِي قَلْبِهِ إِنَّا نَفْعَلُ بَعْدَ  
مَوْتِكَ بِأَحْصَابِكَ مَا كَنَا نَفْعَلُ بِهِمْ فِي حَيَاكَ فَيَظْنَ هَذَا مِنْ خَطَابٍ لِلَّهِ أَنَّى  
لِلَّهِ فِي أَمْرِ أَحْصَابِكَ بِذَلِكَ .

وأعرف من هؤلاء من كان لهم شياطين تخدمه في حياته بأنواع الخدم مثل خطاب أصحابه المستغفرين به ولعائتهم وغير ذلك فلما مات صاروا يأتون أحدهم في صورة الشيخ ويشعرون أنه لم يمت ويرسلون إلى أصحابه رسائل بخطاب وقد كان يجتمع بي بعض أبناء هذا الشيخ وكان فيه زهد وعبادة وكان يحبني ويحب هذا الشيخ ويظن أن هذا من الكرامات وأن الشيخ لم يمت وذكر إلى الكلام الذي أرسله إليه بعد موته فقرأه فإذا هو كلام الشياطين بعينه .

وقد ذكر لي غير واحد من أعزفهم أنهم استغاثوا بي فرأوت في الهواء قد أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد مثل من أحاط بهم النصارى الأرمن ليأخذوه وأخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصرين لواطلعوا على مامعه لقتلوه ونحو ذلك فذكرت لهم أنى مادريت بما جرى أصلاً وحلفت لهم حتى لا يظنوها أنى كنت مت ذلك كا تکتم الكرامات وأما قد علمت أن الذى فعلوه ليس بمشروع بل هو شرك وبدعة ثم تبين لي فيما بعد وبينت لهم أن هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به .

وحكى لي غير واحد من أصحاب الشيخ أنه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك وحكى خلق كثير منهم استغاثوا بأحياء وأموات فرأوا مثل ذلك واستفاض هذا حتى عرف أن هذا من الشياطين تغوى الإنسان بحسب الإمكان فإن كان من لا يعرف دين الإسلام أو قعنه في الشرك الظاهر والكفر الحض فأمرته أن لا يذكر الله وأن يسجد للشيطان ويندبح له وأمرته يأكل الميّة والمدم وفعل الفواحش وهذا يجري كثيراً في بلاد الكفر الحض وبلاد فيها كفر وإسلام ضعيف ويجري في بعض مدنان الإسلام في الموضع الذي يضعف إيمان أصحابها حتى قد جرى ذلك في مصر والشام على أنواع بطول وصفها وهو في أرض الشرق قبل ظهور الإسلام في الترار كثير جداً وكلما ظهر فيهم الإسلام وعرفوا حقيقته قلت آثار الشياطين فيهم وإن كان مسلماً بختار الفواحش والظلم أعادته على الظلم والفواحش وهذا كثير جداً أكثر من الذي

قبله في البلاد التي في أهلها إسلام وجاهلية وبر وغور وإن كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولكنه عنده قوله معرفة بحقيقة ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد عرف من حيث الجملة أن لأولئك الله كرامات وهو لا يعرف كمال الولاية وأنها الإيمان والتقوى واتباع الرسول باطننا وظاهرنا أو يعرف ذلك بخلاف ولا يعرف من حفائق الإيمان الباطن وشرائع الإسلام الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحائية وبين النفسانية والشيطانية كما أن الرؤيا ثلاثة أقسام رؤيا من الله ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فغيره في النوم ورؤيا من الشيطان فكذلك الأحوال فإذا كان عنده قوله معرفة بحقيقة دين محمد صلى الله عليه وسلم أمرته الشياطين بأمر لا ينكره فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون به بغرفات ثم يبعيدونه إلى بلده وهو لا يلبس ثيابه لم يحرم حين حاذى المواتيت ولا كشف رأسه ولا تجرد عما يتجرد عنه المحرم ولا يدعونه بعد الوقوف يطوف طواف الإفاضة ويرمى الحمار ويكلم حجه بل يظن أن مجرد الوقوف كما فعل به عبادة وهذا من قوله عليه بدين الإسلام ولو علم دين الإسلام لعلم أن هذا الذي فعله ليس عبادة لله وإنما من استحل هذا فهو مرتد يجب قتله .

بل إنفق المسلمين على أنه يجب الإحرام عند الميقات ولا يجوز للإنسان المحرم اللبس في الإحرام إلا من عنز ، وأنه لا يكتفى بالوقوف بل لابد من طواف الإفاضة باتفاق المسلمين بل وعليه أن يفيض إلى المشعر الحرام ويرمى بحرة العقبة وهذا ما توزع فيه هل هو ركن أو واجب يجبره دم ، وعليه أيضا رمي الحمار أيام مني باتفاق المسلمين وقد تحمل أحدهم الجن فلتزوره بيت المقدس وغيره وتغيير به في الهواء وتنشى به في الماء وقد تربى أنه قد ذهب به إلى مدينة الأولياء وربما أرته أنه يأكل من ثمار الجنة ويشرب من أنهارها .

وهذا كلام وأمثاله مما أعرفه قد وقع لمن أعرفه لكن هذا باب طويل ليس هذا موضع بسطه وإنما المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين وعبدوا تماثيلهم ومم المقصودون ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب إما الشمس وإما القمر وإما غيرهما وصورت الأصنام طلائمه لتلك الكواكب، وشرك قوام إبراهيم والله أعلم كان من هذا أو كان بعضه من هذا ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة أو الجن وضعت الأصنام لاجلهم وإلا فنفس الأصنام الجhadية لم تعيذ لذاتها بل لأسباب اقتضت ذلك وشرك العرب كان أعظمها الأول وكان فيه من الجميع فإن عمرو بن لحي هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وكان قد أتى الشام ورأى أم بالبلقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة ولاداً البيت قبل قريش وكان هو سيد خزاعة.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأيت عمرو بن لحي بن قعنة بن خنديف يجحر قصبه في النار أى أمعاءه، وهو أول من غير دين إبراهيم وسيب السوانب وبحر البحيرة وكذلك والله أعلم شرك قوم نوح وإن كان مبدئه من عبادة الصالحين فالشيطان يجحر الناس من هذا إلى غيره لكن هذا أقرب إلى الناس لأنهم يعرفون الرجل الصالح ويروكته ودعاهه فينكرون على قبره ويقصدون ذلك منه فتارة يسألونه وتارة يسألون الله به ويدعون عند قبره ظانين أن الصلاة والدعاة عند قبره أفضل منه في المساجد والبيوت».

ولما كان هذا مبدأ الشرك سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب كما سد باب الشرك بالكواكب، ففي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد لا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

وفي الصحيحين عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر له كنيسة بأرض الحبشة

وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال ، إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح  
بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله  
يُوم القيمة ، وفي الصحيحين عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم في مرض موته  
« لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يخدر مافقلاوا » ، قالت  
عائشة ولو لا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتتخذ مسجداً .

وفي مسند أحمد وصحيف أبي حاتم عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « إن من  
شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد »  
وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا قبرى  
عبداً وصلوا على حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني » .

وفي موطأ مالك عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « الاهم لا تجعل قبرى وثنا  
يعيد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وفي صحيح مسلم  
عن أبي الهياج الأسودي قال قال لي على بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك  
على ما بعثتني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا أدع عنيراً مشمراً فلما سمعته  
ولا تمناً إلا طمسه فأمره بمحو المثنىين الصورة المثلثة على صورة الميت  
والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فإن الشرك يحصل بهذا وبهذا .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قوماً  
ينتابون مكاناً للصلوة فقال ما هذا فقالوا هذا مكان صل فيه رسول الله صل الله  
عليه وسلم فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد  
من أدركته الصلوة فليصل ولَا فليمض ، وبلغه أن قوماً يذهبون إلى الشجرة  
التي بايع النبي صل الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها وأرسل إليه  
أبو موسى يذكر له أنه ظهر بقتصر قبر دانيا والعنده مصحف فيه أخبار ما ميميكون  
وأنهم إذا أجدبوا اكتشفوا عن القبر فطروا فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر  
بالنهار ثلاثة عشر قبراً ويدفنه بالليل في واحد منها لثلا يعرفه الناس لثلا  
يفتقرا به ، فاتخذ القبور مساجد لما حرمه الله ورسوله وإن لم يبن عليها  
مسجد لكان بناء المساجد عليها أعظم .

كذلك قال العلامة يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد  
بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكتبه سوى القبر حتى  
لاتظهر صورته فإن الشرك إنما يحصل إذا ظهرت صورته وهذا كان مسجد  
النبي صلى الله عليه وسلم أولاً مقبرة للمشركين وفيها نخل وخرب فأمر  
بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع والخرب فسوت خرج عن أن يكون مقبرة  
لنصارى مسجداً .

ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها حرم ما لم يكن شرعي  
من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يكن يعرف فقط مسجد  
على قبر وكان الخليل عليه السلام في المغاربة التي دفن فيها وهي مسوددة  
لا أحد يدخل إليها ولا تشد الصحابة الرحال لا إلى وإلى غيره من المغارب  
لأن في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد  
الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا .

فكان يأتي من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه ثم يرجعون  
لا يأتون مغاربة الخليل ولا غيرها وكانت مغاربة الخليل مسوددة حتى استولى  
النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة ففتحوا الباب وجعلوا ذلك  
المكان كنيسة ثم لما فتح المسلمون البلاد اتخذ بعض الناس مسجداً وأهل  
العلم ينكرون ذلك والذى يرويه بعضهم في حديث الإسراء أنه قيل للنبي  
صلى الله عليه وسلم هذه طيبة أنزل فصل فنزل فصلى هذا مكاناً أبيك أنزل فصلى  
كذب موضوع لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم وتلك الليلة إلا في المسجد  
الأقصى خاصة كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه .

ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم إلا الله وقد هم  
عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وبعد فتح الشام لما صالح النصارى  
على الجزية شرط عليهم الشروط المعروفة وقد هم مرة ثالثة حتى وصل

إلى سرغ ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فلم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام لا بيت المقدس ولا بدمشق ولا غير ذلك مثل الآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون في غربية الربوة المضافة إلى عبسى عليه السلام وفي شرقية المقام المضاف إلى الخليل عليه السلام وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضاف إلى هايل لما قتله قايل .

فهذه للبقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ولا يزورونها ولا يرجون منها بركة فإنها محل الشرك ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً وقد وآم غير واحد على صورة الإنسان ويقولون لهم رجال الغيب يظلون أنهم رجال من الإنسان غائبين عن الأ بصار وإنما جن الجن يسمون رجالاً كما قال الله تعالى : ( وأنه كان رجال من الإنسان يعوذن برجال من الجن فإذا دوهم رهقاً ) والإنس سموا إنساً لأنهم يتوسون أي يرون كما قال ( إن آنس ناراً ) أي رأيتها ، والجن سموا جنأً لا جتناهم يختتون عن الأ بصار أي يستترون كما قال تعالى : ( فلما جن عليه الليل ) أي استولى عليه فغطاه وستره ، وليس أحد من الإنسان يستر دانماً عن أ بصار الإنسان وإنما يقع هذا البعض الإنسان في بعض الأحوال نارة على وجه الكرامة له وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ، ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن الصحابة والتابعين لهم ياحسان لم يبنوا قط على قبر فى ولا رجل صالح مسجداً ولا جعلوه مشهدأً ومزاراً ولا على شيء من آثار الأنبياء مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل شيئاً من ذلك لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الأنبياء والصالحين ولم يكن جهورهم يقصدون الصلاة في مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقاً بل كان أنتمهم كعمر بن الخطاب وغيره بنى عن قصد الصلاة

فِي مَكَانٍ صَلَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّفَاقاً لَا تَصْدَأُ .

وَلَمَّا نُقِلَّ عَنْ أَبْنَى عَمْرٍ خَاصَّةً أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى أَنْ يَسِيرُ حِيثُ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَنْزَلُ حِيثُ نَزَلَ وَيَصْلِي حِيثُ صَلَى وَإِنَّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْصُدْ تِلْكَ الْبَقْعَةَ لِذَلِكَ الْفَعْلُ بَلْ حَصَلَ اتَّفَاقًا وَكَانَ أَبْنَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلًا صَالِحًا شَدِيدَ الْإِتَّابَاعِ فَرَأَى هَذَا مِنَ الْإِتَّابَاعِ وَأَمَّا أَبُوهُ وَسَانِرُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْخَلَافَاءِ الرَّاشِدِينَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَسَانِرَ الْعَشَرَةِ وَغَيْرَهُمْ مِثْلُ أَبْنَى مُسْعُودَ وَمَعاذَ بْنَ جَبَلَ وَأَبِي بْنِ كَعْبٍ فَلَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَ مَا فَعَلَ أَبْنَى عَمْرٍ وَقَالَ الْجَمُورُ أَصَحُّ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَتَابِعَةَ أَنْ يَفْعُلَ مِثْلُ مَا فَعَلَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي فَعَلَ لِأَجْلِ أَنَّهُ فَعَلَ فَإِذَا قَصَدَ الصَّلَاةَ وَالْعِبَادَةَ فِي مَكَانٍ مُعِينٍ كَانَ قَصْدُ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَتَابِعَةً لَهُ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَقْصُدْ تِلْكَ الْبَقْعَةَ فَلَمْ قَصْدُهَا يَكُونْ خَالِفَةً لِمَتَابِعَةِ لَهُ مَثَلُ الْأُولَى لِمَا قَصَدَ الْوَقْفَ وَالذِّكْرَ وَالدُّعَاءَ بِعْرَفَةَ وَمَزْدَلَفَةَ وَبَيْنَ الْجَمْرَتَيْنِ كَانَ قَصْدُ تِلْكَ الْبَقْعَةِ مَتَابِعَةً لَهُ وَكَذَلِكَ لِمَا طَافَ وَصَلَى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ مَتَابِعَةً لَهُ وَكَذَلِكَ لِمَا صَعَدَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِلذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ كَانَ قَصْدُ ذَلِكَ مَتَابِعَةً لَهُ .

وَقَدْ كَانَ سَلْطَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ الْأَسْطَوَانَةِ قَالَ لِأَنَّى رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَهَا فَلَمَّا رَأَاهُ يَقْصُدْ تِلْكَ الْبَقْعَةَ لِأَجْلِ الصَّلَاةِ كَانَ ذَلِكَ القَصْدُ لِلصَّلَاةِ مَتَابِعَةً كَذَلِكَ لِمَا أَرَادَ عَتَبَانُ وَمَالِكُ أَنْ يَبْيَنَ مَسْجِدًا لِمَا عَنِيَ فَأَرْسَلَ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي تَصْلِي فِي مَنْزِلِي فَاتَّخِذْهُ مَصْلِي وَفِي رِوَايَةِ فَقَالَ تَعَالَى نَفْطَلِي مَسْجِدًا فَأَنِّي النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ شَاءَ مِنْ أَحْجَابِهِ وَفِي رِوَايَةِ فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُوبَكْرَ الصَّدِيقِ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذْنَتْ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى

دخل البيت فقال أين تحب أن أصلى من بيتك فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا ورآمه فصل ركعتين ثم سلم الحديث .

فإنه قصد أن يبني مسجداً وأحب أن يكون أول من يصلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه المقصود كان بناء المسجد وأراد أن يصلى النبي صلى الله عليه وسلم في المكان الذي يبنيه فكانت الصلاة مقصودة لاجل المسجد لم يكن بناء المسجد مقصوداً لاجل كونه صلى فيه اتفاقاً ، وهذا المكان مكان قصد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه ليكون مسجداً فصار قصد الصلاة فيه متابعة له بخلاف ما اتفق أنه صلى فيه بغير قصد وكذلك قصد يوم الإثنين والخميس بالصوم متابعة لأنّه قصد صوم هذين اليومين .

وقال في الحديث الصحيح أنه تفتح أبواب الجنة في كل خميس واثنين فيغفر ل بكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كان يبنيه وبين أخيه شخصاً فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا ، وكذلك قصد إتيان مسجد قباء متابعة له فإنه قد ثبت عنه في الصحيحين أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً وذلك أن الله أنزل عليه ( لمسجد أنس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ) وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف ، وقد ثبت في الصحيح أنه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا يريد أنه أكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ومسجد قباء أيضاً أنس على التقوى وبسيط الآية ولهذا قال ( فيه رجال يحبون أن يتظروا والله يحب المظيرين ) .

وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ولم تكن العرب تفعل ذلك فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يظن ظان أن ذاك هو الذي أسس على التقوى دون مسجده فقد ذكر أن مسجده أحق بـأن يكون هو المؤسس على التقوى فقوله لمسجد

أسس على التقوى يتناول مسجده وعسجد قباء ويتناول كل مسجد أسس على التقوى بخلاف مساجد الغرار .

ولهذا كان السلف يذكر هون الصلة فيما يشبه ذلك ويرون العتيق أفضل من الجديد لأن العتيق أبعد عن أن يكون بني ضراراً من الجديد الذي يختلف ذلك فيه وعقد المسجد بما يحمد به وهذا قال ( ثم محلها إلى البيت العتيق ) وقال ( إن أول بيت وضع للناس للذى يسكة ) فإن قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه أيضاً وذلك يقتضى زيادة فضله وهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها تقدشى من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد الذي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مسجد قباء لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد مسجداً بعيداً يذهب إليه هو .

وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لـ كل قبيلة من الأنصار مسجد لكن ليس في قصده دون أمثاله فضيلة بخلاف مسجد قباء فإنه أول مسجد بني بالمدينة على الإطلاق وقد أصده الرسول بالذهب إليه وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من توضأ في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلوة فيه كأن كمرة ، ومع هذا فلا يسافر إليه لكن إذا كان الإنسان بالمدينة أناه ولا يقصد إنشاء السفر إليه بل يقصد إنشاء السفر إلى المساجد الثلاثة لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » .

ولهذا لو نذر السفر إلى مسجد قباء لم يوف بذره عند الأئمة الأربع وغيرهم بخلاف المسجد الحرام فإنه يجب الوفاء بالنذر إليه باتفاقهم، وكذلك مسجد المدينة وبيت المقدس في أصح قولهم وهو مذهب مالك وأحمد والشافعى في أحد قوله وفي الآخر وهو قول أبي حنيفة ليس عليه ذلك لكنه جائز ومستحب لأن من أصله أنه لا يجب بالنذر إلا ما كان واجباً بالشرع والأكثرون يقولون يجب بالنذر كل ما كان طاعة لله كما ثبت في صحيح البخارى عن عائشة

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه».

ويستحب زيارة قبور البقىع وشهداء أحد للدعا لهم والاستغفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصد ذلك مع أن هذا مشروع لجميع موقى المسلمين كما يستحب السلام عليهم والدعاء لهم والاستغفار وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة وسواء في ذلك قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وكان عبد الله بن عمر إذا دخل المسجد يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبو بكر السلام عليك يا أبوه ثم ينصرف .

وأما زيارة قبور الأنبياء والصالحين لأجل طلب الحاجات منهم أو دعائهم والإقسام بهم على آله أو ظن أن الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشرك وببدعة باتفاق أئمة المسلمين ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ولا كانوا إذا سلما على النبي صلى الله عليه وسلم يقفون يدعون لأنفسهم ، ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء لأنها من البذع التي لم يفعلها السلف .

وأتفق العلماء الأربعـة وغيرـهم من السـلف عـلى أـنه إـذا أـرادـ أن يـدعـو يـستـقبلـ الـقـبـلـةـ وـلاـ يـسـتـقـبـلـ قـبـرـ قالـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـمـاـ إـذـاـ سـلـمـ عـلـيـهـ فـأـكـثـرـهـ قـالـواـ يـسـتـقـبـلـ الـقـبـرـ مـالـكـ وـالـشـافـيـ وـأـحـدـ ،ـ وـقـالـ أـبـوـ حـنـيفـةـ :ـ بـلـ يـسـتـقـبـلـ الـقـبـلـةـ أـيـضـاـ وـيـكـونـ الـقـبـرـ عـنـ يـسـارـهـ وـقـيلـ بـلـ يـسـتـدـبـرـ الـقـبـلـةـ .ـ

وما يـبـينـ هـذـاـ الأـصـلـ أـنـ وـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ هـاجـرـ هوـ وـأـبـوـ بـكـرـ ذـهـبـاـ إـلـىـ الـغـارـ الذـيـ بـجـبـلـ ثـورـ وـلـمـ يـكـنـ عـلـىـ طـرـيقـهـ بـالـمـدـيـنـةـ فـإـنـهـ مـنـ نـاحـيـةـ الـيـنـ وـالـمـدـيـنـةـ مـنـ نـاحـيـةـ الشـامـ وـلـكـنـ اـخـتـبـأـ فـيـهـ ثـلـاثـةـ لـيـنـقـطـعـ خـبـرـهـمـ عـنـ الـشـرـكـيـنـ فـلـاـ يـعـرـفـونـ أـيـنـ ذـهـبـاـ فـإـنـ الـشـرـكـيـنـ كـانـوـ طـالـبـيـنـ لـهـمـ وـقـدـ بـذـلـوـاـ فـيـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ مـاـ دـيـتـهـ لـمـ يـأـتـ بـهـ وـكـانـوـ يـقـصـدـوـنـ مـنـعـ النـبـيـ صـلـىـ

أَنْ عَلَيْهِ وَسَلَمَ أَنْ يَصُلَ إِلَى أَحْبَابِهِ بِالْمَدِينَةِ وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ بِلَمَاعِزِّوْا  
عَنْ قَنْلَهُ أَرَادُوا حِبْسَهُ بِمَكَّهُ فَلَوْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ابْتِدَاءً لَأَدْرِكُوهُ فَأَقَامَ بِالْغَارِ  
إِلَيْهِ لَا يَجِدُ ذَلِكَ فَلَوْ أَرَادَ الْمَسَافِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَارِ ثُمَّ  
يَرْجِعَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَحْجِبًا بِلَمَكْرُوهِهَا وَالْبَنِي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ فِي الْهِجْرَةِ  
سَلَكَ طَرِيقَ السَّاحِلِ وَهِيَ طَوْلَيَّةٌ وَفِيهَا دُورَةٌ وَأَمَا فِي عُمْرِهِ وَحْجَتِهِ فَكَانَ  
إِسْكَانُ الْوَسْطِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى مَكَّةَ فَسَلَكَ فِي الْهِجْرَةِ طَرِيقَ السَّاحِلِ لِأَنَّهَا  
كَانَتْ أَبْعَدَ عَنْ قَصْدِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ الطَّرِيقَ الْوَسْطِيِّ كَانَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ  
فَيَظْنُونَ أَنَّهُ سَلَكَهَا كَمَا كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَوَى بَنِيرَهَا وَهُوَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ وَسَلَمَ لِمَا قَسَمَ عَنَّاهُ حَنِينَ بِالْجَعْرَانَةِ اعْتَمَرَ مِنْهَا وَلِمَا صَدَهُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ  
مَكَّةَ حَلَّ بِالْحَدِيدَيَّةِ وَكَانَ قَدْ أَنْشَأَ الْإِحْرَامَ بِالْعُمْرَةِ مِنْ مِيقَاتِ الْمَدِينَةِ  
ذِي الْحِلْفَةِ .

وَلَا اعْتَمَرَ مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ عُمْرَةَ الْقَضِيَّةِ اعْتَمَرَ مِنْ ذِي الْحِلْفَةِ وَلَمْ يَدْخُلِ  
السَّكَّعَةَ فِي عُمْرَهِ وَلَا حِجْتَهِ وَإِنَّمَا دَخَلَهَا عَامَ الْفَتْحِ وَكَانَ بِهَا صُورٌ مُصَوَّرَةٌ فَلَمْ  
يَدْخُلَهَا حَتَّى بَحِيتَ تِلْكَ الصُّورِ وَصَلَى بِهَا رَكْتَيْنِ وَصَلَى يَوْمَ الْفَتْحِ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ  
وَقَتْ الصَّفْحِيِّ كَارِوْتُ أَمْ هَانِيَّ وَلَكِنْ لَمْ يَقْصُدِ الصَّلَاةَ وَقَتْ "الصَّفْحِيِّ إِلَالِ السَّبْبِ"  
مُثْلَهُ أَنْ يَقْدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَيَدْخُلِ الْمَسْجِدَ فَيُصْلِي فِيهِ رَكْتَيْنِ وَمُثْلَهُ أَنْ يَشْغُلَهُ  
نُومًا أَوْ مَرْضًا عَنْ قِيَامِ اللَّيلِ فَيُصْلِي بِالنَّهَارِ ثَنَتِي عَشَرَةَ رَكْعَةً وَلَكِنْ يَصْلِي بِاللَّيلِ  
لِأَحَدِي عَشَرَةَ رَكْعَةً فَصَلَى ثَنَتِي عَشَرَةَ رَكْعَةً شَفَعاً لِفَوَاتِ وَقَتْ الْوَرِثِ فَإِنَّهُ  
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قَالَ الْمَغْرِبُ وَتَرِ صَلَاةُ النَّهَارِ فَأُوتُرُوا صَلَاةُ اللَّيلِ ، وَقَالَ  
اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيلِ وَتَرَا وَقَالَ صَلَاةُ اللَّيلِ مُثْنَى مُثْنَى إِنْفَادًا خَفْتَهُ  
الصَّبَحُ فَأُوتُرُ بِرَكْعَةٍ .

وَالْمَأْنُورُ عَنِ السَّلْفِ أَنَّهُمْ إِذَا نَامُوا عَنِ الْوَرِثِ كَانُوا يُوتَرُونَ قَبْلَ صَلَاةِ  
الْفَجْرِ وَلَا يُؤْخَرُونَهُ إِلَى مَا بَعْدِ الصَّلَاةِ ، وَفِي الصَّحِيفَتَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهَا أَهْمَا قَالَتْ مَا صَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ سَبْحَةَ الصَّفْحِيِّ قَطْ وَإِنِّي

لأنه سببها وإن كان ليدع العمل وهو يجب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم ، وقد ثبت عنه في الصحيح أنه أوصى بركعتي الصبحي لآبى هريرة ولآبى الدرداء وفيها أحاديث لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بعض العلماء صلاة الضحى .

وقال آخرون : لم يصلها إلا يوم الفتح فعلم أنه صلاتها لأجل الفتح وكانوا يستحبون عند فتح مدينة أن يصل الإمام ثماني ركعات شكرًا لله ويسمونها صلاة الفتح قالوا لأن الاتباع يعتبر فيه القصد والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الصلاة لأجل الوقت ولو قصد ذلك لصلى كل يوم أو غالب الأيام كما كان يصلى ركعتي الفجر كل يوم .

وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين وقبلها ركعتين أو أربعاً وما فاتته الركعتان بعد الظهر فضاهما بعد العصر وهو صلى الله عليه وآله وسلم لما مام هو وأصحابه عن صلاة الفجر في غزوة خير فصلوا بعد طلوع الشمس ركعتين ثم ركعتين لم يقل أحد أن هذه الصلاة في هذا الوقت سنة دائمًا لأنهم إنما صلواها قضاء لكونهم ناموا عن الصلاة وما فاتته العصر في بعض أيام الخندق فصلاتها بعد ماغربت الشمس .

وروى أن الظاهر فاتته أيضاً فصل الظهر ثم العصر ثم المغرب لم يقل أحد أنه يستحب أن يصلى بين العشاءين أحد عشر ركعات لأن ذلك كان قضاء بل ولا نقل عنه أحد أنه خص ما بين العشاءين بصلاة ، وقوله تعالى : (ناشئة الليل) عند أكثر العلماء هو إذا قام الرجل بعد نوم ليس هو أول الليل وهذا هو الصواب لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هكذا كان يصل بالليل والأحاديث بذلك متواترة عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن يفوت بين العشاءين .

وكذلك أكله ما كان يجده من الطعام وليسه الذي يوجد بمدينته طيبة

مخلوقاً فيها وبخوبها إليها من اليدين وغيرها لأن الله هو الذي يسره الله له فأكله التمر وخبز الشعير وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والفتاء ، ولبس ثياب اليدين لأن ذلك هو كان الميسر في بلده من الطعام والثياب لاحخصوص ذلك فلن كان يلد آخر وقتهم البر والذرة وفاكهتهم العنب والرمان ونحو ذلك وثيابهم مما ينسج بغير اليدين لم يكن إذا قصد أن يتکلف من القوت والفاكهه واللباس ما ليس في بلده بل يتعرّض عليهم متبوعاً للرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان ذلك الذي يتکلفه غمراً أو رطباً أو خبز شعير فعلم أنه لا بد في المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار القصد والنية ، فإما الأعمال بالنيات وإنما سُكِّل أمرىء مانوي .

فعلم أن الذي عليه جمهور الصحابة وأكابرهم هو الصحيح ومع هذا فإن عمر رضي الله عنهما لم يكن يقصد أن يصل إلى مكان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد إلى الصلاة في موضع نزوله ومقامه ولا كان أحد من الصحابة يذهب إلى الغار المذكور في القرآن للزيارة والصلاحة فيه وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أقاما به ثلاثة يصلون فيه الصلوات الحسنى ولا كانوا أيضاً يذهبون إلى حراء وهو المكان الذي كان يتبعده فيه قبل التوبة وفيه نزل عليه الوحي أولاً وكان هذا مكان يبعدون فيه قبل الإسلام فإن حراء أعلى جبل كان هناك فلما جاء الإسلام ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة مرات بعد أن أقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ومع هذا فلم يكن هو ولا أصحابه يذهبون إلى حراء .

ولما حج النبي صلى الله عليه وسلم استلم الركنين اليابانيين ولم يستلم الشاميين لأنهما لم يبنيا على قواعد إبراهيم فإن أكثر الحجر من البيت والحجر الأسود استلمه وقبله والباقي استلمه ولم يقبله وصلى بمقام إبراهيم ولم يستلمه ولم يقبله فدل ذلك على أن التمسح بجيتان الكعبة غير الركنين اليابانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الأسود ليس بسنة ودل على أن استلام مقام إبراهيم وتقبيله

ليس بسنة وإذا كان هذا نفس الكعبة ونفس مقام إبراهيم بها فعلوم أن جميع المساجد حرمتها دون الكعبة وأن مقام إبراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الأنبياء دون المقام الذي قال الله فيه : ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) .

فعلم أن سائر المقامات لا تقصد للصلوة فيها كما لا يصح إلى سائر المشاهد ولا يتسمح بها ولا يقبل شيء من مقامات الأنبياء ولا المساجد ولا الصغيرة ولا غيرها ولا يقبل وجه الأرض إلا الحجر الأسود .

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل بمسجد بمكة إلا المسجد الحرام ولم يأت للعبادات إلى المشاعر من وزرفة وعرفة فلهذا كان أمم العلامة على أنه لا يستحب أن يقصد مسجداً بمكة للصلوة غير المسجد الحرام ولا تقصد بقعة لزيارة غير المشاعر التي قصدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان هذا في آثارهم فكيف بالمقابر التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخاذها مساجد وأخبر أنهم شرار الخلق يوم القيمة ودين الإسلام أنه لا تقصد بقعة للصلوة إلا أن تكون مسجداً فقط ولهذا مشاعر الحج وغير المسجد الحرام تقصد للنسك لا للصلوة فلا صلاة بعرفة وإنما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ثم بعد الصلاة ذهب إلى عرفات فوق بها .

وكذلك يذكر الله ويدعى بعرفات وبمزدلفة على قزح وبالصفا والمروة وبين الجمرات وعند الرمي ولا تقصد هذه البقاع للصلوة وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة للصلوة ولا للذكر ولا للدعاء بل يصلى المسلم حيث أدركته الصلاة إلا حيث نهى ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير تخصيص بقعة بذلك وإذا اتتخذ بقعة لذلك كالمشاهد تهى عن ذلك كما تهى عن الصلاة في المقبرة إلا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت من الدعاء له ول المسلمين كما يفعل مثل ذلك في الصلاة على الجنائز فإن زيارة قبر

المؤمن من جنس الصلاة على جنائزه يفعل في هذا من جنس ما يفعل في هذا  
ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا .

وما يشبه هذا أن الأنصار بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة  
بالوادي الذي ورآه جرة العقبة لأنه مكان من شخص قرب من من يسر من  
فيه فإن السبعين الأنصار نواد حجوا مع قومهم المشركين وما زال الناس  
يحجون إلى مكة قبل الإسلام وبعدئ خذلوا مع قومهم إلى من لأجل الحج ثم  
ذهبوا بالليل إلى ذلك المكان لقربه وستره لافضليته فيه ولم يقصدوه افضليته  
شخصه بعينه .

ولهذا لما حج النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه لم يذهبوا إليه ولا زاروه  
وقد بني هناك مسجد وهو محدث وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد  
الحرام فهو محدث ومني نفسها لم يكن بها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم  
مسجد مبني ولكن قال مني مناخ لمن سبق فنزل بها المسلمين وكان يصل  
بالمسلمين بمني وغير مني وكذلك خلفاؤه من بعده واجتماع الحجاج بمني أكثر  
من اجتماعهم بغيرها فإنهم يقيمون بها أربعاً وكان النبي صلى الله عليه وسلم  
وأبو بكر وعمر يصلون بالناس بمني وغير مني كانوا يقتصرن الصلاة بمني  
وعرفة ومن دلفة ويجمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بودلفة  
ويصل بصلاتهم جميع الحجاج من أهل مكة وغير أهل مكة كلهم يقتصرن  
الصلاه بالمشاعر وكلاهم يجتمعون بعرفة ومدلفة .

وقد تنازع العلماء في أهل مكة ونحوهم هل يقتصرن أو يجتمعون فقيل  
لا يقتصرن ولا يجتمعون كما يقول ذلك من يقول من أصحاب الشافعى وأحد  
وقيل يجتمعون ولا يقتصرن كما يقول ذلك أبوحنيفه وأحمد ومن وافقه من  
 أصحابه وأصحاب الشافعى وقيل يجتمعون ويقتصرن كما قال ذلك مالك وابن عيينه  
وابن حنفية وبعض أصحابه غيرهم .

وهذا هو الصواب بلا ريب فإنه الذي فعله أهل مكة خلف النبي صلى الله عليه وسلم بلا رب ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم قط ولا أبو بكر ولا عمر بنى ولا عرفة ولا مزدلفة يا أهل مكة أتوا صلاتكم فaina قوم سفر ولكن ثبت أن عمر قال ذلك في جوف مكة وكذلك في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك في جوف مكة في غزوة الفتح وهذا من أقوى الأدلة على أن القصر مشروع لكل مسافر ولو كان سفره بريدا فإن عرفة من مكة بريدا أربع فراسخ ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه بمكة صلاة العيد بل ولا صلى في أسفاره قط صلاة العيد ولا صلى بهم في أسفاره صلاة الجمعة يخطب ثم يصل ركعتين بل كان يصل يوم الجمعة في السفر ركعتين كما يصل في سائر الأيام.

وكذلك لما صلى بهم الظهر والمسر بعرفة صل ركعتين كصلاته في سائر الأيام ولم ينقل أحد أنه جهر بالقراءة يوم الجمعة في السفر لا بعرفة ولا بغيرها ولا أنه خطب بغير عرفة يوم الجمعة في السفر فعلم أن الصواب ما عليه سلف الأمة وجاهيرها من الأئمة الأربع وغيرهم من أن المسافر لا يصل الجمعة ولا غيرها وجمهورهم أيضا على أنه لا يصل العيد وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين.

وهذا هو الصواب أيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لم يكونوا يصلون العيد إلا في المقام لافي السفر ولم يكن يصل صلاة العيد إلا في مكان واحد مع الإمام يخرج بهم إلى الصحراء فيصل هناك فيصل المسلمين كاهم خلفه صلاة العيد كما يصلون الجمعة ولم يكن أحد من المسلمين يصل صلاة العيد في مسجد قبيلة ولا بيته كالم يكونوا يصلون الجمعة في مساجد القبائل ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصل صلاة العيد على عبد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بل عيدهم بنى بعد إفاضتهم من الشعر الحرام ورمي جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر أهل الأمصار يومون ثم يحررون والنبي صلى الله عليه

وسلم لما أفاض من مني نزل بالمحصب فاختلف أصحابه هل التحصيب سنة لاختلافهم في قصده هل قصد النزول به أو نزل به لأنه كان أسمى خروجه.

وهذا مما يبين أن المقاصد كانت معتبرة عندهم في المتابعة ولما اعتمر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تفتح بعد وكان المشركون قد قالوا يقدم عليكم قوم قد وهمتكم يثرب وتعذر المشركون خلف قعيقان وهو جبل المروة ينظرون إليهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط من الطواف ليرى المشركين جلدتهم وقوتهم وروى أنه دعا من فعل ذلك ولم يرملوا بين الركنين لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب فكان المقصود بالرمل إذ ذاك من جنس المقصود بالجهاد.

فظن بعض المتقدمين أنه ليس من النسك لأنه فعل لقصد وزال لكن ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود فكلموا الرمل بين الركنين وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية وفعل ذلك في حجة الوداع مع الأمن العام فإنه لم يحج معه إلا مؤمن فدل ذلك على أن الرمل صار من سنة الحج فإنه فعل أولاً لمقصود الجهاد ثم شرع نسكاً كاروئ في سعي هاجر وفي رمي الجمار وفي ذبح الكبش أنه فعل أولاً لمقصود ثم شرعه الله نسكاً وعبادة.

لكن هذا يكون إذا شرع الله ذلك وأمر به وليس لأحد أن يشرع مالم يشرعه الله كالوقال قائل أنا أستحب الطواف بالصخرة سبعاً كإيطاف بالكعبة أو أستحب أن أنفذ من مقام موسى وعيسي مصلى كما أمر الله أن يتمتنع من مقام إبراهيم مصلى ونحو ذلك لم يكن له ذلك لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الأعيان والأفعال بأحكام تخصه يمتنع منها قياس غيره عليه أما المعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم وأما لمعنى تخصيص المشبأة على قول بعضهم كإيطاف الكعبة بأن يحج إليها وإيطاف بها وكإيطاف عرفات

بالوقوف بها وكاخص مني برمي الجمار بها وكاخص الأشهر الحرم بتحريرها  
وكاخص شهر رمضان بصيامه وقيامه إلى أمثال ذلك .

ولإبراهيم و محمد كل منهما خليل الله فإنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا وقد  
ثبت في الصحيح أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك  
إبراهيم فاء إبراهيم أفضل الخلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ذاك إبراهيم  
قواصع منه فإنه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال أنا أبدي  
ولد آدم ولا نفر آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيمة ولا نفر ..

إلى غير ذلك من النصوص المبينة أنه أفضل الخلق وأكرمه على ربها ،  
 وإبراهيم هو الإمام الذي قال الله فيه : (إنك جاعلوك للناس إماما) وهو الأمة  
أى القدوة الذي قال الله فيه : (إن إبراهيم كان أمة قاتلة حذيفاً) وهو الذي  
بوأه الله مكان البيت وأمره أن يؤذن في الناس بالحج إليه وقد حرم الله الحرم  
على لسانه وإسماعيل نباء معه وهو الذبيح الذي بذل نفسه لله وصبر على الحنة  
كما يبيننا ذلك بالدلائل الكثيرة في غير هذا الموضوع وأمه هاجر هي التي أطاعت  
الله ورسوله إبراهيم في مقامها مع ابنها في ذلك الوادي الذي لم يكن به أنيس  
كما قال الخليل : (ربنا إن أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زوع عند  
بيتك الحرام ) .

وكان لإبراهيم ولآل إبراهيم من محبة الله وعبادته والإيمان به وطاعته  
مالم يكن لغيرهم نفصم الله بأن جعل ليته الذي بنوه له خصائص لانته  
لغيره وجعل ما جعله من أفعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها ولا ريب  
أن الله شرع لإبراهيم السعي ورمي الجمار والوقوف بعرفات بعد ما كان من  
أمر هاجر وإسماعيل وقصة الذبيح وغير ذلك ما كان كاما شرع محمد الرمل في  
الطواف حيث أمره أن ينادي في الناس بحج البيت والحج مبناه على الذل  
والمحض عن الله وهذا نص باسم النسك والنسك في اللغة العبادة .

قال الجوهرى : النسك العبادة والناسك العابد وقد نسك وتنسك أى تندونسك بالضم أى صار ناسكا ثم خص المبح باسم النسك لأنه دخل في العبادة والذل لله من غيره وهذا كان فيه من الأفعال مالا يقصد فيه إلا مجرد الذل لله والعبادة له كالسعى ورمي الجمار قال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما يجعل رمي الجمار والسعى بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله» رواه الترمذى وخصوص بذلك الذبح للداء أيضا دون مطلق الذبح لأن إله الدم الله أبلغ في الخضوع والعبادة له وهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القرابان بل تلقى نار من السوء فتأكله وهذا قال تعالى : ( الذين قالوا لن نؤمن برسول حتى يأتيانا بقرابان تأكله النار قل قد جاءكم رسول من قبل بالبيانات وبالذى قلتم فلم تقلتم وهم إن كنتم صادقين ) .

وكذلك كانوا إذا غنموا غنيمة جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم حضنا الله لا للمغنم ويكون ذبحهم عبادة حضنة الله لا لأجل أكلهم وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وسع الله عليهم لتكامل يقينهم وإخلاصهم وأنهم يقاتلون الله ولو أكلوا المغنم ويدبحون الله ولو أكلوا القرابان وهذا كان عباد الشيطان والأصنام يذبحون لها الذبائح أيضا فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له وهذا لم يجز الذبح لغير الله ولا أن يسمى غير الله على الذبائح وحرم سبحانه ما ذبح على النصب وهو ما ذبح لغير الله وما سمي عليه غير اسم الله وإن قصد به اللحم لا القرابان .

ولعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذبح لغير الله ونهى عن ذبائح الجن وكانوا يذبحون للجن بل حرم الله مالم يذكر ايم الله عليه مطلقا كل دل على ذلك الكتاب والسنة في غيره ووضع وقد قال تعالى : ( فصل لربك وإن آخر ) أى آخر لربك كما قال الخليل (إن صلقي ونسكي ومحضائي وعاتي الله رب العالمين ) .

وقد قال هو وإسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت (ربنا نقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا) فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها كما قال تعالى : (ولكل أمة جعلنا منسما هم ناسكه) وقال : (ولكل أمة جعلنا منسما ليذكروا الاسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام) وقال : (لن ينال الله لحومها ولا دعاؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما قال تعالى : (ومن يعظم شعائر الله فainها من تقوى القلوب) .

فالمقصود تقوى القلوب الله وهو عبادتها له وحده دون ماسواه بناية العبودية له والعبودية فيها غاية الحبة وغاية الذل والإخلاص وهذه مسألة إبراهيم الخليل وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، إن في الجسد مضعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب .

والنية والقصد هي عمل القلب فلابد في المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم من اعتبار النية والقصد ومن هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما احتجم وأمر بالحجامة وقال في الحديث الصحيح ، شفاء أمتي في شرطة محجم أو شربة عسل أو كبة بنمار وما أحب أن أكتنوى ، كان معلوماً أن المقصود بالحجامة إخراج الدم الزائد الذي يتضمنه البدن فهذا هو المقصود وخاص الحجامة لأن البلاد الحارة يخرج الدم فيها إلى سطح البدن فيخرج بالحجامة فلذلك كانت الحجامة في الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استفراغ الدم وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها إلى العروق فيحتاجون إلى قطع العروق بالفصاد .

وهذا أمر معروف بالحس والتجرية فإنه في زمان البرد تسخن الأجواف وتبرد الطواهر لأن شيء الشيء منجذب إليه فإذا برد الهواء برد ما يلاقيه

من الأبدان والأرض فيهب الحر الذى فيها من البرد المضاد له إلى الأجوف فيسخن باطن الأرض وأجوف الحيوان ويأوى الحيوان في الأكشان الدافئة ولقوة الحرارة في باطن الإنسان يأكل في الشتاء وفي البلاد الباردة أكثر مما يأكل في الصيف وفي البلاد الحارة لأن الحرارة تطبع الطعام وتصره ويكون الماء النابع في الشتاء سخناً لسخونه جوف الأرض والدم سخناً فيكون في جوف العروق لافي سطح الجلد فلو احتجم لم يفعله ذلك بل قد يضره وفي الصيف وبالبلاد الحارة تسخن الطاواهر فتكون البوابات باردة فلا ينضم الطعام فيها كما ينضم في الشتاء ويكون الماء النابع بارداً لبرودة باطن الأرض وظهور الحيوانات إلى البر أى لسخونه الهواء فهو لاه قد لا ينفهم الفضاد بل قد يضرهم والحجامة أفعى لهم.

وقوله ، شفاء أمي ، إشارة إلى من كان حينئذ من أمته وهم كانوا بالحجاج كما قال ما بين المشرق والمغارب قبلة لأن هذا كان قبلة أمي حينئذ لأنهم كانوا بالمدينة وما حولها وهذا كما أنه في آخر الأمر بعد أن فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاثة مواقف بالمدينة وانجد للشام ولما فتح البيزن وات لهم يسلم لهم وقت ذات عرق لأهل العراق وكذا كما أنه فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير عن كل صغير وكبير ذكرأ وأثنى من المسلمين وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة لأن الشعير والتمر كان قوتهم .

ولهذا كان جواهير العلماء على أنه من افتات الأرض والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته وهو لأحد الروايتين عن أحد وهم يجزيه أن يخرج التمر والشعير إذا لم يكن يقتاته فيه قولان للعلماء وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة التي تشبه قوس النصف وفتح الله لهم بها البلاد وقد رویت آثار في كراهة الرمي بالقوس الفارسي عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار فلما بعد أن اعتادها المسلمون وكثرت فيهم وهي في أقسامها أفعى

فِي الْجَهَادِ مِنْ تِلْكُ الْقَوْسِ فَلَا يُكَرِّهُ فِي أَظْهَرِ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ أَوْ قَوْلِ أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ  
اللهُ تَعَالَى قَالَ (وَأَعْدَوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخِيلِ) .

وَالْقُوَّةُ فِي هَذَا أَبْلَغُ بِلَارِيبِ الصَّحَابَةِ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ عِنْدَهُمْ فَعَدَلُوا عَنْهَا  
إِلَى تِلْكَ بَلْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ غَيْرُهَا فَيُنْظَرُ فِي قَصْدِهِمْ بِالرَّمَى أَكَانَ لَحْاجَةً إِلَيْهَا  
إِذْ لَيْسَ لَهُمْ غَيْرَهَا أَمْ كَانَ لَعْنَى فِيهَا وَمِنْ كَرْهِ الرَّمَى بِهَا كَرْهُهُ لَعْنَى لَازِمٌ كَمَا  
يُكَرِّهُ الْكُفَّارُ وَمَا يَسْتَلزمُ الْكُفَّارُ أَمْ كَرْهُهُمْ لِكَوْنِهِمْ كَانَتْ مِنْ شَعَائِرِ الْكُفَّارِ  
فَكَرْهُ التَّشْيِيهِ بِهِمْ وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْكُفَّارَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِذَا لَبَسُوا ثُوبَ  
الْغَيَارِ مِنْ أَصْفَرِ وَأَزْرَقِ نَهْيَ عنْ لِبَاسِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ وَإِنْ كَانَ لَوْخَلَّا  
عَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُرِّهْ وَفِي بَلَادِ لَا يَلِبِّسُ هَذِهِ الْمَلَابِسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا الْكُفَّارُ فَهَيْنِي عَنْ  
لِبَسِهَا وَالَّذِينَ اعْتَادُوا ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَفْسُدُهُمْ عِنْدَهُمْ فِي لِبَسِهَا .

وَهَذَا كَرْهُ أَحَدٍ وَغَيْرِهِ لِبَاسِ السَّوَادِ لِمَا كَانَ فِي لِبَاسِهِ تَشْبِيهٌ بِمَنْ يَظْلِمُ أَوْ يَهْبِئُ  
عَلَى الظُّلْمِ وَكَرْهُ بَعْضِهِ لِمَنْ يَسْتَعِنُ بِلِبَسِهِ عَلَى الظُّلْمِ فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ  
لِمَ يَبْعِهِ عَنْهُ وَكَرْهُ مِنْ كَرْهِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ بَيعُ الْأَرْضِ الْخَرَاجِيَّةِ لِأَنَّ  
الْمَشْتَرِيَّ لَهَا إِذَا أَدَى الْخَرَاجَ عَنْهَا أَشْبَهَ أَهْلَ النَّدْمَةِ فِي التَّرَامِ الْجَزِيرَةِ فَإِنَّ الْخَرَاجَ  
جَزِيرَةُ الْأَرْضِ وَإِنْ لَمْ يَؤْدِهَا ظُلْمُ النَّاسِ يَاسْقَاطُ حَقَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُرِّهُوا  
بَيعُهَا لِكَوْنِهِمْ وَقَهَا فَإِنَّ الْوَقْفَ إِنَّمَا مَنْعِنَعُ مِنْ بَيعِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَيْطِلُ الْوَقْفَ وَهَذَا  
لَا يَبْاعُ وَلَا يَوْهَبُ وَلَا يَورُثُ وَالْأَرْضُ الْخَرَاجِيَّةُ تَنْتَقِلُ إِلَى الْوَارِثِ بِأَنْفَاقِ  
الْعُلَمَاءِ وَيَجُوزُ هَبَتها وَالْمَتَهَبُ وَالْمَشْتَرِيُّ يَقُومُ فِيهَا مَقَامُ الْبَاعِنِ فَيَوْدِي مَا كَانَ  
عَلَيْهِ مِنَ الْخَرَاجِ وَلَيْسَ فِي بَيعِهِ مَضْرَةٌ لِمَسْتَحِقِ الْخَرَاجِ كَافِ بَيعُ الْوَقْفِ .

وَقَدْ غَلَطَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءَ فَظَنُوا أَنَّهُمْ كَرِهُوا بَيعًا لِكَوْنِهِمْ وَقَهَا وَاشْتَبَهَ  
عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ لَأَنَّهُمْ رَأَوْا الْآتَاهُمْ مَرْوِيَّةً فِي كَرَاهَةِ بَيعِهَا وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّ عَنِ  
جَعْلِهَا فِيتَاهَا لَمْ يَقْسِمَهَا نَطْرٌ وَذَلِكَ فِي مَعْنَى الْوَقْفِ فَظَنُوا أَنَّ بَيعًا مَكْرُوهٌ لِهَذَا  
الْمَعْنَى وَلَمْ يَتَأْمِلُوا حَقَّ التَّأْمِلِ فَيُرِونَ أَنَّ هَذَا الْبَيعُ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْبَيعِ

المنهى عنه في الوقف فإن هذه يصرف مقلها إلى مستحقها قبل البيع وبعده وعلى حد واحد لم يست كالدار التي إذا بيعت تعطل نفعها عن أهل الوقف وصارت المشتري .

وأعجب من ذلك أن طائفه من هؤلاء قالوا مكة إنما كره بيع رباعها لكونها فتحت عنوة ولم تقسم أيضاً وهم قد قالوا مع جميع الناس أن الأرض العنوة التي جعلت أرضاً فيها يجوز بيع مساكنها ، والخارج إنما جعل على المزارع لعلى المساكن فلو كانت مكة قد جعلت أرضها للمسلمين وجعل عليها خراج لم يتحقق بيع مساكنها كذلك فكيف ومكة أقرها النبي صلى الله عليه وسلم بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجاً .

ولهذا قال من قال أنها فتحت صلحاً ولا ريب أنها فتحت عنوة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة لكن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل إلا من قاتله ولم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالاً ، ولهذا سموا الطلاقه وأحمد وغيره من السلف إنما علوا بذلك بكونها فتحت عنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين كما قال تعالى (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكس فيه والباد) .

وهذه أى العلة التي اختصت بها مكة دون سائر الأعمار فإن الله أوجب حجها على جميع الناس وشرع اعتمادها دائماً بجعلها مشتركة بين جميع عباده كما قال (سواء العاكس فيه والباد) ولهذا كانت مني وغيرها من المشاعر من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى ينتقل عنه كالمساجد ومكة نفسها من سبق إلى مكان فهو أحق بـ الإنسان أحق بمساكنه مادام محتاجاً إليها وما استغنى عنه من المذانف فعليه بذلك بلا عوض لغيره من الحجاج وغيرهم ، ولهذا كانت الأقوال

في إجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة قبل لا يجوز لا هذا ولا هذا وقيل يجوز  
الأمران ، والصحيح أنه يجوز بيع رباعها ولا يجوز إجارتها .

وعلى هذا تدل الآثار المقلولة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن  
الصحابة رضي الله عنهم فإن الصحابة كانوا يتبعون دورها والدور تورث  
وتورث وإذا كانت تورث وتوهـب جاز أن تبـاع بخلاف الوقف فإنه لا يـافـع  
ولا يـورـث ولا يـوهـب ، وكذلك أم الـلدـمنـ لم يـجـوزـ يـعـهـ لا يـجـوزـ هـبـتهاـ  
ولاـ آنـ تـورـثـ ، وأماـ إـجـارـتهاـ فقدـ كـانـ تـدـعـيـ السـوـانـبـ عـلـىـ عـهـدـ النـبـيـ  
صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . وـأـبـيـ بـكـرـ . وـعـمـ مـنـ اـحـتـاجـ سـكـنـ وـمـنـ اـسـتـغـنـىـ أـسـكـنـ  
لـآنـ الـمـسـلـمـينـ كـاـئـنـ مـخـاتـجـونـ إـلـىـ الـمـنـافـعـ فـصـارـتـ كـمـنـافـعـ الـأـسـوـاقـ وـالـمـسـاجـدـ  
وـالـطـرـقـاتـ الـتـيـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ الـمـسـلـمـونـ فـنـ سـبـقـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـهـ فـهـوـ أـحـقـ بـهـ  
وـمـاـ اـسـتـغـنـىـ عـلـهـ أـخـذـهـ غـيـرـهـ بـلـ عـرـضـ .

وكذلك المباحثات التي يـشـرـكـ فـيـهاـ النـاسـ وـيـكـوـنـ الشـتـرـىـ طـاـستـفـادـ  
بـذـكـرـ أـنـهـ أـحـقـ مـنـ غـيـرـهـ مـاـدـامـ مـخـاتـجـاـ وـإـذـ بـاعـهـ إـلـيـهـ قـطـعـ اـخـتـصـاصـهـ  
بـهـ وـتـورـثـهـ لـيـاـهـ وـغـيـرـذـكـ منـ تـصـرـفـانـهـ ، وـهـذـاـ لـمـ لـيـذـلـهـ إـلـاـ بـعـوضـ  
وـالـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ عـلـىـ أـهـلـ مـكـةـ فـإـنـ الـأـسـيـرـ يـجـوزـ الـنـعـولـ عـلـيـهـ  
لـمـلـصـلـحـةـ وـأـعـطـاهـ مـعـ ذـكـرـ ذـرـارـيـهـ وـأـمـواـهـمـ كـاـمـنـ عـلـىـ هـوـازـنـ لـمـاـ جـاؤـاـ  
مـسـلـمـينـ يـاـحدـىـ الطـائـفـيـنـ السـبـيـ أوـ الـمـالـ فـاخـتـارـواـ السـبـيـ فـأـعـطـاهـمـ السـبـيـ وـكـانـ  
ذـكـرـ بـعـدـ الـقـسـمةـ ، فـعـوـضـ عـنـ نـصـيـبـهـ مـنـ لـمـ يـرـضـ بـأـخـذـهـ مـنـهـ وـكـانـ قـدـ قـسـمـ  
الـمـالـ فـلـمـ يـرـدـهـ عـلـيـهـ ، وـقـرـيـشـ لـمـ تـحـارـبـهـ كـاـ حـارـبـهـ هـوـازـنـ وـهـوـ إـنـماـ مـنـ  
عـلـىـ مـنـ لـمـ يـقـاتـلـهـ مـنـهـ كـاـ قـالـ : دـمـنـ أـغـلـقـ بـابـهـ فـهـوـ آـمـنـ وـمـنـ أـلـقـ سـلاـحـهـ فـهـوـ  
آـمـنـ وـمـنـ دـخـلـ الـمـسـجـدـ فـهـوـ آـمـنـ .

فـلـمـ كـفـ جـهـوـرـهـ عـنـ قـالـهـ وـعـرـفـ أـنـهـ مـسـلـمـونـ أـطـلـقـهـمـ وـلـمـ يـغـنـمـ أـمـواـهـمـ  
وـلـاـ حـرـيـمـ وـلـمـ يـضـرـبـ الرـقـ لـاـ عـلـيـهـ وـلـاـ عـلـىـ أـوـلـادـهـ بـلـ سـعـامـ الـطـلـبـاـ ، مـنـ  
قـرـيـشـ بـخـلـافـ تـقـيـفـ فـإـنـهـ سـمـواـ الـعـقـاءـ فـإـنـهـ أـعـنـقـ أـوـلـادـهـ بـعـدـ الـاسـتـرـقـافـ

والقسمة وكان في هذا مادل على أن الإمام يفعل بالأموال والرجال والعتاد  
والمقال ما هو أصلح فإن النبي صلى الله عليه وسلم فتح خير فقسمها بين  
المسلمين وسي بعض نسائها وأقر سائرهم مع ذرارتهم حتى أجلوا بذلك  
فلم يسترقهم ومكة فتحها عنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة .

وقد تابع العلماء في الأرض إذا فتحت عنوة هل يجب قسمها كخير  
لأنها مقتن أو تصير فيها كما دلت عليه سورة الحشر وليس الأرض من المغنم  
أو ينجز الإمام فيها بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال، وأكثر العلماء على التخيير  
وهو الصحيح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وغيرهما ،  
ولو فتح الإمام بلداً وغلب على ظنه أن أهله يسلمون ويجهادون جاز أن  
يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل  
مكة فايتهم أسلموا كلهم بلا خلاف بخلاف أهل خير فإنه لم يسلم منهم أحد  
فأولئك قسم أرضهم لأنهم كانوا أكفاراً مصرين على السكفر ، وهؤلاء تركها  
لهم لأنهم كانوا مسلين .

ومقصود بالجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله الله  
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم لياتفهم على الإسلام  
فسكيف لا يتأنفهم يارفا ، ديارهم وأموالهم وهم لما حضروا معه حينينا أعطاهم  
من غنائم حينما تألفهم به حتى عتب بعض الأنصار كذا في الصحيحين عن  
أنس بن مالك : أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين حين أقام الله على رسوله  
من أموال هوازن ما أقام فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً  
من قريش المائة من الإبل فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا  
وسيوفنا تقطر من دمائهم .

قال أنس : ثُدِّثَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَأَرْسَلَ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَّهُمْ فِي قَبَّةِ مِنْ أَدْمَ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا حَدَّرْتُكُمْ بِلِغَافِي عَنْكُمْ فَقَالَ لَهُمْ قَوْمًا الْأَنْصَارُ

أَمَا ذُرُورُ أَيْنَا يَارَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً وَأَمَا أَنَّاسٍ مِنَ الْحَدِيثَةِ أَسْنَانُهُمْ  
فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يَعْطِي قَرِيشاً وَيَتَرَكُنَا وَسِيوفُنَا تَقْطَرُ مِنْ دَمَانُهُمْ  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنِّي أَعْطَيْتُ رِجَالاً حَدِيثَى عَهْدَ بَكْفَرِ  
أَنَّا لَفِيمُمْ أَفْلَأَ تَرْضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ  
بِرَسُولِ اللَّهِ فَوْ أَنَّهُ لَمَّا تَنَقَّلُونَ بِهِ خَيْرٌ مَا يَنَقَّلُونَ بِهِ قَالُوا بَلْ يَارَسُولَ اللَّهِ  
قَدْ رَضِيَّنَا قَالَ فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِ أُثْرَةٍ شَدِيدَةٍ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ قَالُوا سَتَصْبِرُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَّا  
أَوْ شَعْبَأً وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيَّا أَوْ شَعْبَأً لَسَلَكَتِ وَادِيَّ الْأَنْصَارَ وَشَعْبَهُمْ  
النَّاسُ دَثَارُ وَالْأَنْصَارُ شَعَارُ وَلَوْلَا الْهِجْرَةِ لَكُنْتُ اُمَّةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُدُّهُمْ  
حَتَّى بَكُوا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ .

فَهَذَا كَلِه بَذْلٌ وَعَطَاءٌ لِأَجْلِ إِسْلَامِ الْفَاسِدِ وَهُوَ الْمَقصُودُ بِالْجَهَادِ وَمَنْ قَالَ  
أَنَّ الْإِمامَ يَحْبُبُ عَلَيْهِ قَسْمَةَ الْعَقَارِ وَالْمَنْقُولِ مُطْلَقاً فَقُولُهُ فِي غَايَةِ الْعَصْفِ  
خَالِفٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ الْمَنْقُولَةِ بِالْتَّوَاتِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ حَجَةٌ وَاحِدَةٌ  
تَوْجِيبُ ذَلِكَ فَإِنَّ قَسْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ تَدْلِيلٌ عَلَى جَوَازِ  
مَا فَعَلَ لَا تَدْلِيلٌ عَلَى وَجْوبِهِ إِذَا فَعَلَ لَا يَدْلِيلٌ بِنَفْسِهِ عَلَى الْوَجْوبِ وَهُوَ لَمْ يَقُسِّمْ  
مَكَّةَ وَلَا شَكَ أَنَّهَا فَتَحَتْ عَنْهُ وَهَذَا يَعْلَمُهُ ضَرُورَةٌ مِنْ تَدْبِيرِ الْأَحَادِيثِ .

وَكَذَلِكَ الْمَنْقُولُ مِنْ قَالَ أَنَّهُ يَحْبُبُ قَسْمَهُ كَلِه بِالتَّنْسُوِيَّةِ بَيْنِ الْغَائِمِينَ فِي كُلِّ  
غَزَّةٍ فَقُولُهُ ضَعِيفٌ بَلْ يَجُوزُ فِيهِ التَّفْضِيلُ لِلْمَصْطَلِحَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفَضِلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَغَازِيِّ وَالْمَؤْلَفَةِ قَلْوَبِهِمُ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى  
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَنَامِ خَيْرٍ فِيهَا أَعْطَاهُمْ قُولَانٌ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْخَسِّ  
وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ أَصْلِ الْغَنِيمَةِ وَهَذَا أَظْهَرَ فَإِنَّ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيمَانٌ هُوَ شَيْءٌ كَثِيرٌ  
لَا يَحْتَمِلُهُ الْخَسِّ وَمَنْ قَالَ الْعَطَاءَ كَانَ مِنْ خَسِّ الْخَسِّ فَلَمْ يَدْرِكْ كَيْفَ وَقَعَ الْأَسْرُ  
وَلَمْ يَقُلْ هَذَا أَحَدٌ مِنَ الْمُتَقْدِهِينَ وَهَذَا مُعَوِّذُهُ قَوْلُهُ لِيُسْعِلَ عَنِ أَقْوَامِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْخَسِّ  
وَالْخَسِّ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ هَذَا لَأَنَّ الْمَؤْلَفَةَ قَلْوَبِهِمُ كَانُوا مِنَ الْعَسْكَرِ فَفَضَّلُوهُمْ

في المطه للصلحة كما كان يفضلهم فيها يقصده من النفع للصلحة .

وهذا دليل على أن الغنيمة للإمام أن يقسمها باجتهاده كما يقسم إلى  
باجتهاده إذا كان إمام عدل قسمها بعلم وعدل ليس قسمتها بين الغانمين  
كقسمة الميراث بين الورثة وقسمة الصدقات في الأصنام <sup>الثانية</sup> وهذا قال  
في الصدقات أن الله لم يرض فيها بقسمة نبي ولا غيره ولكن جعلها ثمانية  
أصناف فإن كنت من تلك الأصناف أعطيتك فعلم أن ماأفاء الله من الكفار  
بخلاف ذلك ، وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم من خير لأهل السفينة الذين  
قدموا مع جعفر ولم يقسم لأحد غاب عنها غيرهم وقسم من غنائم بدر لطلحة  
والزبير ولعثمان وكان قد أقام بالمدينة وهو لاء الدين كانوا يريدون القتال  
وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها في جهاده .

وأيضاً أهل السفينة وطلحة والزبير ولعثمان لم يكونوا كغيرهم ولقتال  
لم يكن لأجل الغنيمة فليست الغنيمة كمباح اشتراك فيه ناس مثل الاحتشاش  
والاحتطاب والاصطياد فإن ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال بخلاف  
الغنيمة بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهداً في سبيل الله وهذا لم يقع  
الغنائم لمن قبلنا وأبيح لنا معونة على مصلحة الدين .

فالنائم أبيح مصلحة الدين وأهله فن كان قد نفع المجاهدين بفتح  
استعنوا به على تمام جهادهم جعل منهم وإن لم يحضر ، وهذا قال النبي صلى  
الله عليه وسلم المسلمين يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ويرد متسرعهم على  
قاعدتهم فإن المتسرع لمنما تسرى بقوة القاعدة فالمعاونون للمجاهدين  
من المجاهدين .

وليسط هذه الأمور موضع آخر ، والمقصود هنا ذكر متابعة النبي صلى  
الله عليه وسلم وهو أنه يعتبر فيه متابعته في قصده فإذا قصد مكاناً للعبادة فيه  
كان قصده لتلك العبادة سنة وأما إذا صلى فيه اهتماماً من غير قصد لم يكن

قصده للعبادة سنة ولهذا لم يكن جمور الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك وابن عمر رضي الله عنهما مع أنه كان يجب مشابهته في ظاهر العمل لم يكن يقصد الصلاة إلا في الموضع الذي صلى فيه لافي كل موضع نزل به.

ولهذا رخص أ Ahmad بن حنبل في ذلك إذا كان شيئاً يسيراً كما فعله ابن عمر وهي عنه رضي الله عنه إذا كثراً لأنه يفضي إلى الانفسدة وهي اتخاذ آثار الأنبياء مساجد وهي التي تسمى المشاهد وما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهي من البدع الخدعة في الإسلام من فعل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله به محدداً صلى الله عليه وسلم من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم.

ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام هم أكثرهم تعظيمها لمواضع الشرك فالعازفون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع ولهذا يوجد ذلك في الرابضة أكثر مما يوجد في غيرهم لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركاً وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ويغترون بالمساجد أكثر من غيرهم فالمساجد لا يصلون فيها جماعة ولا يصلون فيها إن صلوا إلا أخذوا وأما المشاهد فيعظرونها أكثر من المساجد حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الأكبر.

ووصف ابن المفید منهم كتاباً سماه مناسك حج المشاهد وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال مالا يوجد في سائر الطوائف وإن كان في غيرهم أيضاً نوع من الشرك والكذب والبدع لكن هو فيه أكثر وكلما كان الرجل أنيع لحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين ولهذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا كثراً كثراً بعده عنه ظهر فيه

عن الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول والله إنما أمر في كتابه وسنة رسوله بالعبادة في المساجد والعبادة فيها أى عمارتها.

قال تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ نَعَمَ اللَّهُ أَنْ يَذْكُرْ فِيهَا اسْمَهُ) ولم يقل مشاهد الله وقال تعالى (قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقَسْطِ وَأَقْيَمُوا وَجْهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسجد وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ) ولم يقل عند كل مشهد فإن أهل المشاهد ليس فيهم لخلاص الدين الله بل فيهم نوع من الشرك ، وقال تعالى (مَا كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِنَّ أَنْ يَعْمِرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقاموا الصلاة) الآيات .

وفي الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشدوا له بالإيمان ثم قرأ هذه الآية فإن المراد بumarتها عمارتها بالعبادة فيها كاصلاة والاعتكاف يقال مدينة عامرة إذا كانت مسكونة ومدينة خراب إذا لم يكن فيها ساكن ، ومنه قوله تعالى : (أَجْعَلْتُمْ سَقَاءَةَ الْحَاجِ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمْ أَمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ) .

وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن يبنوها البر والفاجر والمسلم والكافر وذلك يسمى بناء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مسجداً بَنَى لِلَّهِ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ» ، فيبين الله تعالى أن المشركيين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شاهديهم على أنفسهم بالكفر وبين إنما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وهذه صفة أهل التوحيد وإخلاص الدين فـ«الذين لا يخشعون إلا لله ولا يرجون سواه ولا يستعينون إلا به ولا يدعون إلا إياه وعمار المشاهد يخافون غير الله ويرجون غيره ويريدون غيره وهو سبحانه لم يقل إنما يأمر مشاهد الله فإن المشاهد ليست بغير الله لها هي بيمت الشرك ،

وَلَذَا لِبْسُ فِي الْقُرْآنِ آيَةً فِيهَا مَدْحُ الشَّاهِدِ وَلَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ حِدْيَتٍ إِنَّمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْ كَانَ قَبْلَنَا أَنَّهُمْ بَنَوُا مَسْجِدًا عَلَى تِبْرِهِ أَهْلَ الْكَفْرِ وَهُؤُلَاءِ مَنِ الَّذِينَ نَهَانَا اللَّهُ أَنْ تَشْبِهَهُمْ بِهِمْ حِدْيَتٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَ أَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَخَذُونَ الْقَبُورَ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَخَذُوا الْقَبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنِ ذَلِكَ .

فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِمَّةُ أَهْلِ الشَّاهِدِ وَكَذَّالِكَ سَائِرُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيفَةِ كَمَا قَالَ : لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قَبُورَ أَنْيَامِهِمْ مَسَاجِدَ يَخْذُرُ مَا فَعَلُوا وَقَالَ أَوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنُوا عَلَى تِبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوْرَوْا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أَوْلَئِكَ شَرَارُ الْخَلَاقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ الْمَشَاهِدِ كَثِيرٌ مِّنْ مَشَاهِدِهِمْ أَوْ أَكْثُرُهُمْ كَذَّابٌ فَإِنَّ الشَّرِكَ مُقْرَنٌ بِالْكَذْبِ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ قَالَ تَعَالَى : ( وَاجْتَبِيُوا قَوْلَ الزُّورِ حَنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ) .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَدْلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِلَيْهِ أَكْثَرُهُ بِأَنَّهُ قَاتَلَهُمْ فَلَمَّا مَرَأُوهُمْ مُّلَائِكَةً وَذَلِكَ كَالْمُشَهَّدُ الَّذِي بَنَى بِالْقَاهِرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحُسَينِ وَهُوَ كَذَّابٌ بِأَنَّهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَرَأْسُ الْحُسَينِ لَمْ يُحْمَلْ إِلَيْهِ هَذَا أَصْلَهُ وَأَصْلُهُ فِي عَسْقَلَانَ ، وَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ كَانَ رَأْبِهِ وَرَأْسُ الْحُسَينِ لَمْ يَكُنْ بِعَسْقَلَانِ إِنَّمَا أَحْدَثَ هَذَا فِي أَوْاخرِ دُولَةِ الْمَلَاحِدَةِ بَنَى عَيْدٌ وَكَذَّالِكَ مُشَهَّدٌ عَلَى رَضْيِ اللَّهِ عَنْهُ إِنَّمَا حَدَثَ فِي دُولَةِ بَنَى بَوِيهِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُطَيْنُ الْحَافِظُ وَغَيْرُهُ إِنَّمَا هُوَ قَبْرُ الْمُغَيْرَةِ بْنِ شَعْبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا دُفِنَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ وَبِالْكُوفَةِ وَدُفِنَ مَعَاوِيَةُ بْنُ الْإِمَارَةِ بِدِمْشِقَ وَدُفِنَ عِزْرُوفُ بْنُ الْعَاصِ بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ بِمَصْرَ خَوْفَا عَلَيْهِمْ إِذَا دُفِنُوا فِي الْمَقَابِرِ الْبَارِزَةِ أَنْ يَتَبَشَّهُمُ الْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ كَانُوا تَهَبُّو عَلَى قَتْلِ الْمُلَائِكَةِ فَقُتِلَ ابْنُ مَاجِمٍ عَلَيْهَا وَجَرَحَ صَاحِبَهُ مَعَاوِيَةَ وَعِمْرُو كَانَ اسْتَخْلَفَ رِجْلًا اسْمُهُ خَارِجٌ فَقُتِلَ الْخَارِجِيُّ وَقَالَ أَرْدَتْ عِمْرَا وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةَ قَسَارِتَ مَثْلًا .

فالمقصود أن هذا المشهد إنما أحدث في دولة الملاحدة دولة بنى عبيد وكل من فيهم من الجهل والضلال ومعاصدة الملاحدة وأهل البدع من العزلة والرافضة أمور كثيرة ولهذا كان في زمانهم قد تضعضع الإسلام تضعضعاً كثيراً ودخلت النصارى إلى الشام فإن بنى عبيد ملاحدة متفاقةون ليس لهم غرض لافي الله ولا في رسوله ولا في الجهاد في سبيل الله بل في الكفر والشرك ومعاداة الإسلام بحسب الإمكان وأتباعهم كاهم أهل بدع وضلال فاستولت النصارى في دولتهم على أكثر الشام ثم قيض الله من ملوك السنة مثل نور الدين وصلاح الدين وأخوهه وأتباعهم ففتحوا بلاد الإسلام وجاهدوا الكفار والمنافقين.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ والشيطان يقارنها وإن كان المسلم المصلى لا يقصد السجود لها لكن سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشركين في بعض الأمور التي يختصون بها فيغضون إلى ما هو شرك ولهذا نهى عن تحرى الصلاة في هذين الوقتين ، هذا لفظ ابن عمر الذي في الصحيحين فقد صد الصلاة فيها منها عنه .

وأما إذا حديث مسبب تشرع الصلاة لأجله مثل تحية المسجد وصلاة الكسوف وسبحود التلاوة وركع الطواف وإعادة الصلاة مع إمام الحج ونحو ذلك فهذه فيها نزاع شهور بين العلماء والأظاهر جواز ذلك واستحسابه فإنه خير لأشر فيه وهو يفوت إذا ترك وإنما نهى عن قصد الصلاة وتحريها في ذلك الوقت لما فيه من مشابهته للكفار بقصد السجود بذلك الوقت فما لا سبب له قد قصد فعل في ذلك الوقت وإن لم يقصد الوقت بخلاف ذى السبب فإنه فعل لأجل السبب فلا تأثير فيه لاإ وقت بمحال .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقبرة عمر ما فقال الأرض كما مسجد إلا المقبرة والحمام رواه أهل السنن وقد روی مسندها

وليس لا و قد صحح المخازن أنه مسنده فإن الحمام مأوى الشياطين والمثابر  
 نهى عنها لما فيه من التشبه بالمتخدرين القبور مساجد وإن كان المصلى  
 قد لا يقصد الصلاة لأجل فضيلة تلك البقعة بل اتفق لكن فيه تشبه  
 بين يقصد ذلك فتهى عنه كما ينهى عن الصلاة المطلقة وقت الطلوع والغروب  
 وإن لم يقصد فضيلة ذلك الوقت لما فيه من التشبه بن يقصد فضيلة ذلك الوقت  
 وهم المشركون فيه عن الصلاة في هذا الزمان كمنه عن الصلاة في ذلك المكان  
 فلما كان الشرك الذي أضل أكثر بني آدم أصله وأعظمه من عبادة البشر  
 والتماثيل المchorة على صورهم فإن المشركون قد اعتنادوا آلهة يلدون ويولدون  
 ويرثون ويورثون ويكونون من شيء من الأشياء فسألوا النبي صلى الله عليه  
 وسلم عن إلهه الذي يعبده من أي شيء هو أمن كذا أم من كذا ومن ورث  
 الدنيا ولمن يورثها ؟ فقال تعالى : ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد  
 ولم يكن له كفوا أحد ) .

وفي حديث أبي بن كعب لأنه ليس أحد يولد إلا يموت ولا أحد يرث  
 إلا يورث يقول كل من عبد من دون الله وقد ولد مثل المسيح والعزيز وغيرهما  
 من الصالحين وتماثيلهم ومثل الفراعنة المدعين الآلهية فهذا مولود يموت وهو  
 وإن كان ورث من غيره ما هو فيه فإذا مات ورثه غيره والله سبحانه حي  
 لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى .

# فهرست

## كتاب تفسير سورة الإخلاص

صفحة	صفحة
٣٥	٣ تصدر
٤٢	١١ مصادر هذا البحث
٤٣	١٢ تقديم المؤلف الكتاب
٤٤	١٣ فصل في بيان أن للإمام الصمد أتوالا متعددة للسلف
٤٦	٢٠ تفسير السيد وأقوال آئية اللغة فيه
٤٨	٢٤ تحقيق معنى الاشتقاد
٤٩	٢٥ بيان معنى الصبر
٥٠	٢٦ فصل في بيان أن اللام أدخلت على الصمد ولم تدخل على أحد
٥٢	٢٧ ذكر الأحاديث المنتقدة على الإمام مسلم في صحيحه
٥٧	٢٧ لفظ أحد لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده
٥٩	٢٩ بيان أن الولادة والمتولد وكل من كان من هذه المادة لا يكون إلا من أصلين
٦٠	٣٠ بيان تنازع الناس فيما يخلق
٦١	٣١ بيان أقوال العدام في الجوهر الفرد
٦٢	٣٢ بيان أن ليس في كتب الرأزى وأنصاره

٧٢	لفظ الجوهر والجسم والنحو	٥٨	ال المسيح الباذنة الحقيقة
٧٣	بيان أن أول من أحدث اللألفاظ التي براد بها حق وباطل الجهمية والميزلة		بيان أن منه أضلال النصارى أنه كان في لغة من قبلها يعبر عن الرب بالأب وبالابن
٧٧	بيان أن حال الخوارج وأمثالهم يغلبون الأمة ، يعتدون عليها	٥٩	عن العبد المربى
٧٨	مناظرة الإمام أحمد بن حنبل لخالفيه في الميزلة		كلام الزجاج في تفسير قوله تعالى « وأيدناه بروح القدس » وما معنى التأييد هنا
٧٩	بيان معنى الجسم في اللغة وعند أهل الكلام	٥٩	قول الملاسفة بأن العالم قديم صدر عن علة موجبة وأنه صدر عنه عقل ثم عقل
٨٠	كلام أهل الفلسفة والهشامية والتكلمية والضرارية وغيرهم في تركيب الأجسام	٦٤	بيان أن الأمم الذين ابتكروا أو أخر المسلمين شر من الأمم الذين ابتكروا بهم أوائل المسلمين
٨٢	مسألة تماثيل الأجسام وتركيبها من الجواهر الفردية	٦٥	بيان أن العرب كانت ثبتت الجن وكذلك أكثر أهل الكتاب
٨٤	علم بالاضطرار أن الصحابة والتابعين لم ينطقووا بيات الجوهر الفرد	٦٦	دليل من احتجج بأن الله جسم
٨٥	أول من أحدث الكلام في صفات الله الجعد بن درهم	٦٨	دليل من قال بنقى صفات البارى تعالى
	وجهم بن صفوان	٦٩	كلام الإمام أحمد بن حنبل
٨٧	الكلام على التحييز والجهة		في خطبته من حيث الرد على الجهمية وغيرهم
٨٨	الاعتراض على نفر الرازبي في المطالب العالمية		بيان طريقة هشام وأتباعه في الرب تبارك وتعالى
٨٩	تفسير اله giooli		

صفحة	صفحة
لا يشبه شيئاً مما يمثل به الفلسفه	٨٩ . كلام أوسط او في علم ما بعد الطبيعة
١٠٣ لا يلزم أن يكون الرب جل وعلا متصفًا بالنزول والاستواء والدنو والتلكلم	٩٠ بيان أن بعض النصارى بدل دين المسيح
١٠٤ بيان أن المعتزلة والجهمية ومن وافقهم على نفي شبه من الصفات	٩٢ ضلال كثير من المتأخرین بسبب الالتباس وعدم المعرفة بحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ
١٠٥ بيان أن المسلمين يحتاجون إلى شیئین فی أمر التوحید	٩٣ بيان أن الفلسفه لما لم يكن عندھم علم بجمیع المخلوقات
١٠٥ أول مادعي الرسول إله الخلق هو التوحید	٩٤ كلام المتأخرین کابن سينا وأمثاله في الإلهیات والكلیات
١٠٦ أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة معرفة ما جاء به الرسول	٩٥ بيان مبدأ حدوث القراءة متھینة أم لا
١٠٧ مذهب حذاق الفلسفه في المراد بخطاب الرسول	٩٦ أقوال العلماء في روح الإنسان التي تفارقه بالموت
١٠٨ بيان أن كتاب الجام العوام للإمام الغزالی فيه ذم التأویل	٩٧ هل هي عرض أو جسم
١٠٨ الكلام على قوله تعالى : (وما يعلم تأویله إلا الله)	٩٨ جاهیر العقاید على إثبات الفرق بين البدن والروح
١١٠ ذکر الأئمة الذين أثبتو العلو وجعلوه من الهدایات الخبریة	٩٩ اختلاف الفلسفه في المتهین ١٠٠ كلام الإمام نفر الرازی في آخر عمره وبيان عقیدته في الصفات
١١١ معنى التأویل عند الفلسفه والباطنية	١٠١ كلام المتفلسفة في النفس الناطقة
١١١ بيان أن علی الروح بالبدن في الإثبات	١٠٢ بيان أن علی الروح بالبدن

- الآمة لا يعلمون معناءه  
١٣٠ ذكر قول ابن عباس أنه  
من الراسخين الذين يعلّمون  
تأویل القرآن وكذاك بجاهد  
والربيع بن أنس ومحمد بن  
جمفر بن الزبير
- ١٣٠ كلام المؤلفين في مدح ابن  
قبيبة والثناه عليه
- ١٣٢ كلام معاذ بن جبل فيما يتبّع  
المتشابه من القرآن
- ١٣٣ بيان أن السلف رضي الله  
عنهم فسروا جميع القرآن
- ١٣٥ دعوى من قال أن سبب  
نزول آية ( وما يعلم تأویله  
إلا الله )
- ١٣٦ قول ابن عباس أن التفسير  
على أربعة أوجه
- ١٣٨ الدليل على أن ابن عباس كان  
يتكلّم في جميع معانى القرآن
- ١٤٠ الثابت عن الصحابة أن  
المتشابه يعلمه الراسخون
- ١٤٢ بيان أن تفسير ابن أبي نجح  
عن بجاهد من أصح التفاسير
- ١٤٤ أهل البدع يفسرون القرآن  
والمرئي والتحقيق به أجمعهم
- يوجد عند أهل الحديث من  
الحنابة أكثر مما يوجد في  
أهل الكلام  
١١٣ تفسير قوله تعالى ( لا يأنِيكَا  
طعامٌ ترزقانه إلا نباتكما  
بتأویله )
- ١١٥ الكلام على معنى التفسير  
والتأویل
- ١١٧ بيان قول كثير من السلف
- ١١٩ تفسير قول الإمام مالك  
الاستواء معلوم والكيف  
محظوظ والإيمان به واجب الخ
- ١٢٠ بيان أن مادة استوى تتغير  
معانيه بحسب صلته
- ١٢١ بيان غلط من جعل الفظ  
الاستواء بضعة عشر معنى
- ١٢٢ الاستواء من قبيل المتشابه  
يلزمه في حق المخلوقين معانٍ  
يُنزَه الله عنها
- ١٢٤ كلام الإمام أحمد في المتشابه
- ١٢٧ كلام أبي بن كعب في القرآن
- ١٢٨ كلام عكرمة في الحكم والمتشابه
- ١٢٩ لا يجوز أن يكون الله أنزل  
كلاما لا معنى له ولا يجوز  
أن يكون الرسول وجميع

- |   |  |
|---|--|
| ١٦٣ يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية<br>١٦٥ فصل في أصول التوحيد<br>١٦٦ ذكر مقدمتين مهمتين<br>١٦٧ أصول البدعة أربعة<br>١٦٨ نفأة الأسماء والصفات<br>١٦٩ فصل المعنى الصحيح الذي في نفي المثل والشريك والنذر<br>١٧٠ ذكر سبب نزول سورة (قل هو الله أحد) الخ<br>١٧١ إذا نفي عن الرب جل وعز أن يكون مولودا<br>١٧٢ بيان أن ودا ومرعا ويعوث ويعوق ونسرا كانت أسماء قوم صالحين كانوا فيهم<br>١٧٣ بيان ما يحصل لكتير من أهل البدع والخرافات<br>١٧٤ تقسيم الرؤبة إلى ثلاثة أنواع<br>١٧٥ بيان أن عمرو بن حني هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام<br>١٧٦ النبي ﷺ سد هذا الباب<br>١٧٧ تحريم بناء المساجد على القبور وأنكار القبور مساجد<br>١٧٨ تنصيب سورة الأخلاص | المقللي ونأوي لهم اللغوى<br>١٤٥ بيان أن الإمام أحمد بن حنبل احتج على خصومه بالأدلة<br>السمعية والعقلية<br>١٤٧ أهل البدع يدعون العلم<br>١٤٨ كلام أمّة المذاهب<br>١٥١ بعض العلماء فسر المتشابه باختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى<br>١٥٢ اتفاق العلماء على أن جميع القرآن ما يمكن للعلماء معرفة معانيه<br>١٥٤ بيان أن الشيء له وجود<br>١٥٦ الأمثال هي ما يمثل به من المتشابه<br>١٥٧ بيان أن الرسول إذا لم يكن عالماً بمعنى القرآن امتنع الرد إليه<br>١٥٨ أهل البدع الذي ذمهم الله ورسوله نوعان<br>١٥٩ تفسير الأمانى والأمة<br>١٦٢ ذم الله تعالى الذين لا يعروفون معان القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه |
|---|--|

صفحة	صفحة
١٩١ بيان أن الرمل صار من سنة الحج	١٧٩ بيان أن الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب
١٩٢ أفضل الخلق على الإطلاق	١٨٠ وجه تسمية الإنسان إنسا والجن جنًا
١٩٣ تفسير المسك	١٨١ تعريف المتابعة وبيان شدة متابعة عبد الله بن عمر
١٩٤ الذبح للعبود غاية الذل	١٨٣ علماء السلف من أهل المدينة لم يكونوا يستحبون قصد شيء
١٩٤ المتابعة للرسول لا بد فيها من اعتبار النية والقصد	١٨٣ حكم نذر السفر إلى غير المساجد الثلاث
١٩٤ بيان أن الحجامة تتفع في بلاد دون بلاد	١٨٥ التوافق المأمور عن الرسول ﷺ
١٩٨ بيان من يسمى بالخلفاء	١٨٧ استلام الركمنين اليانيين عند ما حج الرسول ﷺ
١٩٩ كيف كان النبي ﷺ يتأنّف	١٨٩ اختلاف العلماء في أهل مكة ونحوهم
٢٠٠ قلوب بعض الناس بالأموال	١٩٠ بيان أن النبي ﷺ وخلفاءه لم يكونوا يصلون صلاة العود إلا في المقام لا في المسفر
٢٠١ للإمام أن يقسم الغنمة باجتهاده	١٩١ المقاصد كانت معيبة عند السلاف في المتابعة
٢٠١ أبيح الغنائم لصلاح الدين أو هله	
٢٠٢ بيان أن ما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والأثار هي من البدع المحدثة في الإسلام	